



مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري

محمد الفايز

الأعمال الشعرية الكاملة

المجلد الأول

أشرف عليه وراجعته وقدم له

د. عبدالله أحمد المهنا

الكويت

2014

التدقيق الطباعي

محمود إبراهيم البجالي

الصف والتفيز

أحمد متولي

أحمد جاسم علاء محمود

الإخراج وتصميم الغلاف

محمد العلي

صدر هذا الديوان بمناسبة مهرجان ربيع الشعر (الموسم السابع)
لمؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري
مارس ٢٠١٤م



حقوق الطبع محفوظة

مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري

هاتف: +٩٦٥ ٢٢٤٣٠٥١٤

فاكس: +٩٦٥ ٢٢٤٥٥٠٣٩

E-mail: kw@albabtainprize.org

التصدير

يصادف هذا الشهر مارس ٢٠١٤ الذكرى السنوية الثالثة والعشرين لرحيل الشاعر العربي محمد الفايز، فقد ولد الشاعر الفايز في الكويت عام ١٩٣٨ وتوفي في الأول من مارس عام ١٩٩١ بعد أيام قليلة من اندحار الغزاة عن بلده الكويت، إذ قيض الله له أن يعيش ليرى عودة وطنه إلى أهله، وأن يستنشق في هذه الأيام القليلة قبل وفاته عبير الحرية؛ حرية الإنسان والوطن الذي احتلته القوات الصدامية الباغية وعاثت فيه فساداً وطفغياناً.

محمد الفايز علم من أعلام الشعر العربي في الكويت والوطن العربي، وهو شاعر مبدع امتلك ناصية الكلمة الشعرية مبكراً؛ فكتب القصيدة العمودية وقصيدة التفعيلة صدر له اثنا عشر ديواناً شعرياً مطبوعاً هي: مذكرات بحار، والنور من الداخل، والطين والشمس، ورسوم للنغم المفكر، وبقايا الألواح، وذاكرة الآفاق، ولبنان والنواحي الأخرى، وحذاء اليهودج، وخلخيل الفيروز وتسقط الحرب وخرائط البرق (جزآن).

وعندما قررت مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري أن تحتفي بالشاعر محمد الفايز إلى جانب الشاعر العربي السوري عمر أبو ريشة في مهرجان ربيع الشعر لهذا العام ٢٠١٤ بإقامة ندوة أدبية عن الشعارين وأعمالهما الإبداعية - كان أول ما فكرت فيه المؤسسة أن تقدم للقارئ العربي ديوان الشاعر محمد الفايز كاملاً، وأن وتجمع لأول مرة في كتاب واحد ما تفرق من نصوص

في مجموعات شعرية، وما توزع بين الصحف اليومية السيّارة والمجلات الأدبية المتخصصة، وما يغلب الظن على كونه لا يزال مخطوطاً لم يسمع به الناس من قبل. وقد بادرت الأمانة العامة للمؤسسة بالاتصال بأسرة الشاعر محمد الفايز التي رحبت بشدة بمسعى المؤسسة للاحتفال بالفايز، وأبدت تعاوناً كبيراً، حيث صدقت ابنة الشاعر الدكتورة شذا؛ وهي كأغلب بنات الشعراء والأدباء شديدة الاحتراف بإبداع والدها، حريصة على المحافظة على إرثه الشعري - ما توقعناه، وقامت بتزويد المؤسسة بديوانين فريدين نادرين من آخر ما كتب الفايز قبل وفاته، لم يسبق نشرهما من قبل، والديوان مخطوطان في كراستين بخط والدها؛ يحمل أولهما عنوان «كتابات فوق الأبواب القديمة» ويشتمل على أربع وعشرين قصيدة (٢٤) لم تنشر من قبل، أما ثانيهما فيشتمل على اثنتي عشرة قصيدة أخرى (١٢)، وعنوانه: «قباب الوادي الأخضر».

وفوق ذلك قدمت الدكتورة شذا الفايز مجموعة كبيرة من قصائد الفايز أكثرها مما نشرته الصحف والمجلات في حياة الفايز وبعضها مما نشر بعد رحيله. وقد تمت مراجعتها ومقابلتها بما نشر في دواوين الشاعر السابقة؛ فتجمع من هذه القصائد الميثوثة في الصحف والدوريات سبع وتسعون قصيدة (٩٧) لم يسبق نشرها في دواوين الفايز الأخرى، ينفرد هذا الديوان الذي تقدمه المؤسسة للقارئ العربي بنشرها في ملحق خاص بها مرتبة ترتيباً زمنياً من الأقدم إلى الأحدث.

وليس من شك في أن محمد الفايز شاعر مبدع يستحق التقدير والتكريم بجدارة، وقد كرمته مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري عام ١٩٩٠م بحصوله على أرفع جوائزها آنذاك، وهي جائزة الإبداع الشعري، وكرمته دولة الكويت بمنح اسمه جائزة الدولة التشجيعية للشعر عام ١٩٩٥؛ كما نال الفايز العديد من شهادات التقدير ومظاهر التكريم من حكومات ومؤسسات

عربية مختلفة في الكويت وسلطنة عمان والإمارات العربية المتحدة والمملكة العربية السعودية.

لقد امتلك الفايز الموهبة الفطرية وصلها بالغوص في دواوين الشعراء القدامى ما مكّنه من نسج معجمه الشعري الخاص به، وهو معجم غزير أعانه من سبك قصائده بتراكيب قوية متنوعة بصورها ومعانيها، وهو ما هبّ أمامه الفرصة ليكون واحداً من أصحاب الإنتاج الشعري الغزير، فترك لنا الفايز وفرة من النصوص الشعرية التي تتميز ببنائها الفني الخاص، وتبدو للقارئ وكأنها لوحة قصصية فنية كما في مذكرات بحار التي صوّر فيها معاناة الأجيال السابقة من الكويتيين في سبيل التغلب على شظف العيش ومصاعب الحياة عندما كانوا يقضون الشهور الطويلة على مياه الخليج والبحار الأخرى ليعودوا بعدها بالأمل وليدخلوا الفرحة في قلوب ذويهم الذين أمضوا شهوراً طويلة من الترقب والانتظار.. فكانت هذه المذكرات الشعرية لوحات فنية بديعة صوّرت حالة البحار ومعاناته؛ وقدمت أيضاً صورة واضحة عن موهبة الفايز وشاعريته وكانت جواز مروره إلى مصاف المبدعين البارزين في الوطن العربي.

هذا هو محمد الفايز الذي نحتفي به والذي كان مهموماً أيضاً بقضايا الوطن العربي والأمة وظل كذلك إلى أن رحل إلى بارئه تاركاً لنا إرثاً شعرياً خالداً جعله في مصاف كبار الشعراء..

ولا يسعني إلا أن أشكر ابنة الشاعر البارّة الدكتورة شذا الفايز على تعاونها مع الأمانة العامة للمؤسسة ولجمعها عشرات القصائد التي لم تنشر من قبل وتمت إضافتها إلى هذا الديوان.. ولا يفوتني أن أشكر الأستاذ الدكتور عبدالله أحمد المهنا الذي نعزّز به أستاذاً بارزاً من خيرة أساتذة جامعة الكويت، أخصاً عزيزاً وعضواً

مؤثراً في مجلس أمناء مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري على ما قام به من جهد واضح في متابعة هذا العمل والإشراف عليه وتسديد خطاه بما قدم من توجيهات مخلصه وآراء محكمة أعانت على جمع نصوص الديوان وترتيبها وإخراجها على هذه الصورة التي بين أيديكم؛ إضافة إلى القراءة الفنية العميقة التي قدم بها الدكتور عبدالله أحمد المهنا للديوان، واضعاً يده فيها بحس الناقد الفنان وخبرة الأستاذ الأكاديمي على أبرز قيم العطاء الفني في تجربة محمد الفايز الإبداعية.

وفي الختام يسعدني أن أقدم إلى محبي الشاعر ومتذوقي إبداعه هذا العمل..

والحمد لله من قبل ومن بعد،،،

عبدالعزیز سعود البابطين

الكويت في 1435/4/2هـ

الموافق 2014/2/2م

المقدمة

أ.د. عبدالله أحمد المهنا
جامعة الكويت

على مدى ثلاثين عامًا ١٩٦٠ - ١٩٩١ استطاع الشاعر محمد الفايز أن يكون له قامة شعرية سامقة تميزه عن أبناء جيله من الشعراء، إذ صدر له خلال حياته عشر مجموعات شعرية، وثلاث أخرى بعد وفاته، مدونة بخط يده، عدا الكثير من القصائد المنشورة في الصحف اليومية والمجلات الدورية، التي أمكن جمعها ومراجعتها على «السجلات المحفوظة ضمن تركة الشاعر الثقافية، التي يعود الفضل في حفظها وصيانتها إلى ابنة الشاعر الدكتورة شذا الفايز، التي يعود لها الفضل في نشر مجموعة أبيها الشعرية «خرائط البرق» في جزئين، بعد وفاة والدها بفترة قصيرة.

عُرِفَ الشاعر الفايز في بدايات حياته الشعرية بـ «مذكرات بحار» التي تعد من أجل أعماله على الإطلاق، حتى ولو لم يكن له غيرها لكفاه أن يكون من طلائع الشعراء المجددين في الشعر العربي المعاصر، فقد أصدرها وقت أن كانت الساحة الثقافية يوم ذاك تموج بالصراعات الثقافية حول مستقبل شعر التفعيلة، الذي نظم الفايز في إطاره قصيدته «مذكرات بحار» التي كانت في وقتها ولا تزال عملاً إبداعياً رفيع المستوى سواء في تقنياته الفنية، أو في تشكيلات أبنيته اللغوية، التي استطاع في سياقاتها المختلفة أن يصهر المصطلحات الدارجة في البيئة الكويتية القديمة، لتصبح جزءاً فاعلاً في البنية اللغوية لفهم النص الشعري.

ولعله من الواضح أنّ «مذكرات بحار» قد صنعت بلا ريب شعرية الفايز وسجنته سنوات طوال في إطارها، لذا نجد أنّ الكثيرين ممن تصدّوا لدراسة شعر الفايز، خلال العقود الماضية لا يكادون يتجاوزون في دراستهم له قصيدته «مذكرات بحار» بها يبدأون وعندها ينتهون، ولا تعليل لذلك سوى أن هذه القصيدة تملك سحرًا وجاذبية خاصة بحكم موضوعها المتكئ على مشاهد إنسانية مؤثرة يسعى أصحابها وراء لقمة العيش، متجشمين أقسى المصاعب والمهالك فلا يظفرون من وراء ذلك إلا بالنزر اليسير.

وحين نعاود النظر في شعرية الفايز بعد رحلته مع عالم القصيدة، نجد أن الفايز، ليس «مذكرات بحار» فحسب كما سجنه فيها النقاد، بل هو شاعر له نبضه الشعري القائم على التفاعل مع قضايا عصره، على امتداد عمره، فله مواقف شعرية من الحروب، التي كانت تمر بها الأمة خلال عقد الثمانينيات من القرن الماضي، سطر فيها مواقف إنسانية مؤثرة، لغة وتصويرًا ورؤيا، وهناك رؤيته في الموت والحياة، التي تحمل فلسفة خاصة، وهناك مواقفه المتعددة من الحب وقضايا المرأة يجلوها في سياقات رومانسية حاملة، إلى جانب كثير من القضايا المعاصرة التي حظيت عنده باهتمام خاص وعالجها في شعره.

وحين نتأمل مجمل الإنتاج الشعري للشاعر، نجد أنّ الشعر العمودي يمثل الفضاء الأوسع في تجربته الشعرية، على الرغم من أنه عرف في بادئ أمره باعتباره أحد طلائع شعراء التفعيلة، في الكويت خاصة، والخليج بعامة، اعتمادًا على قصيدته الأولى «مذكرات بحار» بيد أنه آثر فيما بعد أن يوطد أركان شاعريته في الشعر العمودي الذي حظي منه بالنصيب الأوفر، وكأنه بهذا يرد بصورة غير مباشرة، على الذين يتهمونه بتخريب الشعر العمودي، واتباع أصحاب الحداثة

الشعرية، ومع كل هذا فلم يتخلَّ الفايز عن شعر التفعيلة، بل له فيه إسهامات أخرى، لكنها دون المؤمل منه، وبخاصة أنه عرف به، وبه شمخت قامته، وليس هذا فحسب، بل أراد الفايز أن يؤكد شاعريته، وإبداعه بكتابة «قصيدة النثر» في المرحلة الأخيرة من حياته، في توافق مع الكثيرين من شعراء عصره الذين تراجعوا عن كتابة قصيدة التفعيلة إلى كتابة «قصيدة النثر» من أمثال محمد عفيفي مطر ونزار قباني، وقاسم حداد، وسعاد الصباح من غير أن ينقص ذلك من شاعريتهم أو يوهن من مكانتهم، بل زادت من قناعة النقاد والدارسين أن كتابة قصيدة النثر أكثر تعقيداً في أبنيتها اللغوية مما قد يظن، ويتجلى لك ذلك حينما تدخل في تحليل أنسجة هذا الضرب من الشعر المثير للجدل على الدوام.

وإذ تقوم اليوم مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري بطباعة ديوان الفايز كاملاً بعد أن بذلت جهوداً مضيئة في متابعة كل نصوصه الشعرية التي تضمنتها الصحف اليومية، والمجلات الدورية، خلال السنوات السابقة لوفاته، ولم تتضمنها مجموعات الشعراء السابقة، بالإضافة إلى بعض المجموعات الشعرية الأخرى، التي دونها بخطه ولم تر النور في حياته، فإنها تكون بهذا العمل الكبير قدمت خدمة ثقافية كبيرة لمسيرة الشعر العربي المعاصر في الكويت خاصة، وللقاد والدارسين بعامة، ولعله من المتوقع أن الصورة التي حبس بها الشاعر بوصفه شاعر البحر، أو صاحب مذكرات بحار فحسب ستتغير، مع نشر شعره كاملاً، فالفايز قد ارتاد آفاقاً شعرية متعددة، تجعله في طليعة شعراء الكويت، الذين كانوا وما زالوا يحملون في شعرهم نبض العصر، وروح المرحلة الشعرية الراهنة بكل تعقيداتها الفنية واللغوية.

ويبقى في نهاية المطاف أن نشكر الأخ الكريم الأستاذ عبدالعزيز سعود البابطين، رئيس مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري على

جهوده في متابعة هذا العمل، والشكر أيضاً إلى الأستاذ الدكتور محمد مصطفى أبوشوارب، نائب الأمين العام للمؤسسة، على كل ما بذله من جهود، ومتابعات حثيثة تكاد تكون شبه يومية لإخراج هذه المجموعة في تزامن مع احتفالية المؤسسة بمهرجان ربيع الشعر، وبالشاعرين الكبيرين محمد الفايز وعمر أبوريثة في الثالث والعشرين من مارس ٢٠١٤، ولا ينبغي في هذا المقام أن ننسى جهود ابنة الشاعر الدكتورة شذا الفايز، إذ يعود الفضل إليها في الحفاظ على شعر أبيها من الضياع فوضعت تحت يد المؤسسة كل ما أمكنها الحصول عليه من شعر والدها مخطوطاً أو مطبوعاً، وتركت للمؤسسة تنظيم هذه الأعمال دون تدخل منها على الإطلاق، فلها الشكر والتقدير، والشكر موصول أيضاً إلى الأستاذ محمود إبراهيم البجالي، المحرر في المؤسسة الذي كان وراء رحلة هذا العمل من بدئه حتى نهايته متابعة وتدقيقاً، كما لا يفوتني هنا أيضاً أن أشيد بالجهود التي بذلها رفاق له في هذه المهمة الصعبة وهم الأساتذة أحمد متولي، وأحمد جاسم، وعلاء محمود، ومحمد العلي، فلهم منا جميعاً الشكر والتقدير.

والحمد لله رب العالمين.

الكويت ١٩/٣/١٤٣٥هـ
الموافق ٢٠ يناير ٢٠١٤م



الديوان الأول النور من الداخل (*)

(*) نشر الديوان للمرة الأولى عام ١٩٦٤م، وأعيد نشره ضمن ديوان الشاعر محمد الفايز
١٩٨٦م: ص ٦ ص ١٢١.





مذكرات بحار.. المذكرة الأولى(*)

أرَكِبْتُ مثلي («البوم» و«السنبوك» و«الشوعي»)^(١) الكبير؟
أرَفَعْتُ أشرعةً أمام الريح في الليل الضريز؟
هل نُقِيتَ زادي في المساء على حصير؟
من نخلةٍ ماتت وما ماتَ العذابُ بقلبي الدامي الكسير
أَسْمَعْتُ صوتَ «دجاجة»^(٢) الأعماق تبحت عن غداء؟
هل طاردتُك «اللخمة»^(٣) السوداء و«الدول»^(٤) العنيد؟
وهل انزويت وراء هاتيك الصخور؟
في القاع و«الرماي»^(٥) خلفك كالخفير
يترصدُ الغواص. هل نُقِيتَ العذاب؟
مثلي وصارعتَ العباب
أَمْسَكْتَ «مفلقة» المحار؟
في الفجر مرتجفاً لتكتملَ القلادة

(*) نشر الشاعر محمد الفايز هذه القصيدة (التي عرف بها فيما بعد) للمرة الأولى عام ١٩٥٦م تحت اسم مستعار هو سيزيف؛ ثم أعاد نشرها في ديوان مستقل تحت عنوان مذكرات بحار عام ١٩٦٢م؛ ثم نشرها ضمن ديوانه النور من الداخل عام ١٩٦٤م. وهي بين قصائد ديوان الشاعر محمد الفايز المنشور عام ١٩٨٦م: ص ٧ - ص ٨٣.

(١) سفن شراعية تصنع في الكويت.

(٢) تشبه الدجاجة إلا أنها سمكة جارحة.

(٣) سمكة جارحة.

(٤) حيوان بحري شرس.

(٥) حيوان له شوك كالمسامير.

في عُنُقٍ جاريةٍ تنام على وسادةٍ
ريشيّةٍ في حُضنِ سيّدها . ورائحةُ المحارِ
بإِزاركَ البحريّ تعبّقُ . والبحارُ
مملوءةٌ درّاً سيملكه سواي
كحقولِ تلك الأَرْضِ . يا دنيا العذابِ
ما ذاق مرّاً مثل بحارٍ تقاذفه العُبابُ
عريانَ إلا من سوادِ
تتهيّبُ الأسماكُ منه . والبحارُ
أحنى من الأرض التي مَحَلَّتْ . فلا عطرٌ يَضوَعُ
فيها ولا نبتتُ كرومُ
مهما تلبّدتِ الغيومُ وأمطرتُ كلُّ السماءِ
تبقى ككفٍّ بخيلةٍ تأبى العطاءِ
أواه يا أرضَ الحرائقِ والسُّمومِ
البحرُ أحنى من ضفافِكَ ، والشُّراعُ
أذرى إليّ من الصَّنوبرِ ، يا بحارُ
الملحُ فيكَ ألذُّ من عنبِ الدوالي في المدينةِ
فخُذي شراعي يا رياحُ خذي السفينةِ
سأعيدُ للعِبادِ حديثَ «السندبادِ»
ماذا يكون السندبادُ؟
شَتانَ بين خيالِ مجمونٍ وعملاقٍ تراه
يطوي البحارَ على هواه
بحباله

بشراعه

بارادةٍ فوقَ الغيومِ

بيدِ تكادُ عروقُها الزرقاءُ ترتجِلُ النجومِ

يا أرضُ يا كهفَ الهمومِ

من أمسِ أمسٍ ولم تزالِي مثلَ ماخِضةٍ بها ماتَ الجنينُ

لا السَّحَرُ ثَبُطٌ من جِماجِكِ لا ولا الحقُّ المبينُ

من عهدِ «قاييلٍ» وقمَحِكِ كلِّ عامٍ

يسطو عليه الدودُ يا أرضَ الظلامِ

مصباحي النفطِي يلهتُ مثلَ عيني لا تنامُ

تترصدُ الآفاقَ تبحثُ عن ضفافِ

وتهبُّ عاصفةٌ فتطفئه. ويرتفع «النهام»^(١):

ضوءُ الشموعِ

من وهجِ عينيها فذوبي يا ضلوعِ

والجوعِ والجُدريِّ في الأرضِ الحزينةِ

وترصدُ الأسماكِ للبحارِ في غرقِ السفينةِ

والموتِ في غرقِ أجلِّ من البقاءِ

في عالمٍ فيه مكانٌ لابنِ أوى والقروءِ

إلا أنا

ما دمتُ حيًّا فالبحارِ

مأواي. أو باعُ قصيرُ

في الأرضِ حينِ أموتُ. يا ملحَ البحارِ

(١) النَّهَامُ: الذي يقوم بالفناء على السفينة أثناء أداء البحارة لعملهم مما يشجعهم على العمل بهمة ونشاط ومن دون مللٍ.

ستكون شهيداً عن قريبٍ. والنهارُ
سيُطلُّ مثلَ عيونها. القوا الشُّراعَ
ودعوا السفينةَ يا رفاقي في الضَّفافِ
ها نحن عدنا ننشدُ «الهولو» على ظهر السفينةُ
من وحلة الصيف الحزينةُ
ها نحن عدنا للمدينةُ
ولسوفَ نُبحرُ حينَ تُمطرُ في الشتاءِ
فإلى اللقاءِ

المذكرة الثانية

الشمسُ فوق السور تُشرقُ مثلَ قنديلٍ كبيرٍ
تهدي خُطانا مثلما كنا على ضوء النجومِ
في الليل نسري عبرَ هاتيك البحارِ
أيامَ كنتُ أعيشُ في الأعماقِ. أبحثُ عن محارٍ
لقلادةٍ لسوارٍ حسناءٍ ثريةٍ
في الهند. في باريسَ. في الأرضِ القصيةِ
أيامَ كنتُ بلا مدينةٍ
وبلا يدٍ تحنو عليَّ ولا خدينةٍ
إلا حبالِي والشراعُ
ويدي المقرحةُ الأصابعِ والضِّياعُ
والريحُ. والأسماكُ في القاعِ الرهيبِ
غرثي تُطاردني بعالمها الغريبِ
عن عالمي القاسي العنيفِ
يا بحرُ. يا قبرًا بلا لحدٍ. ويا دنيا عجيبةٍ
أجتازُ عالمها المخيفَ بروحِ بحارٍ كئيبةٍ
أبدًا يغني للسواحلِ والعيالِ
يترقبون قدومه بعدَ المحالِ
ويعود من رحلاته كيما يعودُ
للبحرِ والأسفارِ. والدنيا كفاخُ

ضدّ المجاعةِ والرياحِ
الجوعُ فوق الأرض والريحُ الخؤونة في البحارِ
وتظلُّ زوجتهُ هناك بلا سوازٍ
وبلا قلادةٍ
في بيتها الطينيِّ حاملةً وحيدةً:
سيعودُ ثانيةً بلؤلؤةٍ فريدةٍ
يا جارتِي سيعودُ بحاري المغامرِ
سيعودُ من دنيا المخاطرِ
ولسوف تُغرِقني هداياهُ الكثيرةُ
العطرُ والأحجارُ والماءُ المعطرُ والبخورُ
ولقاؤه لما يعود كأنه بدرُ البدورِ
وتظلُّ تحلمُ والحياةُ
حُلْمٌ يجول بلا نهايةٍ
وبلا بدايةٍ
والشمسُ والأقمارُ تُشرقُ فوق كوكبنا الكبيرِ
وأنا هنا في هوةِ الأعماقِ كالحوتِ الصغيرِ
فكأن هذي الشمسُ ما كانت. ولا كان الصباحُ
إلا لغيري. والقناديلُ الصغيرةُ
أبدأُ تضاءُ بغيرِ بيتي والحدائقُ والأقاخُ
في حقلِ غيري. والرياحُ
أبدأُ تطاردني على ظهر السفينةِ
والموتُ والحوتُ اللعينةُ

و«السيب^(١)» و«الدين^(٢)» في كَفِّي وَأَلْفُ المحارِ
 في القاع تُبْرِقُ باخضراؤِ
 كعيونِ عَفْرِيتٍ يطاردهِ النهأُ
 مثلَ المصابيحِ الصغارِ
 والدودُ والأسماكُ حولي والحجازُ
 أوأهْ يا تعبَ البحارِ
 حطَّمتَ ظهري. والحياةُ رَحَى تدور كما يقولُ
 «نَهَامُنَا» في الليل: أيامُ تزولُ
 وتدورُ أفلاكُ الحياةِ لغايةٍ فوقَ العقولِ
 يا أيها البحارُ سوفَ تظلُّ في ليلِ البحارِ
 نجماً بلا أفقٍ. وفي تلك السواحلِ
 الشمسُ تشرقُ في الخمائِلِ
 كعروسةٍ شقراءِ. والدنيا نهأُ
 في عينِ غيري. والسوازُ
 سيصْأُ للحسنا في «بمباي» يا روجي الكئيبةُ
 «نَهَامُنَا» يشدو لشيطانِ قريبةُ
 سأرى بساحلها الحبيبةُ:
 عدنا على ضوءِ النجومِ إليك يا دارَ الحبيبةُ
 والريحُ نشوى والشراعُ كأنه سرْبُ الحمامِ
 سارٍ على صوتِ «النَهَامِ»
 ويظلُّ «ينهم» والسواحلُ من بعيدِ
 تدو لنا صفراءُ تعكسُ كلَّ ما فينا من الشوقِ الشديدِ

(١) المراد هنا حبل السيب وهو حبل طويل يربط به الغواص عندما يهبط إلى الأعماق.
 (٢) الدين: عبارة عن وطاب للمحار.

وتطلُّ كُثبانُ الرمالِ على الضَّفافِ الحاماتِ
ونساوُنا المتحجباتُ
يضرِبْنَ فوقَ دفوفهنِ كأنهنِ بيومِ عيدِ
فرحُ اللقاءِ على الوجوهِ وفي النذورِ
والشمسُ فوقَ السورِ تُشرقُ مثلَ قنديلِ كبيرِ
تَهدي خطانا مثلما كنا على ضوءِ النجومِ
في الليلِ نسري عبرَ هاتيكَ التُّخومِ

المذكرة الثالثة

أحلى ليالينا الليالي المقمراتُ
حيث النجومُ الغارقاتُ
في الضوء كالأعراس في كهفٍ مضاءٍ
حيث السماءُ
في البحر ترسمُ عالماً نشواناً من نورٍ وماءٍ
يجتثنا ويطير فينا في الفضاءِ
للحورِ. للجناتِ. للدنيا الجميلةِ
عندي حكاياتُ لها من «ألف ليلةٍ»
من «شهرزاد» وليلها المضمورِ. ليلِ الحالماتِ
الشارباتِ الماءِ من شطِّ النجومِ
مثلَ التي كانت تُغني للغيومِ
فتصير ناراً ثم تُمطرُ. والحيأةُ
مملوءةٌ بالسحرِ. حيثُ السّاحراتُ
قد كن رباتِ البيوتِ العامراتِ
ونظلُ نحلِّمُ بالقصورِ. وبالدهاليزِ الطويلةِ
تلك التي قد صورتها شهرزادُ بألفِ ليلةٍ
والدودُ في بطني يشاركني غذائي. والوجارُ
خالٍ بلا قدرٍ. وأسماكُ البحارِ
أكلتُ ونامتُ. والصّحابُ
يتحدثونَ عن الموائدِ في القصورِ
وعن التي كانت تُعطرُ خدرها المسحورَ من أشهى العطورِ
وعن الضفائرِ عندما تُطوى على نهديّ وجيدٍ



وعلى سفينتنا القمرُ
يَضُوي ولا يُعطى كتنورٍ بعيدٍ
كسفينةٍ بيضاءٍ عاليةٍ الشراعِ
أو مثلَ شباكٍ مُضاءٍ
تحت السماءِ
ونروح نستوحيه كالشعراءِ نشكيه الهيامُ
حتى ننامُ
يا ربُّ يا ملكاً تعالى في سماه
يا أيها الأبدي يا نوراً نراه ولا نراه
دعنا ننم. وبلا غيومٍ
ودع القمرُ
يضوي علينا والنجومَ بلا مطرٍ
نحن العراةُ المبحرينَ مع المخاطرِ والمنونُ
ربُّاهُ لا تُمطرُ علينا فالزوابعُ والرياحُ
تأتي معَ المطرِ الذي يروي الأقاليمَ
والتينَ والزيتونَ في أرضِ «العجْر»
ربُّاهُ إن الأرضَ تُزهرُ بالمطرِ
لكننا سنضيعُ نحنَ وينطفئُ ضوءُ القمرِ
وتهبُّ عاصفةٌ ويحتدمُ الظلامُ
وتذوبُ أنوارُ السماءِ وينتهي حلمُ المنامِ
الساهرينَ معَ القمرِ
والشاربينَ الخمرَ من كأسِ السُّهرِ
ويطيرُ قنديلٌ وتضطربُ السفينةُ
كضُلوعِ مومسةٍ تورقُها خطاياها الدفينةُ
البحرِ ثارُ
يا أيها البحارةُ الشجعانُ إن البحرَ ثارُ
القوا الشراعُ



وارموا إلى البحر الحمولةَ والمتاعَ
فالحوتُ والأسماكُ جائعةٌ. وأمطارُ السماءِ
هيهاَتَ تَغْسِلُ حَقْدَ حوتٍ. والرجالُ
في البحرِ تُعْرِفُ ما معادُنُها. هضابُ أمِ جبالِ
شُدوا الحبالُ
وتعادَلوا فالبحرُ يَعْرِفُ ما الحرامُ من الحلالِ
والريخُ ضِدُّ البحرِ والبحارِ من ماضي الزمانِ
ونروحُ نقرأ بعضَ آياتِ الكتابِ
فالموتُ في غرقِ عذابِ
لكنَّ تجارَ السفينةِ هؤلاءِ يفضلونُ
موتى وموتَ الآخرينِ
وفناءَ كلِّ الأرضِ. كلُّ العالمينِ
كلُّ الوجودِ. ولا يرونُ
أموالهم تُرمى لقاعِ البحرِ. تجارُ البحارِ
أقسى علينا من رياحِ البحرِ والحوتِ الكبيرِ
ونروحُ نلعنهم كما لعنَ الكتابُ
«كفارَ مكةَ» والذي سَخَّ السحابُ
أحنى علينا من جميعِ الناسِ. يا قمرَ السماءِ
عيناك أقوى من عيونهم المريضةِ. والنجومُ
ستشعُّ ثانيةً وتحترقُ الغيومُ
ونعودُ نحلُمُ بالجنانِ وبالقيانِ وبالدهاليزِ الطويلةِ
تلك التي قد صورتها «شهرزاد» سميرةُ الملكِ
الجميلةِ.

المذكرة الرابعة

أنا ما رأيتُ
لكنني ما زلتُ أذكر نارَ موقدنا بمنزلنا القديمِ
وحديثَ والدي الضَّريرِ عن الحياةِ
وعن الحروبِ. حروبنا ضدَّ الغزاةِ:
الأرضُ قاحلةٌ هنا حتى الذئابُ
تخشى ظهيرتها. ولكنَّ الملوكَ
و«الترك» و«الألمان» والمتسللونَ
باسمِ الحضارةِ والحمايةِ.. هؤلاء المدعونُ
كم حاربونا بالأساطيلِ الكبيرةِ والجنودُ
يترصّدونَ شراعَ غوّاصٍ يعودُ
كي يغرقوه
كي يقتلوه
يا قاربَ الصَّيادِ إياك التوغَّلُ في البحارِ
فالبحرُ مثلُ الأرضِ ملكُ الأقوياءِ
والدرُّ للحسنةِ نجمعهُ ونحنُ إلى الشقاءِ
ويروح والدي الضَّريرُ
يبكي ويسعلُ والدخانُ
يندسُّ في عينيه في البيتِ القديمِ.
ونروحُ نسألُه المزيدُ:



يا والدي ماذا رأيت؟
يا والدي لمَ قد بكيت؟
ويظلُّ يسعلُ ثم يجهشُ في البكاء
ويقولُ كنا! أقوىاء
كنا أمام هجومهم مثل الرمال على العيون
مثل الظهيرة في بلادك يا بني
مثل المنون
أنا ما رأيت
لكنَّ والدي الضريزُ
قد قال لي هذا بمنزلنا القديم
وأروحُ أسأل: ما الذي ببلادنا غير الرمال؟
ويُجيب والدي الضريزُ عن السؤال:
لابد للأظفار من شيءٍ تُمرِّقه. ومن حملِ الحرابِ
أبدأً يفتش عن رقاب
والأرضُ تمنح عندما تجد الرجالُ
انظر. ويكثفُ والدي عن صدره الواهي الضعيفُ
وأرى الندوبَ كأعينِ الموتى كأوراقِ الخريفِ
في صدره الواهي الضعيفُ
ويروح يلمسها كآثارٍ قديمة
بأصابعٍ مثل العيون
تفلي مكانَ الجرح. تعرف أيَّ تاريخٍ حزين
في كلِّ جرح. والجراحُ
فخرُ الرجالِ



كالوشم في الحسناء. يا وطنَ الظهيرةِ والرمالِ
الموتُ والجدرِيُّ أرحمُ من قراصنةِ البحارِ
وذراكُ أرفعُ، والجميعُ إلى الزوالِ
إلا النجومُ
والشمسُ والأقمارُ والسور العظيمُ
يا نار موقدنا بمنزلنا القديمُ
ما زال دفوكُ في عروقي مثلَ آثارِ الجراحِ
في صدر والدي الضريزِ
قنديلُ عينيه أضاءَ لي الطريقُ
وجراحُه مثلُ الهوامشِ في طريقِ الشمسِ. يا
وطنَ البحارِ
يا عندليبَ الفجرِ يا عطرَ القرنفلِ يا سماءَ
الرمْلِ أورقَ بالدموعِ وبالدماءِ

المذكرة الخامسة

عندي خمورُ
عندي عطورُ
عندي بخور الهندِ يا تجارَ مكةَ يا ملوكُ
عندي القلائدُ والأساورُ للجواري والنساءُ
من يشتري أفراحَ بخارٍ يعود مع المساءِ
الشمسُ في عينيه ماتت مثلما مات العبيرُ
والنورُ في بيتٍ خلا لولا حصيرُ
وفتيلُ مسرجةٍ كأهدابِ الضيرِ
لِمَ تنبتُ الأرضُ الزهورُ
وعظامُ موتانا بها؟ أين الحبيبةُ؟
ماتت من الجُدريِّ «طيبةُ»
من يشتري كلَّ الحارِ؟
من يشتري كلَّ البحارِ؟
بعيون «طيبة» يا نهارُ
قد أطفأتُ عينيك عيناها فحاربتِ الضياءَ
أين الضياءُ؟
بعيونها؟ أين انطلاقاتُ الضفيرةِ
ووميضُ مفرِّقها كخطٍّ من نجومٍ
في ليل أيامي الحزينةِ، أين أفراحُ اللقاءِ؟



لَمَّا أَعُودُ وَمَلُّ أَعْمَاقِي كَأَبَاتِ الْمَسَاءِ
أَيْنَ الضَّفِيرَةِ حِينَ أَنْشَرَهَا كَلِيلٌ مِنْ عَبِيرٍ
مِثْلَ الْقَرْنَفْلِ؟ أَيْنَ ضَحَكْتُهَا الْحَزِينَةَ
لَمَّا أَعُودُ مِنَ الْبَحَارِ إِلَى الْمَدِينَةِ؟
أَفْرَاحُ عَيْنَيْهَا تُذِيبُ بَيَّ الْعِنَاءِ
وَلِقَاؤُهَا . أَوَّاهَ مَا أَحْلَى الْلِقَاءِ
مِنْ غَيْرِ وَعَدِّ فَالْدَمُوعِ
تَهْمِي مَعَ الْفَرَحِ الْمَعْنَى فِي الضَّلُوعِ:
أَحْبَابُنَا دَخَلُوا الْمَدِينَةَ
يَا لَيْتَ أَهْدَابِي شِرَاعٌ لِلسَّفِينَةِ.
غَدَا الْقَلُوعُ

أَمْسِ رَسُونَا وَالرَّحِيلُ غَدَاً . وَمَا لِي مِنْ رَجُوعِ
غَنِيَّتُ أَمْسِ لِلْعَيُونَ وَاللُّرُودِ عَلَى الْخُدُودِ
غَنِيَّتُ أَمْسِ لِمَنْ أَحَبَّ وَهَمَّتْ فِي لَيْلِ الْبَحَارِ
لَأَعُودَ ثَانِيَةً لَهَا . وَمَعِيَ الْهَدَايَا لِلصِّغَارِ
وَالْيَوْمَ حَارِبْتُ الظَّهِيرَةَ وَالنَّهَارِ
شَمْسٌ بَلَا أَقْمَارٍ عَيْنَيْهَا ظِلَامٌ
أَطْفِ الشَّمُوعِ
فَعَيُونٌ «طَلِيبَةٌ» كُلُّ مَا حَوَتْ الشَّمُوعُ
وَالكُلُّ وَهَمٌّ وَالْحَيَاةُ إِلَى الْفَنَاءِ
أَبْوَابُنَا غُلِقَتْ كَمَقْبَرَةٍ فَأَمْطَرَتِ السَّمَاءُ
بِالْمَوْتِ وَالْجَدْرِيِّ أَمْطَرَتِ السَّمَاءُ
بَيْتِي تَهَاوَى مِثْلَ أَضْلَاعِي وَمَاتَ بِهِ الْعَبِيرُ



حتى الحصيرُ

لم يُبقِ منه الداءُ شيئاً يا حياتي يا فناءً

أيامي الأولى ويا «طيبة» الجميلةُ

عينك تحت الأرض تُبرِّقُ لي كفانوسٍ بعيدُ

يومي إليّ. أكادُ ألس من هوَّى عرقَ الضفيرةُ

مدُّ كنتِ عند البئر تحت لظى الظهيرةُ

يا قرطها الذهبيُّ يا كحلَ العيونُ

يا طيبَ مبخرةٍ يُغازلني الدخانُ

فيها فتوي من روائحها يذوِّعُ

يا (حقّها) الوردِيّ يا صندوقها تحت الشموعُ

وإضاءة الأهداف في الأخشاب من صنَعِ الهندُ

يا ثوبها يا ردتها المعطارَ حين تُلْفُهُ لما أعودُ

عطرُ البنفسجِ تحت نهديها وفي فمها الوردُ

يا «شهر زادي» في البحارُ

أروي حكايتها لروحي. الوداعُ

فأنا سأرحلُ. أصدقائي والشراعُ

في الشاطئ النائي. سأرحل فالوداع

المذكرة السادسة

تحت الفوانيس المشعة كالنجوم
السور يبرق مثل خط النار. يا ليل الهموم
ستدوب في حدق العيون الساهرات مع النجوم
الحاملات الماء في جرّاتهن، وفي الشفاه
ظمأ الصيام:

غداً «التتار» سيدخلون مدينتي. أين الرجال؟
عطري سأنضحه على قدم تسير إلى القتال
وضفيري السوداء أغزلها حبال
لسفينة في الليل تبحر بالرجال
هبي شمال

يا أنت يا ريح البحار
هبي شمال

«للقصر» حيث رجالنا الأبطال. يا وهج الرمال
يا نار صحراء الجنوب

وأنا وراء السور أسمعها. فأشعر بالهيب
والنار في رأسي تعربد. أين تجار الحروب؟
أين الذين يشوهون الأرض بالدم والدخان؟
أين الملوك وأين «عنتر» يا جبال
الكل فان

إِلا الحَقِيقَةُ والرجولَةُ يا بلادي. والزمانُ
أَبداً يَدورُ
والمجدُ والتاريخُ للشمسِ السَّخِيَّةِ والبدورُ
وإلى الخنادقِ يا «حراء»
يا خندقَ الأبطالِ في الماضي القديمِ
«الشمريُّ» على الجوادِ
والقصرُ تحت الفجرِ يبرقُ مثلَ فجرٍ من رمالِ
أقوى من الأعصارِ يا وطنَ الرجالِ
وعلى «الجزيرة»
بطلٌ أقلَّته سَبوحُ فالعبابُ
واحاتُ أعنابٍ تظللُّه. وتبرقُ من بعيدِ
سفنُ الرجالِ القادمينَ من المدينةِ
جاءوا إذنَ فالويلُ للمتلصصينَ القابعينَ
تحت الجدارِ ومن وراءِ القصرِ والمتسللينَ
ها همُ رجالُ مدينتي جاعوا على متنِ العُبابِ
صوتُ المجاديفِ الطويلةِ مثلُ ألسنةِ تقولُ:
لا شيءَ غيرَ الحقِّ. والأفعى تموتُ
في البرِّ أو في البحرِ.. والسَّمُّ الرُّعافُ
كأسُ الذين بنوا المعابدَ والقصورَ على الدماءِ
جاءوا إذنَ. فحفيظُ أشرعةِ السفائنِ مثلُ
أجنحةِ العقابِ
فوقَ العُبابِ
الفجرُ تحمله السفينُ. فيا شمالُ

هُبِّي سِرَاعًا . فالغزاةُ

ملأوا الصحارى والوهادُ

مثلَ الجرادُ

والفجرُ أقوى من كهوفهم العميقة . والحياةُ

والمجدُ . للانسانِ . فاصدحْ يا هزازُ

هُزَمَ «التتارُ»

رجلُ البحارِ على سفينتهِ وفي يده منازُ

من نور عينيه يُضاء كما النهارُ

خاضَ المعاركَ بالمعاولِ والفؤوسِ وبالحجازُ

والمجدُ للإيمانِ في صدر الرجالُ

لسفينةٍ رجعتْ كأن شراعها العالي هلالُ

والسورُ تحت الشمسِ يبرقُ كالسوارُ

في جيدِ حسناءٍ يُباركها النهارُ

مات «التتارُ»

يا إخوتي الأبطالُ قد مات «التتارُ»

والبدرُ يشرقُ في سواحلنا كلؤلؤةٍ كبيرةٍ

كرسالةٍ بيضاءٍ تحملها النجومُ

لعيونِ موتانا على تلكِ المفاوزِ والتُّخومِ

المذكرة السابعة

كصرير أبواب القلاع
في الفجر كالأهات في ظلمات قاع
كدوي رعد فوق مقبرة بعيدة
كرنين أجراس عتيقة
أصواتنا فوق السفينة حين نُبحر. «والنَّهَامُ»
كغراب حارات قديمة
يشدو بألحان حزينه
للبحر والمحار: أبحرت السفينة
وغدا نعود لكم أحبائي على شاطئ المدينة
حاراتكم فوق الرمال ونحن في ليل البحار
ضوء النهار نصيبنا منه الظهيرة والجثام
ومن الشموع دخانها، صوت النَّهَامُ
قيثارة بحرية ألواحها التلكى عظام
من صدر مسلول: تعالي يا «حذام»
قد قلت صدقاً ليس يفهمه الأنام
بيتي أحب إلي من قصر يُقام
في وسط مَرَبَلَة. تعالي يا «حذام»
ويظل ينهم ثم يبكي. والمجاديف الطويلة
تحت الضوع الناتئات
تحت البطون الخاويات
رفسات عفريت تخبط. والبحار

فيها العجائبُ. مهدُ طفلٍ من حِجارٍ
قبرٌ بلا لحدٍ. عُرأةٌ يغزلونُ
إكليلَ عرسٍ. سندبادُ
تحت المياه يعيش كالأسماك. سقراط الحزينُ
والكأسُ والقمر الجميلُ
كالبيت يسكنه. حُفأةٌ يصنعونُ
نعلاً من الفيروز. غاباتٌ مخيفةٌ
للنجم والأقمار. مقبرةٌ كبيرةٌ
أمواتها يتحركونُ
ويدي ومجدافي وصندوق العتيقُ
هم عدتي في البحر يا وطني الحبيبُ
يا أيها الرملُ المعطرُ بالدماءُ
يا موطنَ الصيادِ والبحارِ يا خيرًا وماءُ
أصواتنا فوق العُباب وراء هاتيك القلاعُ
كصرير أبواب القلاعُ
كدوي رعدٍ فوق مقبرةٍ كأجراسٍ عتيقةُ
في الليل تقرعُ. والسفينةُ
وسط العُبابُ
«كسدوم» أو «روما» التي شبَّ الحريقُ
فيها ليطربَ ذلك المجنونُ. يا ريحَ البحارِ
نام النَّهَامُ وفي الصدورِ
مات التشببُ والحنينُ
مثل البراعمِ
أوراقها يبست عليها. والحنجرُ قد تموتُ
إلا الأغاني سوف تخلدُ يا بلادي. يا رياحُ
سيكون بطنُ الحوت قبري. والحيأةُ

قد تنتهي الا العذاب
يبقى كما تبقى الطلول
بعد الزلازل. فالهوء
مثل القبور
والشمس تغرب مثل حسناء تموت
والبدر يذبل مثل قنديل تكسر. والجبال
تنهار كالجدران. حتى الأرض تُلقها الزلازل والرياح
الا البحار
تبقى لتبتلع الجميع
كالحوت حين يجوع يا طوفان نوح
يا حكمة الدنيا القديمة
في البدء كان البحر لا الكلمات، يا تلك
السفينة
أبناء «نوح» فوق متنك يبحثون
عن ساحل وأنا افتش عن محار
ذهب الغراب ولن يعود
الا غرابي عاد كالمطرد في وضح النهار
كرسالة سوداء يعلوها الغبار

المذكرة الثامنة

مازلتُ أذكر كلَّ شيءٍ عن مدينتنا القديمة
عن حارتي الرملية الصفراء والمقلِ الحزينة
لما نحدِّقُ في السماء على السطوح
نَضَبْتُ جِراؤُ الماء والغدرانُ مثلُ يدِ البخيلِ
مَجَلَّتْ فأمست كالقبورِ
مخسوفةً سوداءَ تملأها الصخورُ
وعلى الضفافِ الغارقاتُ
بالشمسِ والرملِ المنْدَى والضبابِ
وقف الصَّحابِ
يترقبون سفينةَ الماء التي قالو: تعودُ
بالماء من نهر الشُّمال
فالأرضُ رملٌ والسماءُ
بيضاءُ صافيةٌ كنهْرٍ من جليدٍ
نفرٌ يبشِّرُ: أن صاريةً تلوحُ
كهلالٌ مئذنةٌ يغلفها الضبابُ
عبرَ العُبابِ
وعلى ظهورِ جمالنا الظمأى تحجَّرتِ القِرابُ
سوداءَ فارغةً يُغطيها الترابُ
كبطوننا تحتُ

صَلِّيْ إِذْ نُو فَا لَمُوْتُ أَقْرَبُ مَا يَكُوْنُ
وَ الرِيْحُ أَغْرَقَتْ السَّفِيْنَةَ وَ السَّمَاءُ
حَقَدَتْ عَلَيْنَا يَا «أَمِيْنَةُ»
صَرَخَاتُ طِفْلِكَ فِي الظَّلَامِ أَتَسْمَعِيْنَهُ
نَهْدَاكِ مَلُوْهُمَا الحَلِيْبُ وَأَنْتِ ظَمَأِي تَرْضَعِيْنَهُ
فِي بَيْتِكَ الطِّيْنِي قَابِعَةٌ حَزِيْنَةُ
تَتَسَاءَلِيْنَ عَنِ السَّفِيْنَةِ
وَ عَنِ السَّحَابِ وَ عَنِ رِفَاقِي فِي المَدِيْنَةِ
وَ الأَفْقُ صَحُوٌّ وَ النُّجُوْمُ
زُرْقَاءُ تَبْرُقُ مِثْلَ أَقْرَاطِ ثَمِيْنَةٍ
وَ تَنْثُوْرُ عَاصِفَةٌ كَأَنَّ قُوِي الوُجُوْدِ
سَمِعْتُ أَنْبِيْكَ فَوْقَ أَرْضٍ لَا تَجُوْدُ
إِلَّا بِرَمْضَاءِ الرَّمَالِ وَ بِالمَاءِ
وَ الجَوْعِ وَ الجَدْرِي يَفْتِكُ بِالصَّغَارِ
ضَحَكَاتِهِمْ فِي اللَّيْلِ تَبْرُقُ كَالنُّجُوْمِ، وَ فِي الصَّبَاحِ
يَتَسَاقَطُوْنَ كَمَا الزَّنَابِقُ حِيْنَ تَعْصِفُهَا الرِّيَاحُ
وَ كَمَا تُنِيرُ الشَّمْسُ أَعْمَاقَ الكَهُوْفِ
إِيْمَانُنَا بِالأَرْضِ مَلءُ قُلُوْبِنَا رَغْمَ الجَفَافِ
نَحْنُ الرِّجَالُ
نَحْنُ العَطَاءُ إِذَا تَعَدَّرْتِ الحَيَاةَ عَنِ العَطَاءِ
وَ فِي السَّمَاءِ
الجَنَّةُ الخَضْرَاءُ وَ المَطَرُ الَّذِي يَرُوِي الحَقُوْلُ
لَا فِي القُصُوْرِ الشَّامَخَاتِ

أَوْ فِي خَزَائِنِ أَغْنِيَاءِ مَدِينَةِ «اسْطَنْبُولِ» أَوْ «رُومَا»

الْبَعِيدَةُ

تلك التي شَبَّتْ بِهَا النيرانُ. أبردت السماء

عيناكِ تحت ضيائها الفجرِيَّ تشرقُ يا «أَمِينَةُ»

مثلَ الشموعِ

والريحُ كالراعي الذي ألقى عصاهُ

لينامَ خلف الأفق. والبركُ الحزينةُ

بدأت تفتِّحُ مثلَ أفواه الجياعِ

مثلَ البراعم حين يلفحُها شعاعُ

حتى «خليفة» جارنا الأعمى تحسَّس أن أمطاراً

ستهبط يا «أَمِينَةُ».

هل تسمعيه؟

هل تسمعين عصاه «تقري»^(١) السلمَ الطينيَّ

تبحثُ عن مداهُ

فالسطح يزخر بالمياهُ

والبركةُ الجوفاءُ فارغةُ كبطن الذئبِ تبحثُ عن غذاءِ

أختاه امطرتِ السماء..

وذكرتُ قصةَ مَنْ تمرَّدَ ضدَّ طاغيةٍ عنيدِ

في ذلك الماضي البعيدِ

فتألَّبوا كي يقتلوهُ

وتساءل الملكُ الذي في كفه أمرُ المدينةِ

عن ميتةٍ أقسى من الموت الذي قد قرَّروهُ

(١) تقري: تتحسس.

فرموه في الصحراء حيث رؤى السراب
كالماء يبرق في مهاويها الرحاب
ويروح يركض ثم تنجس المياه بكل خطوة
فإذا الرمال الصفرة ربوه
خضراء تملأها الأزاهر والطيور
ويكوخه عند الغدير
جلس المشرد كالنبي ليكتب الكتب الكثيرة
عن رحلة الإنسان فوق الأرض والدنيا الأخيرة
عيناه ينبوعان من نور وجبهته ظهيرة

المذكرة التاسعة

لا . لا تقولي رحلتي كانت طويلةً
مازلتُ أذكر كلَّ شيءٍ عنك يا «طيبة» الجميلةُ
إني دفتنك في فؤادي
بين أضلاعي العليةُ
لا في الترابِ. وقد أُجسكِ حيثُ أمسك كلُّ
شيءٍ في جوارِي
القرطُ يحمل ليلَ شعركِ والمواقِدُ حرُّ نارِي
حتى ثيابك لا يزال عبيرها عبقاً بدارِي
صندوقك الهندي ذو الأصداف والحقِّ الصغيرُ
قبران لي ولقلبي الدامي الكسيرُ
يا للملاءة والعباءة غيمتانُ
في أفقِ أيامي وما أحلى السوادُ
لما يوشحها ستدبل يا فؤادُ
كعيونها. ويح الرمالُ
كيف احتوتُ والوجودُ
قد كان يصغر أن يضمَّ حبيبتي لما أراها
حَرُّ القلادة أفقِ نجمٍ فوق نهديها تناهي
أو دورةُ القمر الذي قد شحَّ محترقاً فتاها
أين الشفاهُ العابقاتُ كما الزنابقُ في رباها؟

ورداؤها العربيُّ حين تخطه ليلاً يداها؟
ياليتني مسرى الخيوط وإبرة حملت شذاها
أين العيونُ الحاملاتُ
ضوءَ المسارج حين يُغرقني سناها
أين الشفاهُ العابقاتُ؟
بالطيب والجمر الشهي المتقلاتُ
بالنار والطر الذي هيهات تحمله الورودُ
في كل غابات الشُّمال أو الجنوبُ
أواه يا موتي. وقبل مماتها ما قلتُ آها
فيم البقاءُ وعالمي في قبرها الرملي تناهى
قال الصحابُ غداً سنبحرُ فاستعدَّ إلى القُلوع
فأجبتُهم: كلُّ البحارُ
بحدودِ قبرِ عبرِ هاتيك القفارُ
الرملُ يرضعُ شعرها ويمصُّ أيامي العذابُ
ياليت أعماقي تُرابُ
بدلُ الرمالِ العابقاتِ على ثراها يا رفاقي في
البحارُ
أمسٍ كرهت الرمل وهو لظى ونازُ
واليومَ أحببتُ الرمالُ
العبقاتِ بعطرها وكرهتُ محارِ البحارُ
والعطر. كلُّ جواهرِ الدنيا وأعناقِ النساءِ
فحببتي ماتت ولو أن الحبيبُ
محارةً لسكنتُ أعماقَ البحارُ

لو أنها نجمٌ لكان الليل أجملَ من ينابيع النهار
ليس الجفافُ بأن تعيشَ مع الجفافِ
إن الجفافُ بأن تعيشَ بلا حبيبِ
والأرضُ لولا الحبُّ قبرٌ من جليدِ
ويحَ الحِمَامِ
أَيكونُ بطنُ الأرضِ أحنى من ضلوعي
والحِجَارِ؟
ولمَ البقاءُ وكلُّ شيءٍ للفناء؟
العطرُ والضحكُ والعبثُ المحبَّبُ والهناءُ
ضوءُ النجومِ من العيونِ الحالماتِ
تحتَ الثرى. ومن الشفاهِ الذابلاتِ
عطرُ البنفسجِ والورودِ العابقاتِ
ويحَ الحياةُ
تعطي القليلَ لتأخذ الشيءَ الكثيرَ
من رحلةِ العمرِ القصيرِ

المذكرة العاشرة

البحرُ أجملُ ما يكونُ
لولا شعوري بالضياءُ
لولا هروبي من جفاف مدينتي الظمأى وخوفي
أن أموتُ
عريانَ في الأعماق أو في بطنِ حوتِ
إني أحاذرُ أن أموتُ
لَمَّا أفكَّرُ أن لي بيتاً ولي فيه عيالُ
لما أحسُّ بأن في الدنيا جمالُ
يا أيها الفجرُ المشعُّ ويا أصائلُ ياليلِ
الشمسُ في الآفاق كالإيمان في قاع النفوسِ
ومن القلوب المؤمناتِ
بالأرض والانسان تنبثقُ الحقيقةُ والحياةُ
زرقاءً صافيةً كعين حبيبتي عند اللقاءِ
كالفجر كالأمواج حين تنام كالأنفك المضاءِ
وكما يشعُّ النجمُ في كبد الظلامِ
يأتي الربيع من الشتاءِ
وغداً ستُطر غيمتي. ويزوب في الرملِ
الصقيعُ
والمجدُ للأسرار في القلب العظيمِ

وإلى المحبة للجميع
وإلى الربيع
في كل أرض في الشمال أو الجنوب
والمجد للمخار في كفي هدايا للعداوى
الطاهرات
الحاملات جنين إنسان الحياة
القارع الأجراس في ليل الطغاة
يا بحر يا محار يا سحر الأصائل يا عداة
أمنت أن غدا سيشرق في بلادي والحياة
ستدب حتى في الرمال
ومن التشرّد في البحار
سيشع في روعي النهار.

المذكرة الحادية عشرة اللؤلؤة

وصرختُ: عندي^(١). وانتفضتُ. وأبرقتُ كلَّ العيونُ
كشموعٍ أقبيةِ المناجمِ كالجروحِ الدامياتُ: قمرٌ صغيرٌ.
في عشه الفضيِّ أمسِكُهُ. وصاح بي الصَّحابُ:
طوباكَ. وانتفض الرئيسُ كمن يحاذر أن تذوبَ
من نارِ عيني: إنه يومٌ جميلٌ
قال الرئيسُ. وراح يُشبع ناظريه رحتُ أسألُ:
أبي جيدٍ يا فلانُ؟
ستشعُ فيه قلادةٌ حملت عذابي في البحارُ؟
وذكرتُ، «طيبةٌ» عندما انتفضتُ ضلوعي
كالحمامة في الصباحِ
حتى أكاد أشمُّ رائحةَ الضفيرةِ والوشاخِ
ورطوبةَ البئرِ المثرثرِ حين تُلقِي دلوها عند المساءِ
طار الخيالُ
بضلوعي الظمأى وأقدامي تُقرِّحها الحبالُ
وكأن سرّاً في البحارُ
مازلتُ أجهله ويفهمه القراصنةُ الكبارُ

(١) عندي: كانوا يغلقون المحار في الفجر بينما يجلس الرئيس في مكان مشرف على الجميع، ومن عاداتهم أن يهتف من يعثر على لؤلؤة بكلمة: عندي.

الباحثون عن المحار
وعن اللآلي والجواهر للنساء الأخريات
وككف عفريتٍ تُمدُّ من العُبابِ
أبصرتُ صاريةً تكاد تطير. وابتسم الصَّحابُ
عاد الغرابُ
وضحكْتُ من عُبنٍ. وغنَّى بعضنا: ليت النساءُ
اللابسات لآلي البَحَّارِ قد دُقن العذابُ
ومرارةَ الدنيا كزوجته الحزينةُ
في بيتها الطينيِّ حاملةً وحيدةً:
سيعود ثانيةً بلؤلؤةٍ فريدةً
يا جارتِي سيعود بحاري المغامرُ
سيعود من دنيا المخاطرُ
ولسوفَ تُغرِقني هداياه الكثيرةُ.
العطرُ، والأحجارُ والماء المعطرُ، والبخورُ
ولقاؤه لَمَّا يعودُ. كأنه بدر البدرِ.
وشعرتُ بالحقِّ اللذيذ على الحياة، على
الجميع، على المدينةُ.
و«كخفرع» في أرض مصرَ، وفي الصباحِ،
جلس «الرئيس» يمصُّ غليوناً ويسعلُ في رياءِ
كالمُلوِّك:
هذا هو «الطواش»^(١) والكيس الكبيرُ
كيس النقود. والكغرابُ

(١) الطواش: تاجر اللؤلؤ. يبحر مع سفن الغواصين قديماً لشراء اللؤلؤ.

يعلو ويهبطُ في سفينتنا الحزينة. والجميع
يتسألونَ - بكم يبيعُ؟
وكفارتينُ

عيناَيَ تندسَّانِ في ثوبِ الرئيسِ تُفتَّشانُ
عن خرقه حمراء^(١) تحجب ضوءَ لؤلؤةٍ عجيبةً
تحلو على صدرِ الحبيبةِ
وسمعتُ دندنةَ النقودِ وضحكةً كصريرِ بابٍ:
خذاها فأسواقِ الهنودِ

هيهاتَ تملك مثلها. وكغيمةٍ سوداءٍ تلعنها
الجرارُ

شقَّتْ سفينتنا العُبابَ وغاب «طواشُ البحارِ»
كاللصِّ في وضحِ النهارِ
والأرضُ تشتتُ من بعيدٍ: يا بكارُ
مازلتِ مثلي ترزحين بكلِّ عبءِ السماءِ
خرسائِ صامئةً تطلُّ على الجميع بلا حياءِ

(١) كانوا يضعون اللؤلؤة في خرقه حمراء بعد أن يخرجوها من المحار.

المذكرة الثانية عشرة

قَلَّمْتُ أَشْجَارَ الْفِرَاتِ
وَحَمَلْتُ آلَافَ الصَّخُورِ مِنَ الشَّوْاطِي النَّائِيَاتِ
وَدَخَلْتُ «مَسَكْتَ» فِي الظَّلامِ بِلا سِراجٍ
حيثُ الرُّؤى والسَّحَرُ فِي حاراتِها. وبِلا دَليْلِ
أَبْحَرْتُ فِي شَطانِ «أَفْرِيقِيا» وَحارِبْتُ الرِّياحَ
فِي بحرِها اللَّيليِّ كالنَّجمِ الحَزينِ
حيثُ التَّماسيخُ الكَبيِرةُ والأَفاعي القارِعاتُ
أَجراسِها فِي ليلِ غاباتِ الهَنودِ
وأَكَلْتُ لَحْمَ الحوتِ مِنْ جوعٍ وَصَلَّيْتُ المِساءَ
بِجوارِ أَجْراسِ الكَنائِسِ فِي بِلادِ أَجْنيبِةٍ
وَمِنَ المِراةِ فِي كَوَّوسِيا مِنْ عذابِيا فِي البَحارِ
دَخَلَ النِّهازُ
والشَّمسُ فِي رُوحِيا فَشَعَّتْ كالنِّهازِ
وَعَرَفْتُ أَنَّ الأَرْضَ لِلأَيْدِيا السَّخِيةِ وَالعِطاءِ
وَإِلى الَّذِينَ يَحارِبونَ
مِنْ أَجْلِ إِيقادِ الشَّموسِ
وَإِلى الَّذِينَ عَلى الضِّفافِ القاحِلاتِ
صَنَعوا الحِياةَ
فَكَانَ أَعْيَنَهُمُ ظِلالُ
تَحْتَ الظَّهِيرةِ أَوْ رَبِيعُ

يا أغنياتِ الفجرِ يا أمطارَ واحاتِ الجنوبِ
يا أنجُمَ الليلِ الحبيبِ
لا تبرحي تلكَ القبورِ
العاقباتِ كأنها واحاتُ زيتونِ ونورِ
والمشركاتِ كما البدورِ
تحت الرمالِ
وعلى السواحلِ كالمناثرِ كالقلاعِ
يا عاشقًا عطرَ الجنوبِ
ليست عطورًا ما نَشَقَّتْ بِلِ العظامِ
لا لن يموتَ
قلْبُ كمصباحٍ يشعُّ إلى الجميعِ
أني أكاد أشمُّ في تلكِ الرمالِ
مسرى خيولهم الأصيلة حين تذهب للقتالِ
وقرابِ نوقهم الحزينة حين يُسكرها الحداءِ
وخيامهم تحت الشموسِ وقهوةً عند المساءِ
و«دلالهم» صفراءَ عابقةً تدارُ
مثلَ النجومِ المبحراتِ مع العطورِ
والرواياتِ حديثِ سُمّارِ اللياليِ والبدورِ
وحدأؤهم خلفِ الجمالِ:
وهجُ الظهيرةِ والبدَاوةِ والرمالِ
وسراجُ غواصِ يعودُ أحبُّ من مدنِ الشمالِ

المذكرة الثالثة عشرة

في ليلةٍ سوداءٍ كالكهف الكبيرُ
كانت سفينتنا الحزينةً وسطَ أمواج الخليجِ
مملوءةً بيضائعِ التجارِ والمتشردينُ
الباحثين عن الظلالِ
وعن الرغيفِ
والهاربين من المجاعة «كالهنودِ»
و«كالمهاري» الضائعين على الخليجِ
تحت العواصف. كان عمري لا يزالُ
في قمة العشرين أو سنةً يزيد من العذابِ
وردُّ بلا عطرٍ كأشجارِ الصخورِ!
أبصرتُ صعلوكاً يحدق في وجوه الآخرينِ
كاللص كالجاسوس خلفَ أزاره القدرِ العتيقُ
عيناه تُبرق كالمواعد وسطَ غابِ
كالجمرتين كعين قط. والصَّحابِ
موتى من النوم العميقِ
إلا أنا والموج والأسماك والنجم البعيدُ
وشعرت بالخوف الغريب كأن في عينيه عملاقُ
البحارِ
الناطح السفنِ الكبيرة! أيها الوغد اللعينُ



وترصدته عيوني الظمأى لمعرفة اليقين
ماذا سيفعل؟ قلتُ في نفسي. وفي سفن البحار
مافي السواحل من صعاليك وأغرابٍ كثار!
هيهات تنقذك السفائن في البحار من الجفاف
في الأرض. وارتعش الإزارُ
فكأن فأراً خلفه
في الليل يحلم بالغذاء. وفي الظلام
مأوى الجريمة. والعقابُ
في الفجر حيث الشمس تهتك كل نولٍ
للعناكبِ واللصوصِ
وسمعت صوتاً في العبابِ يدبُ
كالحجرِ الثقيلِ
وتدفقتْ نقطُ المياه على السفينة كالבصاقِ
وقفزتُ كالملدوغ ألتمس الحقيقة في الظلام؛
في الليل ينتحر الجبانُ. وصحتُ من أعماق صدري انقذوه:
وتحركتْ جثث النيام كأنهم
نفضُ العباءة حين يعلوها الغبارُ
ماذا؟ وأبرقتِ الجسومُ العارياتُ
وأجبتهم: قد مات. ماتُ
وتطلعوا للبحر كالمتشككينِ
البحر أسود كالزنوج. وفي الفضاء
ضوء النجوم يموت قبل وصوله. وسراجنا الدبُّ الصغيرُ
هيهات يكشف ما تلبد من ظلامٍ مثل صدر المستريبِ



يا أيها الصُّلوك أنت قتلتَهُ

وحلفت: بالله العظيم

قد مات منتحرًا. ولو أن النجوم

تُعطي شهادتها لقات ما أقول:

يا أيها النجم الحزين كعين والدتي العجوز

وبكيت من حزن عليه وليس خوفًا أن يقال:

أني قتلت. لأنني أهوى الجوىع

وأحفظ الشيء الكثير من الكتاب:

القاتلون سيقتلون. وفي السماء

ربُّ سينتار للضعيف إذا ازدراه الأقوياء

وكما يُشقُّ القبر عن صوتٍ سمعنا في الظلام

فوق العُباب نداءً إنسانٍ يموت

وبلا انتظار

ألقيت نفسي في الخليج ورحت أسبح مثل تمساحٍ صغير

يتفقد الأمواج. يسألها. وتبرق من قريب

قطرات ماء كالدموع القافزات

ويدُّ تمُدُّ من العباب كما اللسان

ورفعت رأسي آنذاك كسلحفاةٍ في الفرات

ومسكته. وهمستُ واللهاتُ في صدري: تعالُ

ومن العذاب إلى العذاب

القيته فوق السفينة مثل مصعوق. وباركني الصَّحاب:

أنقذت روحًا. سوف يجزيك الإله. وفي الصباح

شهِق الجميع لأنه أمرٌ عجاب



وضحكتُ في سري. لقد كان الغريقُ فتنَى يُقال له «حسينُ»
قذفتُهُ عاصفةُ البحار من السفينة للعبابِ
ورفيقُنَا «الهندي» مات وربما أكلته أسماكُ البحارِ
في الليل وابتسم الجميعُ
وكُلُخمةٍ في البحر أعيها المطافُ
شَقَّتْ سفينَتُنَا العبابَ «لزنजारُ»



المذكرة الرابعة عشرة

قصصُ البحارِ كثيرةٌ
ماذا أقصُّ لكم؟ وهل تتحسسونُ
وخز الحرارة في حروفي؟ والحروفُ
أعصابُ إنسان يغني أو يموتُ
ماذا أقصُّ لكم؟ وفي صدري تموت
أحلى أغانيه وحبكم القديمُ
وجحيم ليل الأمس أحرقتني. وهأنذا رماذُ
وغداً ستجبله الأيادي كي يصيرُ
تمثالَ عارٍ للجميع. وكاللسانُ
أبدأً يحدثُ عن حقارةِ عالمٍ
من عهد «قابيل» تهاوى للحضيضُ
ماذا أقصُّ لكم
وماذا تفهمونَ عن الجراحِ السَّارداثُ
قصص الذين يغامرونُ
كيما يعودوا باللالئ والعطورُ
لنساءكم. وإلى الجواري الشاربات دم العيونُ
والشمسُ تشرق للجميع سوى الظلالُ
للنائمين إلى الضحى. ماذا أقولُ

وفمي به ماء كضفدعة الحكيم
ونساء غابات الشمال
للآن ما برحت عطوري في صفائهن والتاج الكبير
قد رصعته لألبي. ماذا أقص لكم وفي قاع البحار
أسطورة الدم والعظام
وحبال غواص. ولوح سفينة
وحروف أغنية «النهام»
ورماد شمس في ضلوعي يا «حذام»
عينك في روحي وجسمك في الرغام
تتعطر الأرضون منه كأنه
عسل وخمر للجميع
وكوردتين
كنجمتين
كدرتين من البحار النائيات
عينك في ليلي وحبك موقدي
ماذا أقص لكم وعهدي في البحار
قد صار ياما كان صار
لم يبق غير الذكريات
الزاحفات على المباني الشاهقات
المطبقات على منازلنا القديمة
وظفولتي الرعاء والدرب الحزين كوجه والدتي الحزينة
ونداء جاري يا «أمينة»



سفن المغاص غدًا تعود إلى المدينة
وصباي و«المكصي^(١)» في الساحات والثوب الجديد
في العيد نلبسُهُ. وإن جاء المساء
تبدو الكآبة في العيون القابعات على الطريق
والموقد الطيني ينتظر الجميع
كعيونٍ مجدورٍ. وجارتنا العجوزُ
وطهارةُ الكلمات حين تقولها
مثلُ الدواء
وغناءً سقًّا ضريزُ
أعمته شمسُ البحر. يا بابًا^(٢) كبيرًا نصفه باب صغيرُ

(١) إحدى لعب صبيان الحارات القديمة في الكويت.

(٢) المقصود هنا الباب الشعبي القديم «أبو خوخة».



المذكرة الخامسة عشرة

الليل يُطبِّقُ فوق حارتنا الحزينة. والنجومُ
زرقاءُ لاهتةٌ كألسنةِ ظمَاءٍ
وأنا ووالدتي وموقدنا المرمد لا يزال كُرأس والدتي العجوزُ
فيه بصيص من لهيبٍ سوف يطفئه الزمانُ
قد أبحرت سفنُ المغاص وأنت باقٍ. والرغيفُ
كحمامةٍ بيضاءٍ تقطنُ في البحارُ
وتطلَّعتُ عيناى من ثقب الجدار
تتسلَّقُ الأفقَ الدجى إلى السماءِ
كالعنكبوتِ
وسمعتُ والدتي تقولُ:
في البحر رزقُ الناس يا ولدي. وأيامُ الجفافِ
في الأرض ما برحت. ومن يُلِقُ الشباكُ
يأكلُ. وفي قاع البحارُ
الخاتمُ المسحورُ والرزقُ الكثيرُ
وتروح والدتي تقصُّ عليَّ ما سمعتهُ من إحدى النساءِ
الساھراتِ على المواقد في الشتاءِ:
عن ذلك الصياد والكنز الثمينُ
وعروسةِ الماء الجميلة حين مَزَقَتِ الشباكَ لكي تعودُ
للبحر ثانيةً وعن حجرٍ ثمينٍ
للآن يحلم فيه بحار وصياد يجول. وكالغرابِ
طار الخيالُ إلى الصَّحابِ

وحبالُهُمْ وَسَطَ الْخَلِيجِ

تحت المياه يفتشونَ عن المحارِ

وأنا هنا أصغي لوالدتي العجوز كَأَنِّي طفلٌ صغيرٌ

تُروى حكاياتُ الصغارِ إليه قبلَ النومِ يا سمكَ البحارِ

الزورقُ الخشبيُّ والحبلُ الممسدُ والشِّبَاكُ

مُلْكٌ لغيري والرسولُ عليه إصدارُ البلاغِ كما يُقالُ

ماذا أقولُ إذا رجعتُ مع المساءِ لسيدي حيثَ الشبَاكُ

مبتلَّةٌ تهترُّ فوقَ الكتفِ خاليةً الوطابُ

والبحرِ فيه الرزقُ يا سمكَ البحارِ

وعلى المياه الزرقِ تنزلقُ الشبَاكُ

وتغطُّ كالأنعى الكبيرة للقرارِ

والزورقِ الخشبيِّ تحت الشمسِ يبرقُ مثلَ جاسوسِ صغيرِ

حيثَ السماءُ

زرقاءُ صافيةٌ تطلُّ على الجميعِ

وأحسُّكُنَّ إذا تلوثَ فوقكُنَّ شبَاكي المتلصصاتُ

لطريقكُنَّ. وصوتُ أُمِّي لا يزالُ

وخيالُها المسحورُ في أذني: في سمكِ البحارِ

الخاتمِ المسحورِ. وانطفأَ النهارُ

وكما يغني في بحارهم الصَّحابُ

تحت الشُّراعِ

غنيَّةٌ حينَ سلكتُ دربي للمدينة:

أوَاهُ يا رُوحِي الحزينةُ

لا شيءَ عندك تملكينهُ

المذكرة السادسة عشرة

تحت السَّقوفِ الواهياتُ
كضلوعِ مسلولٍ. وفوقِ حصيرنا الدبقِ العتيقُ
في بيتِ «سيدنا» تعلّمتنا الكتابُ
الحمدُ لله الذي خَلَقَ العظامَ من الترابِ
ومن الثقوبِ الناتئاتِ على الجدارِ
كعيونِ أعمى كالجروحِ الدامياتُ
ينسلُّ ضوءُ الشمسِ كالجاسوسِ من كلِّ الجهاتِ
وبما تبقى من حصيرِ
أو بالخروقِ البالياتِ
نسدُّ عينَ الشمسِ في ذاكِ المكانِ
وعلى الجدارِ
مسمارُ «فلقتنا» تهدلُّ كاللسانِ
كالأصبعِ المجدورِ ينذرُ بالعقابِ
للصبيةِ المتمردينِ
والرملِ في الساحاتِ. والبحرُ الجميلُ
يذكي بنا العبثَ البريءَ. ومن خلالِ
شقِّ الجدارِ
أو ذلكِ الثقبِ الصغيرِ
ننسلُّ كالفئرانِ حينَ يغيبُ سيدنا

وفي غد القريب
«الفلقة» المعونة الرقطاء كالأنعى الكبيرة
تطوى على أقدامنا السود الصغيرة
ورقابنا لما تميد على الكتاب
مثل الدلاء الفارغات:
اقرأ. وتهتزّ الظهور الواهيات
يا والدي أنا لن أعود. وفي الصباح
صلّ الصباح
يا أيها القرد الصغير. يقول والدي العنيد
ومن خلال
أهدابي اللزجات من دمع المساء
والقرمز الليلي المبح وجهه القاسي العنيف
وأنا أصلي بيد أني لست أفهم ما أقول
وما حفظت من الكتاب
وكقطة صفراء تبدو الشمس في عيني
في ذاك الصباح
لابد من حفظ الكتاب وحمل سيفك كالمحارب. والحيأة
سيف وقرطاس. كما قالوا بحارتنا. وفانوس صغير
فوق الضفاف أحب من شمس على ذاك الحصي
ولكل دلو ماء. وفوادي الحر الصغير
صندوق الأم تحطم من زمان
لن تدخل الكلمات فيه عن لسان
رجل عجوز

وعصاهُ فوق رؤوسنا . نحن الصغار
الهاربين من اللحي السوداء أشبه بالكبار
الحاقدينَ على الحياة وليلها . نحن الصغار
نترقَّبُ الجُدري يأكلنا وتصهرنا الظهيرةُ
كي لا نعودُ

للسقفِ في بيتِ كقبر من رمالُ
تتحركُ الجدرانُ فيه إذا سرت ريح الشُّمال
وكعنترَ العبسيِّ حين يعود من ساح القتال
سيفي المذهب في يدي وتحت ثوبي لا يزال
أثر الهرة مثل آثار الندوب
في أمِّ رأسِك يا أبي من ضرب سيدك القديم
في أرضِ «نجدٍ» والعذابُ هو العذابُ
في كل أرضٍ في الشُّمال أو الجنوب
وغدًا سأنسى ما حفظتُ كما نسيت . وفي الرمال
أثرُ القوافلِ سوف تمحوه الرياحُ

المذكرة السابعة عشرة

الأرض تطردنا وتلفظنا البحارُ
للقاع أو لسواحلٍ ظمأى تعربد في مجاهلها الرياحُ
والليلُ حيث كهوفهُ السوداءُ كالأشداق تملأها العظامُ
وهياكلُ الموتى الذين رماهم البحر المعربد في الظلامُ
ها نحن تحت الريح نبحت عن صفافُ
الريحِ حطمتِ السفينةَ فهَيَ ألواحُ يبعثرها العُبابُ
كعظامِ إنسانٍ تكسرها الخناجرُ والحراِبُ
والأفقُ أسودُ كالعيون المطفأتُ
والبحرُ مثلُ ضميرِ جلالٍ كآدمَ حين أغوته الحياةُ
أين الطريقُ؟ لقد أضعناه على الأرض الكئيبةِ والبحارُ
لا شيءَ وانطفأ النهارُ وغاب ثانيةً وعاد
وأنا وصحبي الهائمونَ بلا دليلُ
نتفقُّ الشيطانَ لا ماءً ولا زادًا سوى زبدِ الأجاجِ
وسوى اجترارِ
شيءٍ بداخلنا يموتُ
ورطوبةُ الأفقِ الحزينِ نلقُّها لقا من الظمأ الشديدِ
فلعلَّ فيها قطرةٌ تشفي غليلُ
وشعرتُ في موتي يشدُّ يدي وأذني للرفاق العائمينُ
قربي عرأةٌ يلهثون وقد تغوّرت العيونُ
الحاملاتُ حقارةِ الأرض الذليلةُ

وسمعت صوتاً في القرازُ

أين الفرازُ؟

الأرضُ تطردكم وتلفظكم متاهات البحارُ

الحوثُ جائعٌ هنا والأرضُ ظامئةٌ هناكُ

لابدٌ منك وإن نجوت فمن هلاك سوف يعقبه هلاك

وسألت في نفسي إلى أين الفرازُ

ولمَ اللجوء إلى الضفاف ونحن فضلنا البحارُ

أهناك ثالوثٌ؟ وعربدٌ ملء أعماقي جوابُ

لاشيءٍ. والدنيا عذابُ

ها نحن فوق البحر أربعةً وخامسُهُم يموتُ

غرقاً قبيل وصولنا الشاطي. وكان لظى الرمالُ

تحت الظهيرةِ ذوب أكباد بها داء عضالُ

وتلففتنا الأرضُ حاقدةً كتثور كبيرُ

ولمَ الوصولُ؟

لِمَ لَمْ نَمُتْ غرقاً إذا كان المصيرُ

في الأرضِ جوعاً للجميع؟

ها نحن غرثى هائمين بلا متاعُ

لا شيءٍ غيرُ الجوع والاختساب نأكلها كأن بها بقايا من ثمارُ

ومن الأجاجِ نعبُ كأساً من زلالُ

والجنة الخضراء تبرقُ كالمواقد في الخيالُ

وتطلعتُ حولي العيونُ

مثل الخروقُ

وشعرت بالخوف العظيمِ

وقلت ماذا يفعلون؟

لابدّ من أكلٍ. وكنت فتىً. وأكلة اللحوم
للآن ما برحوا سنأكله ولو فيه السموم
وصرختُ من جوع ومن خوف وقالوا: لا محالُ
ستموتُ كي نحيا. وكانوا كالوحوشُ
وهتفتُ من أعماق أعماقي: حرامُ
وتفتحتُ أشداقهم غرثى يغطيها الجثامُ
والملحُ والجوعُ المعربدُ.. يا رفاقي الأوفياءُ
وتألبوا ضدي «كيوسف» ثم وليت الفرارَ
وكنْتُ أسمعهم ورائي يركضونُ
فوق الرمال. وفي الظلامِ
في قعر كهفٍ قد أويتُ وكنْتُ
أسمعُ خطوهم تحت النجومِ
ونسيتُ أن تأتي الذئابُ
كيما تمزقني
لقد كانوا أشدَّ من الذئابِ
لابدّ من أكلي. وأبرقتِ السماءُ فخفتُ من ضوء السماءِ
ستتيرُ دربهمُ لكهفي. جائعونَ يفتشونُ
عن جائعٍ كي يأكلوه. وفي الصباحِ
ألفيتهمُ فوق الرمالِ المطراتُ
يتنفسونَ بلا حراك كالمواتِ

المذكرة الثامنة عشرة

صوتُ الدفوفِ يرُنُّ في أذني فتشربه الضلوعُ
من الحنينِ
قبلَ الرُسُوِّ إلى الضفافِ المشرقاتِ
بنسائنا ودفوفهن. نسائنا المتطلعاتُ
للبحرِ حيثُ شرأعنا كحمامةٍ بيضاءٍ أعيها المطافُ
فلها حنينٌ للضفافِ
وكفرحةِ الأيديِ الرشيقةِ حينَ تضربُ
أو تلوح بالدفوفِ
فرح القلوبِ الحاملاتِ الأغنياتِ
والشوقُ من شمسِ البحارِ
وكما أميز وردةً بين الورودِ
أو نجمةً بين النجومِ لمحتها بين النساءِ
وأكاد أنشقُ عطرها قبلَ اللقاءِ
وكملتقىِ النهريْنِ يرتفعُ «النهام» مع الغناء:
روحي فداءً
لسفينةٍ عادت بهم. وهبطتُ شيطانَ الرمالِ
مع الصَّحابِ
وغداً يباركني الرجالُ كما تباركها النساءُ
وغداً سأدخلُ بيتها بعد المساءِ
سينيرُ دربي ضوءُ فانوسٍ وتهليل. ورائحةِ البخورِ
في بيتها الطينِيّ يومئٍ، لي ليبتلحِ الزمانُ
يومي وشمسِ غدي، ليجمَعني وإياها مكانُ

سأذيبُ فيه العمر. يا أشهى العطور ويا حريزُ
يا أغنياتِ البحرِ يا رقصِ النساءِ الضارباتُ
على الدفوفِ ويا عذارى الأغنياتُ
سأشوقُ دربي بينكنُ بثوبي العطرِ الجديدُ
وعباةتي السوداء حيث يدي
تراقصُ خيطَ مسبحتي الطويلُ
وبأضلعي شوقُ السنين بما تضم من الحنينُ
سمرأً يا فجرَ الربيعِ ويا عطورَ الياسمينُ
يا أغنياتِ القلبِ حين يجيش بالفرح الحزين
ها أنتِ قربي تجلسين
بثوبك العربيّ ذي الكُم الطويلُ
والسلة الحمراء كالعشّ الجميلُ
وعلى الجدار بصيصُ فانوسٍ ومرأةٌ كبيرة
وتدفقي وأنا أصلي فوق ثوبك والنساءُ
الأخرياتُ
خلف الجدارُ
وحدثهن عن السوارُ
والحقّ والصندوق والماء المعطر والمراشُ
وكوردتين
أهداب عينك تومئانُ
تحت النقابُ
والأصدقاء على الضفاف مع الشراعُ
يترقبون مجيءَ فارسك الحزينُ
كي يبحروا. وكما رجعت مع المساءُ
إني سأبحرُ عائداً. فإلى اللقاءُ

المذكرة التاسعة عشرة

في كلِّ أمسيةٍ وراء جدار مسجدنا الكبيرُ
يتحرك الماضي بنا ويذوبُ عالمنا الجديدُ
وتطلُّ من شُرْف الخيالِ المشرَّبِ إلى البعيدِ
نكرى البحار وما تناثر في سواحلها من المدنِ
الكبيرةُ

(بمباي) والسوق الكبيرةُ

ولحى الهنودُ

وهواء «دارين» الجميلة والفواكه والورودُ

بحقولها الخضراء. و«اليمين» السعيدُ

وما تناثر في سواحلها من السفن الكبيرةِ

والضبابُ

والعاملاتِ السَّحَرَ في الغار البعيد

«بحضرموتُ»

والفيل حين يعود من غاباته في «زنجبارُ»

وزنوج «أفريقيا» الحزينة والتماسيح الكبارُ

ومقاهي العشاق في أقصى الجنوبِ

وضحى «المكلا» حي يعبق بالعطور وبالنساءِ

العائداتِ من الحقولُ

ونروح نجتِر الخيال ونستعيدُ

ذكري الحجار الهابطات مع الرجال إلى القراز
حيث الصخور المورقات وحين أكوام المحاز
وسفينة « الطواش » مثل مدينة ملعونة
وسط البحار
تترصد الغواص في ضوء النهار
وغناء « نهام » ضريز:
قد أطفأت شمسي الرياح
وعرقلت سبلي الصخور
وجماجم وعظام موتى قاءها ليل القبور
وأنيبنا فوق المجاديف الطويلة مثل شلال الجبال
أه. وتنزل السفينة بالبضائع والشتائم
والسماء
دكاء في عيني ومشرقة بأيام الجميع
وشراعنا عند القلوغ
رئة تعرّت من ضلوغ
ونباح كلب في الضفاف
لما رسونا هارين من الرياح
شيء كثير
مازال في أعماقنا. والذكريات
مثل الغذاء
والدفء في صمت المساء
تحت الجدار. جدار مسجدنا الكبير
في الحارة البيضاء. والأطفال من فوق السياج

يودعونُ

شمسَ النهارِ باغنياتٍ لستُ أفهمُ ما تقولُ
ويَرُّ في سمعي الأذانُ وينتهي لعبِ الصغارِ
والذكرياتُ ولعبةُ «الداما» وتسقطُ كالنقودُ
في ذلك الكيسِ الكبيرِ لكي نعودُ

للذكرياتِ مع المساءِ

في يومنا الثاني. وفي صمتِ البحارِ

نبتتُ عظامُ رفاقنا مثلَ المحارِ

وغداً سيجمعها الصغارُ

اللاعبونَ على السِّياجِ

وسيبحرونَ مع الرياحِ مع الشراعِ

فالبحرُ مأوى للجميعِ وإن رمتنا للضفافِ

ريحُ الشمالِ

وسيلعبونَ بلعبتي تحتِ الجدارِ

ويغازلونَ الذكرياتِ المبحراتِ معَ النهارِ

المذكرة العشرون العودة إلى الأرض

الشمسُ في حارتنا تلوبُ
تبحث عن بيوتنا الموصدة الأبوابِ
كأنها مقبرةٌ لعالمٍ قديمٍ
عظامُها مزامرٌ تنفخها الرياحُ
فتهربُ الشمسُ والأقمارُ
الشمسُ في دروبنا تنهارُ
كأنها عروسةٌ
إكليها ممزقٌ يا أيها الجدارُ
يا نولَ عنكبوتٍ
أكاد أن أموتُ
مختنقاً بالليلِ والدخانِ
يا أيها الربانُ
جننا هنا نجدد العهدَ إلى الشيطانِ
نصنعُ من عظامنا مدينةً ثلجيةَ الجدرانِ
ما قيمةُ الشمسِ إذا أضاعت الكهوفُ
وأحرقت بيتي يا شموغُ
يا موقداً تسعل من دخانه الدموعُ

في بيتنا القديم. يا كوتنا السوداء
يندسُ من خلالها الصباحُ والمساءُ
يا جارتِي العمياءُ
والقصص الحزينة التي تطولُ
كي يقصرَ الليل ولا تزالُ
في خلدي أسطورةَ الحسناءِ
وحبُّها العميقُ للبحارِ. والرسولُ
يقتله الأميرُ في حكايةِ الخبازِ
وفي الخيال
مأوى الذي تطرده الحياةُ

☆☆☆☆

شاهدتُ في مدينتي الشيطانُ
يسخرُ من آدمَ. فالسماءُ
تلفظه. تلعنه. حبيبتِي حواءُ
سيدتي. أميرتي الحسناءُ
أعراقنا مسمومةٌ وحبُّنا اشتهاؤُ
شربتُ من عينيك ما أظمأني
واضحكُ الشيطانُ
وأنزل الانسانَ من عليائه لتأكل الديدانُ
أعصابه. وتنهش الذئبُ
لحومهُ. يا عالم الصَّبيرِ والذبابِ
يا خيمةً مهروءةً الأطنابِ
حبَّالها مشنقةٌ تأوي لها الغربانُ



أخرجنا الشيطانُ
 منها . وفي خمائل التفاحِ
 مأواه . والغلالُ
 يجمعها «يوسفُ» للذين قد رموه
 في البئرِ والقميصُ
 ممزقٌ يعرب عن جريمة العشاق
 هيهات لن يُطاقُ
 عبءُ الهوى . ما قيمة العطورِ
 وأغنياتِ الحبِّ والزهورِ
 ولعنةُ السماءِ
 تطارد الجميعَ يا حواءُ
 يا شجر التفاحِ
 نحن هنا تحرقنا الشمسُ ولا تضيئونا
 والأرضُ كالآتداءِ
 حليها السموم . والأقمارُ
 يخنقها الجدارُ

☆☆☆☆

كفرتُ بشمسٍ تضيئ الكهوفَ
 وبينني ظلامٌ كفيئُ البصرِ
 كفرتُ بأرضٍ لغيري الغلالُ
 ولي الشوكُ من ريعها والسَّهرُ
 سلامٌ على نفحاتِ الخليجِ
 وإن كان للغيرِ منه الدُّررُ



سلامٌ على الرمل عند الضفافِ
 كمخدعٍ فجرٍ عليه انتحر
 سلامٌ على ذكرياتِ السنينِ
 تلوُّحُ كسربِ حمامٍ عبر
 سلامٌ على سفنِ العائدينَ
 و«نهَّامهم» تحت ضوء القمر
 سلامٌ لأشْرعيةٍ في الخليجِ
 تجوُّبُ البحارَ وتهوى الخطر
 سلامٌ على راحلٍ للمغاصِ
 سلامٌ على عائدٍ من سفر
 سلامٌ على ضارباتِ الدفوفِ
 ونذُرٍ يحققُ حلمًا ظفر
 سلامٌ على مجلسٍ في الظلامِ
 تنوُّرهُ أغنياتُ الوتر
 سلامٌ على فاتلٍ للحبالِ
 يصارعُ فيها رياحَ القدر
 سلامٌ لحاراتنا في الشتاءِ
 ودرِّبٍ يضيغُ بماءِ المطر
 سلامٌ لسقَّاءِ حاراتنا
 وأجراسِهِ عبرَ ذاك الممر
 سلامٌ على البئر عند الصُّباحِ
 وثرثرةِ الدلولمَّا انحدر
 سلامٌ على موقدٍ في الشتاءِ
 يدورُ عليه حديثُ السَّمَر



سَلامٌ على السُّورِ حيثُ القِلاعِ
وألـوِاحُ أبوابه والحجر
سَلامٌ لحاراتنا الهامداتِ
كأمواتنا وسط تلك الحُفر
تكاد تزيحُ المباني الضخامَ
لِتعرِبَ عن يومها المندثر
أكاد أشمُّ بها الغابرينَ
وما ينطوي تحتها من أثر
«لطيفة» حيث انزلاق الوشاحِ
أمامي لأنني حبيبٌ حضر
تطالعني من شقوق الجدارِ
وتشكو إليَّ عذاب السُّهر
سَلامٌ. سَلامٌ. فإنني انتهيتُ
كغيمٍ تجمَّعَ ثم انهمر
ستشربه يابساتُ الصخورِ
وتُملئ القُرَابُ به والجُرر

من بلاد الهولو

كثبانُ رملكٍ واحنةٌ معطارُ
وأجاجُ بحركٍ سكرٍ وبَهَارُ
يا موطن «الهولو» الذي غننت له
من أمسِ أمسِ سواحلُ وبحار
يا ساحلَ الفيروز حيثُ سفينته
ملءُ البحار كأنها الأقمار
يا قصةَ البحارِ في جولاته
لما رمته إلى البحارِ قِفَار
تتهيبُ الحيتانُ من مجدافه
فله دويٌّ فوقها هَدَار
لولا الحنينُ إلى الجمى ورماله
لبنتُ عليه حراشفًا أسفار
سرجُ الصّواري في العبابِ كأنها
نجمٌ تكسّر فوقها وشَرَار
ضياءُ الخليجُ بها كأن مدينته
هبطتُ به أو عالمٌ نَوَار
عريانُ يمنح لؤلؤًا وقلائدًا
لولا حبالُ مُسّدتِ وإزار
عيناه تحت دجى العُبابِ نهارُ
ويداهُ تحت سُرى الشّراعِ منار

السُّنْدِبَادُ مَضَى وَكَانَ خُرَافَةً
قَدْ حَقَّقَتْهَا تَلَكُمُ الْأَخْبَارُ
الرَّأْوِيَاتُ عَنِ الْبِحَارِ وَمَارِدِ
خَضَعَتْ إِلَيْهِ الرِّيحُ وَالتَّيَّارُ
فِي كُلِّ شَطْآنٍ «نَهَامٌ» صَاعِدُ
وَبِكُلِّ بَحْرِ رِحْلَةٍ وَمَسَارِ
لِلَّذَنْ مَا بَرِحَتْ عِظَامُ رِفَاقِهِ
فِي الْقَعَاءِ مَشْرِقَةً كَمَا الْأَنْوَارُ
الْمَبْحَرِينَ مَعَ الرِّيَّاحِ كَأَنَّهُمْ
فَوْقَ الْعِبَابِ مَلَائِكُ أَبْرَارِ
وَالْمَخْرَجِينَ مِنَ الْأَجَاكِ حَلَاوَةٍ
هِيَ فِي أَيَادِي الْغَانِيَاتِ سِوَارِ
وَالسَّاخِرِينَ مِنَ الْجَفَافِ كَأَنَّهُمْ
فَوْقَ الرَّمَالِ سِنَابِلُ وَجِرَارِ
سَكَبُوا الدَّمَاءَ عَلَى الرَّمَالِ فَأَزْهَرَتْ
فَكَأَنَّهَا بَعِطَائِبُهَا الْأَمْطَارِ
لَوْ تَعَرَّفُوا الْأَسْوَارُ طِينَةَ رَمْلِهَا
لَتَفَاخَرَتْ بِبِنَائِهَا الْأَسْوَارِ
وَلَوْ السَّوَاهِلُ قَدْ تَحَدَّتْ رَمْلِهَا
لَعَرَفْتِ كَيْفَ يُحَارِبُ الْبَحَّارِ
فَوْقَ الْخَلِيجِ يَعُودُ طَارِقُ رَافِعًا
رَايَاتِهِ وَالْفَتِيَّةُ الْأَخْيَارِ
فَكَانَ نَارًا أُضْرِمَتْ بِسَفِينِهِ
هَفَّتَتْ لِتَرْفَعَ فِكْرَةً وَشِعَارِ

وعزيمةً عربيّةً جبّارةً
هيهاتَ يبلغ شأؤها جبّار
وكان صاريّةً تجمّر لوحها
رُفِعَتْ ليسمو فوقها جمّار
ريعَ الخليج من السفن فلم يقر
ر له من الموج العتيّ قرار
وتثاقل الرمل الندي من الدّما
فالأرضُ صحوً والعُباب غبار
وتصاعد «الهولو» بلحنٍ صاخبٍ
وجفّت لوقع دويّيه الأبحار
هيهاتَ يهبط في الضّفاف تثار
أو أن يُدنّس أرضنا استعمار
ولكلّ فجرٍ مُوقدٌ لضياءه
ولكلّ ليلٍ ثعلبٌ ووجار
والمعتدون همّ الضّعافُ عزائمًا
في ملتقى الجمعين والأشرار
والشمسُ ما ضاءت ليشرّب نورها
قبرٌ ويسكن شرقها حفّار
الشمسُ للبحار حيث شراعُه
وحبالُه والبحرُ والمحّار
الشمسُ للبدوّيّ حيث جماله
وحداؤه في البيدِ والأشعار
الشمسُ للخبّاز حيث عجيّنه
وغناؤه ورغيفه الدّوّار

الشمسُ للفلاح حيث بذوره
والتربةُ السمحاءُ والأنهار
الشمسُ للصياد حيث شباكهُ
وخيوطهُ والساحلُ الموار
الشمسُ «لهولو» الذي لَمَّا تزل
أحائه وكأنها الأسفار
تروي حكاياتِ البحارِ وشرعها
في الفجرِ لما يأنف الأبحار
مزجوا الدماءَ مع البناءِ ولم يزل
في السورِ من تلك الدماءِ آثار
وكانما تلك القلاعُ مجامرُ
العطرِ ملءٌ فتيلها والنار
سفنُ المغاصِ عن القلوع تعطلتُ
وكانها فوق الخفافِ ديار
نزع الألى فيها وكيف قلوغهم
وعلى الخليجِ غمامةٌ وغبار
وتعطلَّ المجدافُ عن دوراته
ومداه فهو معاولٌ وحجار
وغيناءٌ بنناءٍ يُقلِّم صخرةً
وسرى جرارٍ ماؤها معطار
زيح النقابُ فلم يعد لجميلةٍ
خدرٌ تموت بليلةٍ وخمار
وكانهنَّ ولالجرارِ تدفقُ
غيماتُ وردٍ فيضها مدرار

وتَرَجَّلَ البَحَّارُ لا «هولاً» ولا
شِرْعاً تُشَدُّ حبالُها وتُدار
وكأنه الحَدَّاءُ خَلْفَ جِمالِهِ
تَدعوه في قِيعانِها الأَبار
الآن تَنَتَفِضُ البَحَّارُ وشرعها
والرِيحُ «واليامال»^(١) والأوتار
ومن المَرارةِ أن يَحارِبَ «أحمدُ»
«عمرًا» ويهدمُ بيته «بشَّار»
وأشَرُّ جِوعٍ أن يَجوعَ «محمدُ»
ولحومُ أبْناءٍ لِه إِفطار
ولمن يُحارِبُ بَعْضُنا بَضراوِةٍ
بَعْضًا وتَطْلُقُ أسْهُمٌ وِعيار
أين العروبةُ يا رفاقَ مدينتي
أين السَّلامُ وكُلُّهم أَشْرار
لو أن «أحمدَ» عادَ من ملحودةٍ
لتَغَيَّرتْ كحِياتِنَا الأَفكار
وتكَلَّمتْ أسْوارُ مَكَّةَ مثَلما
ببلادنا تَتَكَلَّمُ الأَسْوار
قالوا قِراصنةُ تَشْتَتُّ شِمالَهُم
فبِكُلِّ شِطْطانٍ لِهَم أَثار
لا المَاءُ يُسَعِفُهُم ولا غَنَى لِهَم
وسَطَ الحَقولِ العابِقاتِ هَراز

(١) نغم بحري.

ومن الشَّموسِ اللاهباتِ وجمرها
ومِن المَرارة تُخَلِّقُ الأَفكار
قد عَلَّمَتنا الشَّمسُ كيف تُضَاءُ في
حلكِ الظَّلامِ مع السُّرى الأَنوار
سُرُّ الحِياةِ بَأَنَّ تَعاكسَ لِيأَها
وتشعُّ حيثُ تحيُطُكِ الأَسْتار
ولكلِّ صَقيرِ رحلَةٍ وتَنقُلُ
ولكلِّ نَجْمٍ قَمَّةً ومَدَار
والأَرْضُ كالأنسانِ فيه مَحَبَّةٌ
وبه جَهِيمُ الحَقْدِ والإيثار
إِيهِ رَمالِ الشَّمسِ أَيَّ غَمامَةٍ
قد فَجَّرَتها تَحْتِكَ الأَقْدار
سأَلَ السَّنَا مِن راحَتِيكِ وأَبْرَقْتُ
فِيكِ الرَّمالُ وأَمطَرْتُ أَحجار
فكَأَنما بِكَ جَنَّةٌ مَخبوءَةٌ
وَكَأَن فَجْرَكَ فِي الثَّرى فَوَار
فَتَلَطَّفْتُ جِمْمُ الظَّهِيرَةِ وانزوى
ذاكِ الجَفافُ وبُذِّلتِ أَطوار
وعلى الضَّفافِ سَفِينَةٌ مَهجورَةٌ
يَبكي على الوَاجِها مَسمار
فكَأَنها بَيتٌ تَقادِمُ عَهْدَةٌ
أو أَنها ما يَتَنَزَّكُ الإِعصار



وتفياً البحار ظلّ مدينة
عصريّة وتغيّرت أدوار
وتبدلت حاراته ودروبه
والبنر والسقاء والحمار

☆☆☆☆

وطني وفيك من النجوم سموها
ومن العروبة روحها القهار
عنتت فجرك والظلام يشدني
شدّاً وتعصر أضلعي الأكدار
شيطان رملك واحّة معطار
وأجاج بحرك سكر وحمار



العامرية

عَلَّقْتُ كُلَّ شَمُوعِي فِي مَنَازِلِكُمْ
وَفِي دُرُوبِكُمْ وَزَعَّتْ أَقْمَارِي
وَكَلَّمَا عَصَفْتُ رِيحُ بِسَاحَتِكُمْ
أَوَيْتَكُمْ بِضُلُوعِي وَهِيَ كَالنَّارِ
حَتَّى مَضَى جِلُّ أَيَّامِي وَمَا كَشَفْتُ
أَسْتَارَ لَيْلِكُمْ الْكَهْفِيِّ أَنْوَارِي
عَشْرُونَ عَامًا تَقَضَّتْ لَيْتَهَا رَجَعْتُ
لَكِي أَبَدَّلَ آرَائِي وَأَفْكَارِي
فَكَمْ تَحَطَّمُ نَجْمٌ فَوْقَ صَخْرَتِكُمْ
وَكَمْ رَمَيْتُمْ قَنَادِيلِي بِأَجَارِ
وَمَا كَرِهْتُ شَمُوسًا كُنْتُ أُوقِدُهَا
لَكِي أَلْوَدَّ فَرُوحِي كَوَكْبٍ سَارِ
أَنَا الْمَشْعُ إِذَا مَا الْكُلُّ قَدْ هَفْتُوا
أَنَا الْقَوِيُّ بِإِيْمَانِي وَإِصْرَارِي
لَكِنِّي لَمْ أَهْبُ لِلرِّيحِ أَشْرَعْتِي
مَا دَامَتِ الرِّيحُ تَجْرِي ضِدَّ تِيَارِي
وَلَنْ أَمُدَّ يَدِي لِلرَّاقِصِينَ عَلَى
جُرْفِ الْحَيَاةِ وَلَمْ أَعْبَأْ بِثُرَثَارِ

فتحتُ للنورِ أبوابي ونافذتي

ولجمال أسارييري وأغوارِي

في أضلعي ألفُ ينبوعٍ لأغنيةٍ

وفي يدي مشعلٌ من قَمَّةِ النارِ

ظمئتُ يا شاريبي الكاساتِ من عطشي

وجعتُ يا سارقي قمحي وأثماري

أسفتُ أنْ شبابًا رحمتُ أمطره

على الظمَاءِ وإنِّي الظامئُ العاري

على الرمالِ قناديلي محطمةً

وفي الصخورِ بقايا بعضِ قيثاري

كأنني زهرةٌ في عطرها اختنقتُ

أو محربٌ نصرهٌ قد آلَ للعارِ

الغجر ومدينة البحار

غجرُ

غجرُ

قوافل الغجرُ

قد دخلتُ مدينتي لتخطفَ القمرُ

وتسرقَ الرحيقَ من براعم الزهرُ

غجرُ

غجرُ

والحارسُ المجدورُ في مخدعها:

حبيبتي «سحرُ»

لتحترقُ روما فني عينيك لي

أجملُ من قمرُ

وكلُّ ما في الأرض من بشرُ

غجرُ

غجرُ

مدينتي يسرقُها الغجرُ

قد هدموا أسوارها

فلم يعدْ من ذكرها خبرُ

ودنسوا رمالها

فلم يعدْ لخيمةٍ أثرُ



وشردوا بحارها
فلا «نهام» ساهر ولا وتر
عجر
عجر
يشرب من عيوننا
يحرقتنا
يصنع من عظامنا أكر
يجبل من رمادنا قصرًا «لشهرزاده»
يقتل من أعصابنا أرجوحة السحر
عجر
عجر
لا تقرع الأجراس يا شاعرنا
فالكل في ألامه سكر
وبعضنا على صليبها انتحر
وبعضنا يعاتبُ القدر
يصنع من جراحه قصائدًا
حروفها ميتة الصور
عجر
عجر
لتغلق الأبواب يا قوته البحار
والرمل والمحار
لتغلق الأبواب فالتتار
قد هدموا الأسوار



ليخنقوا الأشعارَ في حَنَجْرَةِ البَحَارِ
ويُطْفئوا الحرفَ الذي استعزَّ
ليحرسَ القمُرُ
عَجْرُ
عَجْرُ
ونحن قد تُبْنَا من التجوَالِ
يا أهة «اليامالُ»
أعيادنا حزينةُ
أمطارنا رمالُ
يا أيها العائد من أسفاره تعالُ
فالبحر للحيتانُ
الأرض للصَّلالُ
وعصبة العَجْرُ
عَجْرُ
عَجْرُ

أربع أغنيات لجارية القصر

(١)

شرفةُ القصرِ على النهرِ تُطلُّ
وأنا خلفِ كرومِ الحقلِ
أستعرضُ أشياءَ كثيرةَ
مَلِكِي غادرَ في الليلِ سريرهُ
والأميرةُ
تسألُ العرَّافَ عن سرِّ خطيرِ
ما الذي بدَّلَ أطوارَ الأميرِ

(٢)

وعلى أبوابِ روما كتبتُ إحدى النساءِ
عندما تعشَّقُ أنثى لم يعدْ منها رجاءُ
تمنحُ العاريَ ماءً وإلى الظامي كساءُ

(٣)

شهر زادُ
نامت الليلةُ والقصةُ تمَّتْ
يا حكاياتِ السُّهاذِ
مَلِكِي ما زالَ سهرانَ بقصرِه
أه لو أعرَفُ ما يطوي بسرِّه



أُتْرَى قَدِ أَرْقَتَهُ
فَقَصَّصُ مِنْ شَهْرزَادُ
عَنْ غَرَامِ السَّنْدِبَادُ
وَهُوَ بَلْقَيْسُ: وَالْهَدَهُدُ يَأْتِي بِالرَّسَالَةِ
مَنْ سَلِيمَانَ إِلَيْهَا
مَا الَّذِي أَقْلَقَ بِأَلِهِ

(٤)

قَمْرِي مَا زَالَ سَهْرَانٌ وَنَامَتْ شَهْرزَادُ
خُدْعَةٌ كَانَتْ سَأْفَشِي السَّرَّ فِي ضَوْءِ النَّهَارِ
عِنْدَمَا يَسْتَيْقِظُ النَّاسُ
وَمَنْ خَلْفَ السِتَارِ
كَانَتْ أُصْغِي لِحَاكِيهَا الطَّوِيلَةَ
أَلْفَ لَيْلَةٍ
لَمْ تَذُقْ عَيْنِي الرَّقَادُ
أَحْرَسُ الْقَصْرَ بِلَا أَجْرٍ وَفِي سَوَاقِ الْمَزَادِ
عَرْشُ مَوْلَايَ يُبَاعُ
خُدْعَةٌ كَانَتْ وَتَلْجُ اللَّيْلُ مَا عُ



الذي احترق ولم يمت

إلى بدر شاكر السياب

لا تدفنوه
هو لم يمتْ لا تدفنوه
هو في عيوني لا يزالُ
ويعمقُ أعماقي وفي بيتي ذُبَالُ
هو في عيونِ صحابه
هو لا يزالُ
حيناً يُغنينَا أغانيه الطَّوَالُ
الحاملاتِ الشمسِ في أبياتِها
هو لن يموتُ
من قال ماتُ
من قال إن الشمسَ كَفَّنَهَا السُّبَاتُ
لا لم يمتْ حرفٌ يُعْنِي للحياةُ
ورطوبةُ الأكفانِ عبقُ بالمواتِ
لا بالقلوبِ الواهباتِ
خيرًا وماءً للجميعِ
يا أصدقائي الطيبينِ
يا أصدقاءَ الفجرِ مذ غناه بدرٌ من سنينِ
لا تذرفوا دمعاً عليه
بلْ فَالْعنوا الليلَ الذي لعنتُهُ أغنيةٌ إليه
ولتُعلنوا ليلَ الذنابِ
ليلَ الأظافرِ والحِرَابِ

لا تذرفوا دمعاً فبدرٌ لن يموتُ
هو في العيون وفي القلوبُ
بنوافذِ الفجرِ العظيمِ
بحدائقِ الأعيادِ. في فرحِ الطيورِ
ببيادرِ حملتِ عطاءَ الأرضِ
في ضوءِ البدرِ
وعلى النجومِ
وبكل شيءٍ ضوءٌ بدري يا صاحبي الطيبين
الأرضُ للقلبِ العظيمِ.
للشعرِ للكلماتِ للخبزِ المقدّسِ فاطعموني
من خبزهِ. من جرحهِ
جرحِ البطولةِ وادفنوني
بجوارهِ. ومن العظامِ البالياتِ
ومن الجراحِ الدامياتِ
من قبرِ بدرٍ. من قبورِ الواهبينِ
الدفءِ. والكلماتِ تَنبُتُ بعدَ حينٍ
ماذا أقولُ
ماذا أحدثكم عن الفجرِ الحزينِ
عن غيمةٍ هطلت حروفاً. أُغنياتُ
عن شاعرٍ غنّى وماتُ
سنتين مات ولن يموتُ
سنتين فوق سريره مُلقًى يُجلِّله المساءُ
فكأن شمساً عبر نافذةٍ تحجر في ستارتها
الضياءُ

أغنيتان.. للحروف المحترقة

(١)

في أضلعي الكلمات تُولَّدُ كالفناديلِ الصغيرةُ
لكنَّ حارتي القديمةُ لا تزالُ
جُدرانها السوداءً قائمةً. وفي سُفنِ الخيالِ
جيرائنا رحلوا إلى الجزر البعيدةُ
فالشيخ محيي الذين قال لهم قصيدهُ
من شعره الصوفيِّ. يا غسلَ التواشيحِ الطويلةُ
يا رحلةَ الأعصابِ في الشرقِ الحزينِ
شرقِ الرجالِ القاطنينِ
بحدائقِ العنقاءِ والجدرانِ تنسُفُها العيونُ
الحاملاتُ الفجرَ في أَمَاقِها. والسائحونُ
يتحدثون عن السجاجيد الجميلة. عن حذاء
صنعتهُ جاريةٌ من الشرق القديمِ
عن مديّةِ تركيَّةِ
عن كنزِ مقبرةٍ يُقالُ:
حفارها قد كان ينحت من جماجمها
مباخرَ للنساءِ
عن زوجِ أقراطٍ وفضةٍ «معضدٍ» والذكرياتُ
هي كلُّ ما ورثته «لولوة» عن أبيها حين مات

فَلْيَشْرَبِ الْأَعْرَابُ مَاءَ الْبَيْرِ. وَلِيَتَسَكَّعِ الْمَتَسَكِّعُونَ
فِي كُلِّ مَنْعَطٍ وَدِهْلِيْزٍ. وَيَا صَدَأَ الْجَلِيدِ
كَلِمَاتُنَا انْتَحَرَتْ عَلَى صَنْمٍ وَجِيْدٍ
وَالْخَطْبَةَ الْعَصْمَاءُ لَا تَمَحُو. وَأَوْزَانُ الْخَلِيْلِ
مَا خَلْفَتْهُ وَرَاءَهَا الْأَجْيَالُ فِي أَمْدٍ طَوِيْلٍ
☆☆☆☆

(٢)

يَا قَنَادِيْلَ الْحُرُوفِ
صَدَأْتُ أَجْرَاسُ أَعْيَادِي وَأَعْيَانِي الْوَقُوفُ
بَدْرُوبِ اللَّيْلِ كَالنَّاعِي وَأَفْكَارِي تَطُوفُ
كَالْمَسَارِجِ
كَالْهُوَادِجِ
أَهْ يَا حَرْفَ الْقَصَائِدِ
لَطَّخُوا الْأَقْمَارَ بِالطَّيْنِ. وَأَنْوَالُ الْعِنَاكِبِ
خَنَقَتْ شَمْسِي. وَعُجْبَادُ النُّجُومِ
أَوْقَفُوا اللَّيْلَ عَلَى دَرْبِ الْمَدِينَةِ
وَعَلَى الشَّاطِئِ مِنْ أَمْسٍ سَفِينَةٍ
أَبْحَرْتُ تَبْحَثُ عَنْ مَرَسَى وَعَادَتْ
مِثْلَ أَفْكَارِي حَزِينَةٍ
وَعَلَى جُدْرَانِنَا الْفَجْرُ يَمُوتُ
قَبْلَ أَنْ يُوَقَّدَ فِي بَيْتِ دُبَالٍ
بِاللِّيَالِي الْعِنَكُوتِ
لَمْ يُعَدِّ فِي مَوْقَدِي نَارٌ وَجَارِي لَا يَزَالُ

ينسج الأكَفانَ للموتى. وبينى في الخيال
قصره المزعوم. قصر السندباد
في ليالي شهرزاد
فارس في الليل عاد
ها هو الآن على بابي يُعني:
يا قناديل الحروف
قرننا العشرون هذا لا خيال الشعراء
خمرة (الخيام) جفت
و(النواصي) من البصرة جاء
قصره حفنة رمل وأغانيه بكاء

المسافر مع الأغنيات إلى فهد العسكر

يا راحلاً بلا وداعٍ
يا زورقاً تخافُ من قلوبهِ الرياحِ. يا شرعاً
حباله الأعصابُ
وبحره العذابُ
يا عائداً من عالمٍ تُشرقُ في عينيه
أنوارهً.. وفي يديه
قيثارةٌ تفسرُ المجهولُ
وتلعن الجفافَ والطلولُ
في الأرضِ. يا رسالةَ الحرفِ الذي سيحرقُ الغاباتُ
وليلها الوحشيَّ والرمالُ
ترضعُ من عينيكِ. يا شاعرنا العظيمُ
تحيةً إليك من فوادي الكليمِ
من بيتك المدفونِ. من أخيكِ
يفخرُ بالثدي الذي سقاه ما سقاكَ
تحيةً إليك
من الذين عذبوكُ
لأنهم لم يفهموكُ

تحيةً إليك من بلادك الحزينة
من شاطئ المحار من «أمينة»
تُسائلُ الرياحَ عن شرع
يا «فهد» يا قيثارةَ النهار
يا مُوقدَ الشُّموسِ والأقمار
في الكهف. يا ربيع
رمالنا. تحيةً إليك من جميع
بحارةِ الخليج
وأصدقاءِ الليلِ. والسُّمائر
تُضيئهم ما قُلتَ من أشعار
عن غادةٍ سمراءَ
تشرب من عيونها الضياءَ
عن فكرةٍ فجريةٍ ستوقدُ الشموعَ والأفكارُ
عن حارةٍ تخزن في بيوتها الأمطارُ
وعن سفينةِ المياه
يحلمُ في شراعها الظمأء. والأسوارُ
ما برحت كمجدك العظيم
كحرفك الذي أكاد
أشربه. وذلك الصيادُ
ما زال في غاباته يحلمُ بالأمجاد
وفي شمال بيتنا كتائبُ الجرادُ
تُهدد الحقولَ. والأمطارُ
وكلُّ ما في الأرض من بحارُ

لن تطفئَ الشمسَ التي غنَّيتها . تعالُ
عندي لك الخمرُ «واليامال»
قاعي بلا قرارُ
واضلعي حزينه كغيمه المساءِ
ومن صخور الليل والعظامُ
بيوتنا . تعالُ
لنلعنَ الظلامُ
ونفتحَ الأبوابَ للضياءِ
يا راحلاً مع المساءِ
ما برحتُ جارتنا العمياءِ
تقبُعُ عند الموقدِ الطينِيِّ والأطفالُ يعبثونُ
ببيتها ويسرقونُ
من قدرها الصغيرُ
ولا يزالُ
مكانك الحزينُ في حارتنا الصفراءِ
أمامَ بيتك الذي فارقتَه
حيّاً كأنك المسيحُ
تبرقُ في عيونك الأفكارُ
كأنها مواقدُ . وفي المساءِ
يروي لنا الرواهُ
ما قلتَ من أشعارُ
عن مخلبٍ مرَّقٍ أمعاءك . عن رمالُ
بحارنا . لك الأجاجُ



من مائها . والدُّر للذين يحرقون
عظامنا ويأكلون
أكبادنا . أكلة الأكباد لا تزال
وارتفع النباخ
فوق الأغاني . يا صديقنا الحزين
يا أيها الأعمى الذي تنبتق الشمس من عينيه
وتنبت الأقمار في كفيه



يا نار عينيك..

أمنتُ بالنورِ من عينيكِ ينبثقُ
وبالنجومِ على نهديكِ تنزلقُ
وبالعناقيدِ ما أحلى تهدهدها
إذا تنقَّسَ هذا العاطرُ العَبِيقُ
أكادُ أشهقُ من شوقٍ يُمرِّقني
إذا خَطَرَتِ أمامي مثلما الألق
يا نارَ عينيكِ كم ضاءتِ لتحرقني
وما ألدُّ احتراقي حين أحترق
يا دفءَ صدركِ ما أشهى حرارتَهُ
إذا استراحَ عليه ثغري النَّزِقُ
صَبَّي الجحيمَ بأعماقي فبي عطشُ
إلى الجحيمِ كأني منه مُختَلِقُ

المتنبي

أَعْنُ قَمَمٍ تُفْتَشُّ فِي وَهَادِ
وَبِعَثًّا أَنْتِ تَطْلُبِي مِنْ جَمَادِ
وَهَلْ يُدْنِيكَ مِنْ نَجْمٍ حَنِينٍ
تَغْلُغَلُ فِي سَمَاوَاتِ بَعَادِ
وَأَمْنِيَّةٍ تَحَاوَلُهَا فَكَانَتْ
مَطَافًا عُدَّتْ مِنْهُ بِلَا مَفَادِ
وَكَمْ دَرَبٍ شَقَقْتَ لَهُ فِجَاجًا
بَلِيلٍ مِنْ سَوَادٍ فِي حِدَادِ
وَكَمْ شَمْسٍ تَحَاذَرُهَا فَلَمَّا
تَوَارَتْ لَحَتْ فِي أَبْهَى اتِّقَادِ
وَلِمَا لَمْ نَجِدْ فِي الْأَرْضِ مَأْوَى
لِمِثْلِكَ لَمْ تَطَأْهَا مِنْ عِنَادِ
وَمَنْ قَدِمَ سَنَاهَا مَلَأَ عَيْنِ
أَحَقُّ لِمَوْقِعِهَا ذَرَّ الرَّمَادِ
مَوَاسِمَهَا تَفِيضُ عَلَى سَوَانَا
وَبَيْدَرُهَا انْتَهَى قَبْلَ الْحِصَادِ
نَحَاوَلُ مَا نَحَاوَلُ أَنْ نَرَاهَا
وَقَدْ هَرِمَتْ وَزَادَتْ مِنْ فِسَادِ

وكم نضجت دماءً في ثراها
فكانت للرزائل كالسما
لك الألم العظيم إذا أديرت
كؤوس التائهين بكل واد
تغازل بالقوافي ألف فجر
وتصبغ كل أفق في مداد
وجدت الدر مأواه ظلام
وتطفو كل طيعة القيادة
ولن ينقاد فكر عبقرئ
له من روحه أقوى عتاد
ولن تهوي نجوم عن سماها
ولم يبلغ ذراها أي عادي
ولو يرضيك من عيش رغيغ
كشأن السوالغين بكل زاد
لما نبحت كلاب خلف ركب
تشق به متاهات البوادي
وفي حلب وفي بغداد كأس
تدار على الجميع وأنت صاد

عذارى النيل

عذارى النيلِ ما ماتَ الغرامُ
ولم تبخلْ على السَّاقِي المُدَامُ
ولكنَّ الهوى تَعِبُ جَمُوحُ
له في كلِّ أَوْنِيَةِ مَـرَامُ
عذارى النيلِ لم أهرقْ فَوَادِي
على شَفَةِ بها أَبَدًا أَوَامُ
ولكنني بقايا من فَوَادِي
به من أمسه السَّامِي حُطَامُ
يُلَطِّفُ من جراحاتِ بكأسِ
ويؤنِّسُه بأوقاتِ غرامُ
عذارى النيلِ في رُوحِي خَمُورُ
وأَسْحَارُ رَقِيقَاتِ وَسَامُ
ومَا انطَفأتْ سَمَاوَاتُ بروحي
ولا نَبَلَ البِنْفَسِجُ والخُزَامُ
فإن سالتْ جراحِي فهُيَ وحي
سَيخُلِدُ والجُروحُ لها كَلامُ
خَلَايا من أَغْبانٍ في فَوَادِي
وفي أَعْمَاقِ أَعْمَاقِي سَلامُ

☆☆☆☆

وفي روعي الحزينة نبع فجر
أضییء به اذا اختشد الظلام
أنا السّاري أنا الجوّاب وحدي
أنا النّسر المخلّق والسّنّام
عذاری النيل والدنيا هلوک
تقلّب مثلما شاء العُرام
وكلّ مشرّق مأواه غرب
کان أوائل الشیء الختام
أحدّق في مياه النيل حتى
تکاد تضمّه منّي العظام
کان الأرض قد ألقّت عصاها
على الشاطئ وأعجبها مقام
کان الموج یلفظ کلّ حُم
لعذراءٍ وأعراسٍ تُقام
یذوب حلاوةً فکان نحلاً
یراضعه ویسعه غمّام
عذاری النيل ما «سقراط» اسمی
من «الخیّام» أو بطل همام
وكم حوت المزابل زنبقات
وكم غئی على طلیل حمام

ماله يقوله المعري

كُلُّ شَيْءٍ مَّصِيرُهُ لِلْفَنَاءِ
فَكَأَنَّ الْفَنَاءَ سِرُّ الْبَقَاءِ
تَضْحَكُ الْأَرْضُ لِلرَّبِيعِ إِذَا جَاءَ
وَخَلْفَ الرَّبِيعِ لَيْلُ الشِّتَاءِ
وَتَطُلُّ النُّجُومُ زُرْقَاءَ نَشْوَى
كَالْمَصَابِيحِ فِي عَنَانِ السَّمَاءِ
بِيدَ أَنْ الرَّعُودَ وَالغَيْمَ فِي الْأَفْ
قِ وَعَصْفَ الرِّيَّاحِ وَالْأَنْوَاءِ
كُلُّ كَأْسٍ بَقَاءِهَا حُسُوءُ الصَّاءِ
بِ فَكَأْسُ الْهِنَاءِ كَأْسُ الشَّقَاءِ
صَانِعُ الْمَهْدِ مِثْلُهُ صَانِعُ النَّعْمِ
شِ وَطَيْنُ الْقُبُورِ طَيْنُ الْبِنَاءِ
رَبُّ قَصْرِ سَكَنَتَهُ فِيهِ ذُرٌّ
مِنْ عِظَامٍ وَحَفْنَةٌ مِنْ دِمَاءِ
وَتِيَابٍ لِمَنْعِمِ سَاعَةِ الْعَيْدِ
بِدِ تَنْخَضَتْ بِمَيْتَةٍ فِي الْخَفَاءِ
أَيْنَمَا كُنْتَ فَالْقِيُودُ حَوَالِيدِ
لَكَ قِيُودُ الْمَوَاتِ وَالْأَحْيَاءِ

لِمَ هذِي الحَيَاةُ وَالكُلُّ فِيهَا
نَهَبٌ مَوْتٍ وَصَفْوَهَا لانتِهَاءِ
أَفْنَائِي هُوَ المَرَادُ بَعِيشِ
أَمْ بَعِيشِي تَتِمَّةٌ لَفَنَائِي
تُزْهَرُ الأَرْضُ مِنْ عِظَامِي إِنْ مِتُّ
سُتُّ وَقَدْ كُنْتُ لِقَمَّةِ الأَقْوِيَاءِ
صَاحِ زِدْنِي بِمَا يَثِيرُ بِي الشُّكُّ
سُكُّ فَإِنَّ اليَقِينِ سِرٌّ بِلَائِي
عَجَزَ الأَنْبِيَاءُ أَنْ يَصْلِحُوا الأَر
ضَ فَمَاذَا فِي حِكْمَةِ الحِكْمَاءِ
وَيَحَ عَقْلِي فَقَدْ تَخَبَّطَ عَقْلِي
فِي مَتَاهَاتٍ ظَلَمَةٍ سَوْدَاءِ
مَنْ قَدِيمٍ وَكُلُّ أَنْ صِرَاعُ
سَاحَةِ الحَبْرِ أَوْ نَجِيعُ الدَّمَاءِ
كَمْ بِنَاءٍ نَقُولُ فِيهِ صَوَابُ
فَإِذَا قَامَ بَعْدَ طَوْلِ عِنَاءِ
حَوَمَتُ حَوْلَهُ الشُّكُوكُ وَقَلْنَا
بَعْدَ مَا تَمَّ بِنْسَ ذَا مِِنْ بِنَاءِ
إِنْ يَكُنْ عَقْلُنَا الدَّلِيلَ فَمَاذَا
بِصَوَابِ العَقُولِ فِي ذَا الغِبَاءِ
كُلُّ نَفْسٍ وَمَا يَعْزِبُ فِيهَا
مَنْ أَمَانَ خَفِيَّةٍ خِضْرَاءِ

مَتَّبِعِ النَّفْسَ بِالَّذِي أَنْتَ تَهْوَى
هُ وَخَلِّ مَلَامَةَ الْجَهْلَاءِ
لَيْسَ مَا تُمْسِكُ الْأَيْدِيَّ وَلَكِنْ
مَا تُحَسُّ الظَّنُونُ مِنْ أَهْوَاءِ
وَلَوْ أَنَّ النُّجُومَ فِي الْأَرْضِ مَأْوَا
هَذَا لَمَا ارْتَوَى مِنْ رَوَاهَا الرَّائِي
وَإِذَا ثَارَتِ الشُّكُوكُ بِنَفْسِ
وَجَدْتَ فِي الظُّلَامِ مَا فِي الضِّيَاءِ
مَحَّصَتْ نَفْسِي الْحَقِيقَةَ فِي النُّ
نَاسِ فَكَانَ الْجَمِيعُ مُحَضَّ هَبَاءِ
حَالَةً إِثْرَ حَالَةٍ كُلُّ شَيْءٍ
فَعَلَامَ الْإِيْمَانِ بِالْأَشْيَاءِ
قَدْ وَرَثْنَا الْغِيبَاءَ مِمَّا ظَنْنَا
فِيهِمُ الرِّشْدَ فِي الزَّمَانِ النَّائِي
فَتَعَرَّيْتُ عِنْدَمَا كُوسِي الْكُ
لُ وَعَرَّيْتُ فِكْرَتِي مِنْ رَدَائِي

موت الشاعر

لينطفئَ الفجرُ الذي أنتَ واقدهُ
ويفنى وجودُ أنتَ بالحرفِ واجدهُ
قناديلُكَ الزرقاءُ ذابتَ جميعُها
وما زال ليلاً طال بالنومِ راقده
هي الأرضُ مهدُ الشرِّ من عهدِ آدمِ
يُعاكسُ ضدُّ ضدِّهِ ويُطارده
وما الخيرُ إلا الضَّعفُ فينا لأننا
سُبقنا لشيءٍ حاز بالشرِّ قاصده
وما تُبَّتِ الظُّفُرُ الطويلُ بأنمِلُ
على سفهِ لكن لينشبَ حاقده
وما ارتفعتُ أصواتُنا لهدايةٍ
سوى أننا في لا حبٍّ ضلُّ رائده
وجدتُ الذي من فيه هديٌّ مضللاً
بأفكارهِ والرَّشدُ في من يُعانده
سلامٌ على ما ضُفِنْتُ بقاعهِ
أوائِلَ عُمُرٍ ما استقرَّتْ مَراقده
تَجَشَّمْتُ فيه أوعرَ السُّبُلِ عندما
خُدِعْتُ بأن السهلَ نُزْرُ فوائده
فحاربتُ حيثُ السلمُ أحسنُ حالَةً
وسالمتُ من حيثُ لقهري مَكانده
وخادعتُ كَفِّي بالذي طيَّ فِكرتي
وضحَّيتُ أيامي ليومٍ أناشيده

خِداغُ لَعْمري كُلُّ شَيْءٍ وَضِلَّةٌ
وَدَرْبُ سِرَابٍ مُهْلِكَاتُ شِدَائِدِهِ
تَغْلَغَلْتُ فِي قَاعِ الْحَيَاةِ وَجُبَّتْهَا
بِدَرْبَيْنِ مِنْ سَهْلٍ وَوَعْرٍ أَكَابِدِهِ
وَعَاقَرْتُ مِنْهَا كُلَّ كَأْسٍ فَلَمْ أَجِدْ
شَقِيئًا كَذَا فِكْرٍ تَمَرَّدَ شَارِدِهِ
تَخَبَّطُ «سُقْرَاطُ» وَمَاتَ لِفِكْرِهِ
هِيَ الْيَوْمَ وَهَمٌّ يَبْلُغُ الْكُفْرَ نَاشِدِهِ
وَهَا نَحْنُ فِي أَيَّامِنَا نَنْشُدُ الَّذِي
سَيَدْحُضُهُ جَيْلٌ لَنَا وَعَقَائِدِهِ
هِيَ الْأَرْضُ كَالْإِنْسَانِ تَمْشِي لِغَايَةِ
وَنَحْنُ بِهَا سِرْبٌ تَخَبَّطُ قَائِدِهِ
سَبَقْتُ حَيَاتِي قَبْلَ مَوْتِي وَمَوْتَهَا
وَعَدْتُ وَصَدْرِي لَاهِبَاتِ مَوَاقِدِهِ
وَبَدَّلْتُ أَطْوَارِي الْقَدِيمَةَ بِالَّتِي
تَسْرُّ الَّذِي مِنْ كُنْتُ دَوْمًا أَضَادِهِ
خَنَقْتُ بِصَدْرِي كُلَّ مَا تَغْتَلِي بِهِ
دِمَائِي وَفَكْرُ ضَالَّتُهُ شَوَارِدِهِ
وَهَأَنذًا صَفْوًا زُلَالًا لِشَارِبِ
وَقَدْ كُنْتُ زُقُومًا تَحَاشَاهُ وَارِدِهِ
تَرَكْتُ لِمَنْ يَبْغِي الْخُلُودَ خُلُودَهُ
وَبَارَكْتُ يَوْمًا لَمْ تَفْتِنِي فَوَائِدِهِ

التنور الكبير..

أَعِدُّ ذِكْرَ شَطَانٍ مَطْرُزَةٍ زَرْقَا
«وَنَهَامَهَا» لِمَا شَدَا مَثْقَلًا عِشْقَا
أَعِدُّ ذِكْرَ بَحَّارٍ بَلِيلٍ بِحَارِهِ
إِذَا اخْتَشَدَتْ ظِلْمَاؤُهَا شَقًّا شَقًّا
أَعِدُّ ذِكْرَ غَوَاصٍ تَهَاوَى لِقَاعِهِ
كَأَنَّ بِهِ رَغْمَ الْعُرَا عَالِمًا أَرْقَى
كَأَنَّ حَقُولَ الْأَرْضِ لِمَا تَعَدَّرَتْ
عَلَيْهِ رَأَى الْمَحَارَ فِي بَحْرِهِ أَنْقَى
هَلِ الْغَادَةُ الْحَسَنَاءُ جَسَّتْ عَقُودَهَا
وَهَلْ عَرَفْتُ مِنْ زَيْنِ الصَّدْرِ وَالْعُنْقَا
فَلَيْسَتْ حُلِيًّا مَا ارْتَدَّتْهُ وَإِنَّمَا
مَحَاجِرَ غَوَاصٍ وَبَحَّارَةٍ غَرْقَى
كَأَنَّ الصُّوَارِي فِي الْعُجَابِ ضَرَاعَةٌ
لِأَشْجَارِ أَرْضٍ مِثْلَهُ لَمْ تَجِدْ رِزْقَا
كَأَنَّ الشُّرَاعَ الطَّلُوقَ سَرَبُ حَمَائِمِ
تَحَاوَلْ فِي إِقْلَاعِهِ أَبَدًا عِتْقَا
سَرَى وَالذَّجَى كَالْمَوْجِ يَنْصَبُ فَوْقَهُ
وَمَنْ تَحْتَهُ الْأَفَاتُ سَدَّتْ لَهُ الطُّرْقَا

نضالاً إلى أن يملأ الفم خبزُهُ
وُكسى جِسوْمٌ لم تجدُ فوقَها خِرْقاً
إذا ما انتهى من رحلةِ الصيفِ حتُّهُ
شتاءٌ به الأمواجُ من مطرٍ غرقى
كأن به عن لمسِ الأرضِ عِفَّةً
فيتركُها للشمسِ تحرقُها حرقاً
تلظَّت كتنورٍ كبيرٍ فرمُلُها
جِسوْمٌ قُبيلَ البعثِ في نارها تشقى
عجبتُ لها لما استشاط مخاضُها
وصرَّحتِ الصحراءُ عن عيشةِ أرقى
وعرَّشَ فيها الرملُ فهو خمائلُ
وكانت فلاةً نئبُها لم يجدُ حُقّاً
كأنني بها لما تنشقَّتْ عطرُها
أحاول بحثاً عن حقائقها نشقا

لكم كرمكم..

لئن نضبت كآسي وجفَّ حَبَابُهَا
ففي ظمئي كأسٌ لذيذٌ شرابُهَا
سأطوي شفاهي بعضُهَا فوق بعضِهَا
إذا ظمِنتُ حتى يجفَّ لعابُهَا
سأثبتُ حتى يبلغَ المخضُ غيمتي
ويملاً آفاقي الفساحَ سحابُهَا
لكم كرمكم والعاصرونَ وليكم
ولي الشمسُ فضاهاً عليَّ إهابُهَا
وما أنتم إلا بقايا أصابعٍ
قد احترقت لما اعتلاها شهابُهَا
وما ارتفعتُ جدرانكم من مهابةٍ
ولكنها الأيامُ هاج عبابُهَا
مدينتكم هذي التي تُرضعونَهَا
ستمتمُّصكم حاراتُهَا وقبابُهَا
هبطتم بها لم تعجنِ الخبزَ كُفكم
ولا دوركم منها يسوى ثرابُهَا
ظهورُ جمالٍ تعتليها هواجُ
بصحرائها حيث الدنا ورحابُهَا

أَجَلٌ لَعَمْرِي مِنْ حَدُودِكُمْ الَّتِي
يُعْتَشُّ فِيهَا مَوْتُهَا وَخِرَابُهَا
تَلُودُونَ فِي ظِلِّ وَرَيْفٍ وَخَلْفَهُ
ظَهِيرَةٌ يَوْمٍ لَا يُطَاقُ جَنَابُهَا
وَمَا رَفَضَتْ نَفْسِي الْحَيَاةَ لِأَنَّهَا
عَذَابٌ.. أَنَا وَالْآخِرُونَ عَذَابُهَا
وَلَوْ لَا غِبَارُ الْأَرْضِ لَمْ تُحَجِّبِ السَّمَاءَ
وَلَمْ تَخْتَفِ الْآفَاقُ لَوْ لَا ضَبَابُهَا
وَلِأَرْضٍ كَالْإِنْسَانِ غَايَتُهَا الَّتِي
سَتَبْلُغُهَا أَوْ لَا يَقْرُرُ رِكَابُهَا

حملتك دهرًا

حملتُكِ دهرًا في عيوني وفي قلبي
فلم تحفظي عهدي ولم تفهمي حبي
وهبتك أيامًا كأن شموسها
تُطلُّ بلا شرقٍ وتخبو بلا غربٍ
وجاريتُ فيكِ الجهلَ حتى كأنني
أشاهدُ جهلاً فيكِ أعظمَ من لبي
أداري براءاتٍ بعينيك لطفها
وان حملتني الصَّعبَ في المسلكِ الصَّعبِ
ولما تجلَّى كلُّ شيءٍ وليتني
أطيق احتمالاً شربَ أسنةِ الشَّربِ
وجدتُكِ مثلَ الأخرياتِ أقودها
ببعضِ ابتسامٍ من شفاهِ بلا قلبِ
فليت جمالاً فيكِ يفهمُ قوتي
وليتكِ مثلي تعشقينَ بلا كذبِ
هَبيني أني قد قسوتُ. ألم أكنُ
حبيبك؟ أين العطفُ من قلبك الرَّحْبِ
وأين حكاياتُ بليلٍ تُطيله
وتُقصره أحلامنا ساعةَ اللَّعبِ



أَتَطْفِئُنِي عَيْنَاكَ وَهِيَ مَوَاقِدِي
وَتُظْمِئُنِي تِلْكَ الشُّفَاهُ بِلَا ذَنْبِ
وَإِنْ حَقَدْتَ نَفْسِي عَلَى الْأَرْضِ إِنْنِي
أَحْدَقُّ فِيهَا لَا أُرَاكَ بِهَا قُرْبِي
أَفِيضْ عَلَى دُنْيَاكَ فَيُضْ غَمَامَةً
رَبِيعِيَّةِ الْأَمْطَارِ صَادِقَةِ السُّحُبِ



الليل والكلمات

ظمانُ أين منابعي ومناهلي
لا شيءَ غيرُ سباسبٍ ومجاهلِ
لا شيءَ غيرُ الليلِ في أبعادهِ
وبصيصُ أنجمه رمادُ قنادلِ
وكأنني وأنا بعالمٍ واقعي
أبدًا أعيشُ على هوامشِ راحلِ
متغلغلٌ وكأنني مُذ ارتقي
أبدًا أراني في مَهاويِ واغلِ
وقد احترقتُ مع الحروفِ وها أنا
بُقيًا رمادِ أضالعٍ ومفاصلِ
وإذا اشتكتُ نفسي الظَّما فلطالما
قد كنتُ أشكو من نميرِ مناهلي
يا ضيعةَ العربي لا صحراؤه
تُجدي ولا أعشابُ ربعِ أهلِ
لم يبقَ من أشعاره وذيامه
ومن المواقِدِ غيرُ ظلِّ زائلِ
قُلبتِ مفاهيمُ الحياةِ جميعُها
وتبدَّلتِ مثلَ الخيالِ الأفلِ
لم يبقَ في كأسِ الرشيدِ بقيةٌ
لأبي نؤاسٍ في الزمانِ الرّاحلِ

وكأنني مازلتُ استسقي الطلّي
من ليلهم فأنا خميرة ناهل
أبدأ أعيشُ على هوامشِ عالمٍ
وهو الذي قد قام فوق كواهلي
أنا ما نَقمتُ عليه لكني أرى
معنى حياتي في فراغِ هائل
جدرانُ بيتي لم تسوّ صخره
كفّي ولا مرّت عليه أزاملي
وتكاد أفكاري تذوبُ بناره
من بعد ما حرقت جميعَ أوائلِي
متناقضُ أنا والحياة ولم أكنُ
قلقًا ولكني حرارةٌ عاقل
أحرقتُ يابسةَ الهشيمِ بجذوتي
ثم ارتقيتُ على الرّمادِ الذّابل
ووقفتُ حيث الشمسُ تملأُ جبهتي
نورًا وتملاً بالضياءِ وسائلِي
حتى انتهيتُ أمامِ جدرانِ الألى
وضعوه دون مواكبي كالحائل
ونضحتُ أشعاري على أعتابهِ
متلمسًا دريًّا يقودُ رواحلي
فسمعتُ قهقهةَ الحياة وهُرءها
مني وها أنذا نهايةً جاهل
ولحنتُ قافلتِي التي غنّيتُها
مثلي تضيّعُ بلا قيادةٍ عاقل

ورجعتُ للماضي لعلَّ بقيَّةً
من جُذوةٍ تُذكي حرارةَ خامل
قلقًا كحافِظة الجبان بداخلي
قلبانِ قلبٍ معاندٍ ومُجامل
هيهاتَ ضعتُ مع الدروبِ ولم أجدُ
دريًّا يقودُ غَمامتي وقوافلي
من يشتري الكلماتِ إنِّي بائعُ
هيهاتَ ليس لكونِها من طائل
كانت كَأفواهِ الظَّماءِ تعبٌ من
فيضِ الطَّبِيعَةِ والجمالِ الشَّامل
وإذا تفجَّرتِ الحروفُ بأضلعِ
فاضت بأغْدقٍ منبعٍ للتَّاهل
ولكم أطاحت بالعروشِ وأوقفت
أقدامَ خازلةٍ وعزْمَةَ خازل
والآن يابسةُ العروقِ يُحيلُها
صخبُ الحياةِ إلى احتضارِ قاتل



الديوان الثاني

الطين والشمس (*)

(*) نشر الديوان للمرة الأولى عام ١٩٧٠م، وأعيد نشره ضمن ديوان الشاعر محمد الفايز
١٩٨٦م: ص ١٣٢ ص ١٦٨.





نداء

يا راعفَ الرّملِ يا برقًا تألّقَ من
صخرٍ ويا جدولاً أمواههُ نازُ
ويا نزيّفَ صحارانا التي انتفضتُ
كما تحرّكَ تحت الثلج منقار
ويا جبلاً كبقيا من عمالقةٍ
كأن أعينهم في البيد أقمار
ويا مكاناً خلا إلا لنائحةٍ
من الرياحِ وإلا ذلك الغار

هي جذوة

هي جُذوةٌ وغداً تصادقُ قابساً
سَينيرُ مشعلُها الكبيرُ حنادسا
وأنا وأفكاري كقاذفِ زورقِ
في لُجّةٍ وكنِ يسيرِ معاكسا
إنني أحسُّ أحسُّ قرعاً خافتاً
طورا وأونةً شديداً جارسا
وكان أبواباً تفتّح مثلما
فتح الهوى صدرًا وجفنا ناعسا
إنني أحسُّ كأن بدءِ عزائمِ
بدأت تثيرُ مدافنا ووساوسا
حطّابنا العشرون مات وجدعنا
صُلبٌ كما واجهت شيئاً عابسا
يا سندبادَ الليلِ إن جزيرةً
ضحكت لنا وغداً تُعانق فارسا

قصة التاريخ

كُلُّ أَنْ لِي مَكَانٌ وَبِرِيدُ
لَسْتُ أَدْرِي يَا رَفِيقِي هَلْ نَعُودُ
قَبْلَ هَذَا الْيَوْمِ كُنَّا هَدَفًا
لِلَّذِي يَبْغِيهِ غَايٌ وَيُرِيدُ
جَاءَ (نَابِلِيُونُ) بِالْأَمْسِ وَقَدْ
عَاقَبَهُ مِنَّا كِفَاحٌ وَصَمُودُ
وَقَفْتُ أُسْوَارُنَا فِي وَجْهِهِ
وَوَقَفْنَا وَبِنَا عَزْمٌ أَكِيدُ
وَدَمٌ مَا زَالَ فِئْوَارًا لَهُ
عَرَقٌ أَبْقَاهُ سَعْدٌ وَالْوَلِيدُ
صَمَدْتُ عَكَاءُ ثُمَّ أَنْدَحَرْتُ
عِنْدَمَا خَانَتْ عَرُوقٌ وَجَدُودُ
لَمْ أَزَلْ أَذْكَرُ كَيْفَ انْتَصَرُوا
وَأَنْتَهَى الْأَمْرُ كَمَا شَاءَ الْيَهُودُ
وَعَلَى النَّاصِرَةِ الْأُمَّمُ دَمٌ
لِسَيْحِ صَلْبِ بُوهُ وَوَرِيدُ
رَبِمَا تَصُدَّقُ أَحْلَامُ لَهُمْ
وَسَيَبْقَى حَلْمُنَا أَنَّنَا نَعُودُ

قصةُ التاريخ من أولها
أمّةٌ تحيا على أخرى تَبِيد
أعظمُ الموتى شموعُ عندما
يُغورُ الركبُ إذا سار الوقود
ما خسرنا بل خُدمنا ولنا
أوبئةٌ أخرى وإيمان جديد
يا رفيقي أنا لا أبكي على
وطنٍ أقصتُهُ عن عيني الحدود
قد غشى «عاداً» دخان عندما
أُحرقتُ في موقدِ الله «ثمود»

خليجية

أرى لافحات الرِّملِ أُمستُ حدائقًا
تُناسمُ ربَّانًا وتحضنُ طارقًا
تَحاشدُ فيها العطرُ حتى تقدَّختُ
منابتها لونين عطرًا وناشقا
يظللُّها ظلٌّ وإن كان لافحًا
فما زال نشوانًا وما زال شاهقا
فيا حُسْنها حتى بالأم عرسها
ويا لطفها مهما استحالت صواعقا
تنبَّهَ فيها الضوءُ حتى كأنني
أراها سطوحًا مشرقَاتٍ بواسقا
كأنَّ خيالاتِ الذين تجنَّحوا
مراقٌ وإن كانت ردًى ومزالقا
ترصُّدُ للظلماءِ حتى كأنها
تُسويُّ الزوايا الدَّاجياتِ حرائقا
إذا ما نَزَا منها ذراعٌ ممزَّقٌ
لمحتَ سماءٌ أو تتبَّعتَ بارقا
ستبقى الخُطى أشواطها في مفازةٍ
مِنَ الأرضِ سوَّتْ من هواها طرائقا
إذا العقدُ أرضى طيشَ صدرٍ فلم يزلْ
هواه حنينًا أو شعورًا مُعانقا

عيناك

عيناكِ عيناكِ .. يالى كمُ أحبهما
سوداءُ في كلِّ هذبٍ فيضُ إشراقِ
يكادُ فيضُ سَناها حينَ يلفحني
يَشِدُّني بِسَماواتِ وَأفَاقِ
تَكَلَّمْتُ وَالشِفاءُ الحَمْرُ مَطبِقَةٌ
على حكاياتِ أَحبابٍ وَعُشَّاقِ
دعي الكلامَ ففِي عَينيكِ قافلَةٌ
من الحروفِ سَراها بينَ أعرَاقِ
عيناكِ تَزرعُ أَفاقًا بِذاكرَتي
وَتُطرِ الصُّحُوفَ دَفاقًا بِأماقِ

يا بيتها

يا بيتها المنيفِ
أثعب بني الوقوفِ
يانافذات مثلما
ترتفع الأنوف
كأنما جدرانُهُ
من هيبة سقوف
يا حارة كأنها
أم له عطوف
تطوف بي بيوتها
كما بها أطوف
يا ضحكة الضوء إذا
توافدت ضيوف
يا بيتها المنيفِ
أثعب بني الوقوف

كفاني طموحاً

كفاني طُموحاً أنّ عينيك عندما
أُلاقِيكَ تزهو فتنةً وتدلُّلا
وتلويحُ أعضاءٍ إليك كأنما
تساقطُ ورداً أو عبيراً مُنرِّلاً
كأنّي من عينيك في ليل غابّةٍ
أسامرُ من أقمارها السودِ ما علا
لك الضحِكَاتُ الأنساتُ ونظرةُ
تُجسِّدُ أسرارَ الرؤى والتَّخيلا
وهمسُ به عبَّأتُ صمتي ملاحنا
وشدواً تماذى في هواه وأوغلا
إذا ما التَّقَتُ كَفِّي بكفِّكَ خِلْتُها
تدسُّ بأعراقِي حديثاً مُرْتلاً
إذا أشرقَ الشُّوقُ المُلحُ وأعرَبتُ
ملامحُ ذاك الوجه عمّا تغلغلا
وشعَّ سراجُ من عيونٍ كأنما
تَقمَّصتُ ناراً أو تمثّلتُ مشعلا
أراني بمكتنظٍ من اللونِ زاخِرٍ
يحيلُ حياتي من جمالك محفلا



لئن أبطأتُ ساعاتنا وتأخرتُ
إلينا لقاءاتُ كما كان أوّلا
فما زلتَ لي دنيا من اللون والشُّذا
وما زلتَ لي نجوى دعاءٍ وهيكل
أراك كأحلى ما تُجسِّمُ لي الرُّوى
إذا سرحتُ أو خاطرٌ قد تغزّلا
وما أنا إلا أحرفٌ منك تستقي
بشوقٍ شفاهٍ قد تکرعنَ منْهلا



شهران

أهـواكِ لكُننِي لا أَسْتَطِيعُ على
نَطِقِ فَأَصِمْتُ مَذْهولًا ومُحْتَدِمًا
شهرانِ يا حُلوتي والشوقُ يعصرني
عصرًا وينزفني في راحتيكِ دما
وكم تصافحَ كَفَّانًا بمنعطفٍ
فهل شعرت بشيءٍ كان بينهما
ومجلسٍ أتحاشى منكِ بادرةً
فأنتحي صامتًا أو أنحني ألما
إنني أعاكسُ نفسي وفيّ جامحةٌ
ظمأى وأعصرُ قلبي بعدها ندما
وأيـن منِّي مَنْ تُذكي بنظرِتها
روحي وتشبع في أعماقي النُّهما
وما حجتُ عن الورد الذي سنحتُ
لي المصادرُ فيه أو فقدتُ فما
لكنني لا أرى فيك التي فهِمتُ
حُبِّي لعينيكِ والشيءَ الذي بهما

شرقية

يا مَنْ رَأَهَا وَهِيَ فِي فِسْتَانِهَا
تَتَوَافَدُ الْأَلْوَانُ فِي أَلْوَانِهَا
لَيْلِيَّةُ النَّظَرَاتِ إِلَّا أَنَّهَا
عَدَقُ الضَّيَاءِ السَّمْحِ فِي أَجْفَانِهَا
حَرَكَاتُهَا كَلِمَاتُهَا فَكَأَنَّهَا
تَعْطِي بِهَا مَا فَوْقَ بَوَاحِ لِسَانِهَا
وَكَأَنَّهَا وَاللُّطْفُ فِي حَرَكَاتِهَا
تَنْسَابُ بِي فَأَقْوَرُ مِنْ فُورَانِهَا
شَرْقِيَّةُ حَرَكَاتِهَا غَرْبِيَّةُ
أَدْوَاتِهَا وَحَشِيَّةُ فِي شَانِهَا
وَكَأَنَّني وَأَنَا أَعَالِجُ عَنَفَهَا
وَأَحَاذِرُ الْفَزَعَاتِ مِنْ شَيْطَانِهَا
فِي وَسْطِ لَجَّاتِ تَزَاخُرُ قَاعِهَا
مِنْ عَطْرِهَا وَحَدِيثِهَا وَحَنَانِهَا
فِي غَرْفَةِ حَجْرِيَّةِ عِطْرِيَّةِ
رُوحِيَّةِ لَوْلَا خَطُوطُ بَيَانِهَا
فُرُشٌ عَلَى فُرُشٍ تَنَاسَقَ لَوْنُهَا
كَتَنَاسَقِ الْأَزْهَارِ فِي أَغْصَانِهَا
شَرْقِيَّةُ جَمَعَتْ طَوِيفَ جَدِيدِهَا
فِي رَائِعَاتِ النَّقْشِ مِنْ فَنَائِنِهَا

وكأَنَّهَا وَاللَّحْنَ لَاصِقُ جَوِّهَا
وتجاوَزُ الإِبْدَاعِ فِي جدرانِهَا
غَارٌ مِنَ المَجْهُولِ سَوَّتَهُ يَدُ
رَضَعَتْ عذارى الفَنِّ وَحَيَّ بَنانِهَا
تتجاوَزُ الإِحْساسَ رَغَمَ حَدودِهَا
وتلاصِقُ الأرواحَ رَغَمَ عنانِهَا
تلك المَرايا الصَّفْرُ في حيطانِهَا
مِثْلُ النُّهُودِ البَكرِ في ابدانِهَا
تتظاهرُ الأَشْيَاءُ فِوقَ أديمِهَا
مِثْلُ العِيونِ تَجيشُ في إعلانِهَا
وكانَ وشوشةَ الأرائِكِ تحتنا
مَا وشوشَ النَّزقِ الَّذي بكيانِهَا
قالت وقد فتحتُ خزاناتِ لَهَا
تتسابقُ الشَّهواتُ في قمصانِهَا
تهتزُّ فيها نَشْوَةٌ أَخَذَتْ بِهَا
ما تأخذُ الكاساتُ من نُدمانِهَا
جسدي بِهِ حُبُّ الثيابِ وإنه
أحلى الجسومِ السُّمْرِ في عريانِهَا
وتألَّقَتْ وأخالُها اتَّقَدَتْ وقد
شَبَّتْ بِي النيرانُ من نيرانِهَا
سمراءُ يَجذبُها الشَّبَابُ إلى الهوى
جَذَبَ السَّفِينِ إلى هوى رُبَّانِهَا

أنفاسُها مخمورةٌ وشافِها
ممطورةٌ والضعفُ في بُنيانها
وإذا توائبَ شوقُها وتحفَّزتْ
أعماقها واسترسلتْ بعنانها
فأضتْ بها أعضاؤها وتشبَّعتْ
تلك الشفاهُ الحمرُ من فيضانها
تتلاصقُ الشفتانِ في مشبوبةٍ
من قبلةٍ وأنام في أحضانها
غطتْ حرائرُ شعرها أكتافها
واسترسلتْ سوداءُ في لعانها
يا مَنْ رآها وهَيَّ في فستانها
تتوافدُ الألوانُ في ألوانها

5 أبيات لها

أخافُ منكِ إذا ما جرّني نظري
إلى زخارفِ جسمِ فيكِ من صورِ
كأن أعضائهُ والحبُّ يغمُرُها
كوؤسُ مرقصِ ليلِ مشرقِ القمرِ
تلوُّبُ فيكِ عيوني فهي غارقةٌ
بزاخِمٍ من تلاوينٍ ومن فِكرِ
يكاد يزحف بي شوقي ليقذفني
على يديكِ كمحمولٍ على قدرِ
فما التفتُ لشيءٍ أو تلفتَ لي
إلا وأنتِ به كاللحنِ في الوترِ

وحشية

سلامم لكتظُّ بها يترجرجُ
به نَزَقٌ من فرحةٍ كاد يهزجُ
أخالُ بها مسًّا إذا ما تجاذبتُ
عيونٌ عليها صبوؤةٌ وتوهُّج
تعبًا فيها اللونُ والمرحُ الذي
يُصيرُ منها أبحرًا تتموج
عليها مراحاتٌ لأعباءٍ خاطرٍ
وفيها كينبوعٍ اللظى حين تحدج
إذا اختركتُ هاجتُ وإن هي سلمتُ
تألقُ نوارٌ وغنى بنفسج
كأنَّ بها نايًا تمطَّى أضالعي
إذا شاء أشدو أو إذا شاء أنشج
كأنَّ فساتينًا عليها قصيرةً
تلوين أحلامٍ بها تتبرج
ويا لطفها في صمتها حين تنتحي
ويا حلوها في غنجها حين تغنج
صبوؤ كمصباحٍ على برج قمّةٍ
ضحوكُ كفجر العيد بل هي أبهج



مَلاحاتُها في كلِّ عَضوٍ تَدْفُقُ
خَلايا لَحونٍ أو رُوى تَتَسرِّجُ
بِها وِحشها لَكنه من صِبابَة
يَروح بِها حيناً وحيناً يُعَرِّجُ
سَتَبقِينَ يا سَمراءُ أَشهى تَوهُجِ
وأحلى سُويعاتي التي تَتأرِّجُ



الخيال الراعف

غاضتُ عيونُ الشَّعْرِ وهَيَّ غَزَارُ
وَطَوَى مَفْتَقَةَ الضَّلُوعِ دَثَارُ
شَفَتَاكَ تَخْنُقُ كُلَّ حَرْفٍ عِنْدَمَا
تَتَمَخَّضُ الْأَعْصَابُ وَالْأَفْكَارُ
هِيهَاتَ مَا غَاضَ الشَّرِيقُ وَلَا انْتَهَى
ذَاكَ الْخِيَالُ الرَّاعِفُ الْمَدَارُ
أَتَضَنُّ بِالْغَدَقِ السُّخْيِّ وَمَا حَوَى
قَلْبُ كُلِّ ظَهِيرَةٍ زَخَّارُ
هَلْ تَقْنِطُ الْأَمْطَارُ حِينَ يَعِيبُهَا
بِالرَّعْدِ مَدُّ بَارِدٍ غَدَّارُ
يَغْشَى الضُّفَافَ صَبِيبَةً فَإِذَا أَتَى
جَزْرٌ مَضَى فَإِذَا بِهِ أَحْجَارُ
تَبْكِي الْقِرَابُ جَفَافَهُ وَلَطَالَمَا
أُومِتَ بِبِرْقِكَ صَادِقًا أَمْطَارُ
وَتَتْرَبْتُ الشَّهْبُ الْأَصَائِلُ وَالذُّجَى
وَتَدْحَرَجْتُ مِنْ أَنْفِهَا الْأَقْمَارُ
وَإِذَا تَدَجَّجَتِ الْعَيُونَُ فَمَا عَلَى
شَمْسِ النَّهَارِ بِأَنَّهَا أَنْوَارُ



زحفتُ جيوشُ الليل فوق سماءِها
فَانسَدَّ أفقٌ واستغامَ نهار
وَإِذَا اللُّهَاءُ تَشَنَّجَتْ بِحُرُوقِهَا
وَتَرَمَّدَتْ بِضُلُوعِهَا الأشعار
فَهَنَّاكَ تَعْرِفُ أَيَّ رَغْوٍ يَعتَلِي
وَتَلُوذُ بَيْنَ حَشَائِشِ أَنهَار



نواسية

فدئى لنهديكِ أكوابٍ من العسلِ
وللعيونِ زرافاتٍ من الشُّعلِ
في كلِّ مفترقٍ من أضلعي مزقُ
وما خلا كلُّ دربٍ من دمي الهملِ
فكيف أبخلُ؟ يا ليت العذابَ إذا
لابدٌ منه عذابُ الأعينِ النُّجلِ
خذي بقيةَ عمرٍ ما أسِفْتُ سوى
على ليالٍ به مرَّت بلا غزلِ
يا ليتني منكِ عِقْدٌ لا يفارقه
عنقٌ أغوصُ به في عاطرٍ خضلِ
تَهْرَهُ منكِ أعطافٌ وهدهدةٌ
ويستريحُ بيدرٍ نصفٍ مكتملِ
لولا هوى الفاتناتِ السَّمْرِ ما عشقتُ
روما البحارَ، ولم تحصلُ على وشلِ
وقد شربتُ مع العشاقِ نخبَهُمْ
وقد أفاقوا سوى مُضناكِ لم يزلِ
كأنما أعرقني التفت على عُرقِ
لكرمةٍ استقى من فيضها الهطلِ



للهِ دُرٌّ فوَّادي كم يحمِّلهُ
هوَى الحسانِ وكم يحيا بلا أمل
أقسمت بالعاطفاتِ الملهباتِ دمي
والجاعلاتِ فوَّادي شبةً مشتعل
وبالهوَى والتُّدامى حين نقرعُها
كأسًا كان سَناها ضاحكُ المقل
لن أنتهي من غواياتي ولا عمهي
ولن أجانِبَ ليلَ الساهرِ التُّمل
ومِن قديمٍ وأيامي معلَّقَةٌ
على الغديرِ فلم ينشفْ ولم أصلِ



ابنة السندباد.. صمود

أرى شغفي يجتازني حينَ تخطرُ
كما يتجلى بالتلاوينِ منظرُ
أراها كينبوعِ اللحونِ وتارةً
أحسُّ بها في داخلي تتفجّرُ
حوى وجهها أشياءها فهي نزوةٌ
تغنّي وطوراً هاجساً يتمورُ
كأنني بوديانٍ إذا ما لمحتها
تطلّقَ فيها شوقها المتسترُ
عطوفٌ إذا عطفتها فكأنها
تُماشي شعوراً في مطاويك يهدرُ
خليجيةٌ بيضاءٍ تحسبُها إذا
تجلّت خليجاً بالرغائبِ يزخرُ
تكلّمُني أعضاؤها فكأنما
بأعضائها بوحٌ وفيها تخفّرُ
هنيئاً لأضلاعٍ بها ألفُ ساطعٍ
من النُّورِ حتى خلتها تتنورُ

أرى شغفي فوق احتمال جوانحي

إذا نُظِرْتُ يا حُلُوها حين تُنظِر

لن ينطفئ الضوء

لن تطفئوا الضوء في صدرٍ وفي مهجٍ

وإن قذفتُم بنا في كلِّ منعرَجٍ

أشياءونا سوف تبقى مثلما بقيتُ

في آخر الدَّربِ زخاتٌ من السَّرجِ

أرى الرمالَ استحالتْ رغمَ قاحلها

منابتِ الوردِ في عرسٍ من الأرجِ

أرى قبورًا لها صارت كما ارتفعتُ

جذورٌ باذرةٌ نامتْ على فَرَجِ

القيثارة

يا مَنْ غصصتِ كأعماقي بنجواكِ
هذي بقاياي أم هذي بقاياكِ
شحرورة الليل ما فحواكِ من حطبٍ
وإن برزتِ بألواحٍ وأسلاك
إذا السدروب تمطّتها كابتها
وهوَمَ الليلُ في بابٍ وشبّاك
سكّبتِ كلَّ صباحٍ في محاجرنا
فمن تراه عن الإشراقِ أعماكِ
ها أنتِ في الركن مثل الركنِ مهملةٌ
كأننا قبل هذا ما عرفناكِ
أين الحكاياتُ أين الحبُّ يبعثه
جمالُ لحنٍ إطارته حنايك
لوح تفكُّك ألواحاً مبعثرةً
كأنها فكرة في رأسٍ شكّاك

في البحرين

ظَمْنَا لِكَأْسٍ مِنْ دِنَانِكِ كَمْ سَرَى
بَلِيلٍ سِرَاجًا قَدْ دَحَاهُ فَنُورًا
بَلِيلٍ كَأَنَّ الْفَجَرَ خَبَّأَ عِنْدَهُ
بَقِيَّةُ ضَوْءٍ مِنْ سَنَاهُ تَأَخَّرَا
تَطَرَّرَ ضَوْءٌ فِي دُجَاهُ وَعُبِّئْتُ
مَطَاوِيهِ عَطْرًا أَوْ مَكَانًا مُعَطَّرَا
أَشْمُ هُنَا وَرَدًّا لِبَغْدَادَ عَابِقًا
وَأَسْمَعُ طَيْرًا مِنْ ذُرَى الشَّامِ قَرَقُرَا
كَأَنَّ الْكُوَيْسَ الْمَبْحِرَاتِ مَعَ الْهَوَى
نَهْوَدُ عِذَارَى قَدْ تَعَرَيْنَ ضَمْرًا
كَأَنَّا وَأَنْسَامُ الْمَنَامَةِ قَدْ بَدَتْ
تَنْبَهُ فِينَا هَاجِسًا وَتَذَكَّرَا
نَلْمُ بِهَا أَطْيَافَ دُنْيَا قَدِيمَةً
تُطَلُّ هُنَا رَسْمًا قَدِيمًا مُدْتَرَا
أَوْيُنَا بِهَا فِي غَرْفَةٍ خَشْبِيَّةٍ
تَدَلَّتْ كَعَنْقُودٍ بِنَا قَدْ تَسَكَّرَا
تَوَارَثَهَا بِحَارَةً عَنْ أَبِيهِمْ
تَخَالَهُمْ مِمَّا يَعَانُونَ أَبْحُرَا

يُوجُونَ بِالذِّكْرِ الْقَدِيمَةِ مَثَلًا
تَهْزُ غَصُونًا أَوْ تُبْعِثِرُ جَوْهَرًا
لُطَافٌ إِذَا مَا زَحْتَهُمْ غَيْرَ أَنَّهُمْ
مَكَامِنٌ أَسْرَارٍ حَاوَتْ مَا تَعَذَّرَا
أَقُولُ لَصَحْبِي وَالْكُؤُوسُ تَوَافَدَتْ
عَلَيْنَا كَمَا فَاجَأَتْ طَيْرًا مُذْعَرًا
حُذُوها عَلَى عَالَتِهَا فَهِيَ سَاعَةٌ
تَسَاقُطُ مِنْ عُمُرٍ وَإِنْ طَالَ قَصْرًا
نَشَاوَى وَفِينَا الصَّحُوفُ حَتَّى كَأَنَّا
نَمَارِسُ فِيهَا عَالَمًا غَيْرَ مَا نَرَى
إِذَا مَا اغْتَلَى فِينَا زَلَالٌ مُدَامَةٌ
يَلُوحُ خِلَالِ الْكَأْسِ مَاءٌ مُجْمَرًا
تَأَلَّقَ فِينَا اللَّيْلُ حَتَّى كَأَنَّمَا
تَفْطُرَ مَنْ ظَلَمَائِهِ مَا تَفْطُرَا

إلى لبنان

عامانٍ مَرًّا ولمْ ننعَمْ بأُقيَاكَا
يا ساكِنَ الأُزْر من لبْنانٍ حَيَّاكَا
يا منهضَ الرِّبواتِ الخُضْرِ، يا قَمَمًا
من الزهورِ تمطَّتْ في زواياكَا
ويا شرَاعَ سفِينٍ مثلما ارتفعتْ
كفُّ على البحرِ تُعطي من عَطاياكَا
يا قَمَّةَ الثلجِ سَحاخٌ تدفُقُها
كأنه ضَحْكَةٌ شَعَّتْ بِدُنْيَاكَا
يا رَبِّ أحمدَ حيثُ الليلُ مُشتبكُ
على شِتاكَ مُجتازًا منيَاكَا
يَحدُّو رواجِلَهُ الظَّمأى على جبلٍ
يجتازُ بعضُهُما بعضًا بمَشْتَاكَا
تمشي برودةٌ هذا في مفاصلِ ذا
وذاك يجتازُه صخرًا وأشواكَا
كأنما أنتَ مأوى كلِّ سارحةٍ
أو أنْ كلُّ خيالٍ كان مأواكَا
حتى المغاراتُ تدحوها زخارفُها
صخرًا تآلَقَ أو غابًا تمطَّاكَا
عامانٍ والفرحُ النَّشوانُ يملأني
كأنني حاضِنٌ عاميَنٍ إِيَّاكَا

في بيتها

تَمَاسَكْتُ لَا بَوْحًا بِمَا فِي السَّرَائِرِ
وَلَا نَظْرَةً فِيهَا أَفَانِينَ نَاطِرِ
وَفِيَّ الَّذِي يَدْنِيكَ مَنِّي وَكَلَّمَا
أَحَاوَلُ بَوْحًا شَتَّتَتْنِي خَوَاطِرِي
أَأَنْسَى سِتَّارَاتُ كَأَنَّ خِيوطَهَا
يُنَاشِقُنَ أَنْسَامَ الرِّيَاضِ الزُّوَاهِرِ
غَمَرَتْ يَدِي مِنْ كُلِّ عَطْرِ أَحَبُّهُ
وَصَيَّرَتْنِي مِنْ أَحْرَفٍ وَقَيَاثِرِ
نَسِيتُ فَلَمْ أَذْكَرُ سِوَى ضَوْءِ أَعْيُنِ
تُسْوِي شِعَاعًا مِنْ سِوَادِ الْحَاجِرِ
وَحَقَّقْكَ مَهْمَا كُنْتُ لَمْ أَرْدِعِ الْهُوَى
وَلَا أَنْتَهِيَ مِنْهُ انْتِهَاءَاتِ خَاسِرِ
فِيَا حَبِّذَا تِلْكَ الْعَطُورُ وَحَبِّذَا
قَوَارِيرُهَا عِنْدَ الزَّوَايَا الْعَوَاطِرِ
تَسَامَتْ بِهَا جِدْرَانُهَا فَكَأَنَّهَا
تُسْوِي شَقُوفًا مِنْ بَهَاءِ الْمَنَاطِرِ
تَلَقَّفَنِي مِنْهَا مِرَاحٌ لِمَقْعِدِ
وَضَوْءٌ تَنْزَى مِنْ خِلَالِ السِّتَائِرِ

وأنتِ أمامي مثلما يرتقي الضُّحى
تشعّين كالصبحاح في جسمٍ باكر
كلامٌ لنا عن فلسفاتٍ كثيرةٍ
وفينا شعاعاتٌ لشتّى الدفاتر
يُجاذبني شوقٌ إليك كأنه
يُشققُ في عينيكِ أفقًا لطائر
أجلُّ عيونًا فيك أن تكتّم الهوى
وهنّ مرايا كلِّ خافٍ وظاهر
أحومٌ على أهدابها مثل طائرٍ
وأجثو على أحداقها مثل سامر
لكِ الفِئنتان دقةٌ بلامحٍ
وعنفٌ بأعماقٍ ككنزِ الجواهر
طَفَّتْ أحرفي حتى استحالت سفائنا
ببحرٍ على عينيكِ جمّ المعابر
وأجمَعُ إحساسًا بحبِّك مثلما
أولِّفُ عقدًا من جمالِ المشاعر
تجولُ عيوني في بهائكِ مثلما
تجولُ بأفاقٍ بَعادِ المصادر
تَفَنَّنَتِ حتى بانسراحِ ضفيرةٍ
وتصميمِ أثوابٍ وصبغِ أظافر
إلى الآن ما زالت حكاياكِ مثلما
يغرّدُ طيرٌ في عميقِ سرائري



ورونقُ أشياءٍ إليك كأنه
يُضاحكُ أسرارَ الروى والضُمائر
فيا فتنةً محبوبكةً من ملامح
ويا رغبةً مكتومةً كالذخائر
ألا إن ألوانًا حوتك لو انها
تفيضُ لصاغتُ أحرفي من بشائر
كأنك مَأوى كلِّ لونٍ مُحِبِّبٍ
لهُ مرخٌ في أعينٍ وضمائر



وقفة على السور

لست ممّن يلوذُ بالأطلالِ
عندما يخطر النزوعُ ببالي
بيدَ أني وجدتُ فيكَ فصيحًا
لاَح في صامتِ كثيرِ السُّؤالِ
الظَّهيراتُ خبأت فيكَ شمسًا
والليالي مَلاءةً من جلالِ
لم أزلُ أذكرُ الليالي اللواتي
كنتُ فيها محلقًا كالهلالِ
يربط البحرُ جانبك كعقدِ
فوق صدرٍ أو فضة الخلخالِ
كنتُ في أمسنا كآخر دنيانا
فأصبحتُ عائقًا للكمالِ
يزحفُ الفكرُ في صخورك حتى
كدتُ أصغي إلى البناةِ الرجالِ
ينحتون الحياة من راعفِ الدَّه
ر من رغبة الليالي الطَّوالِ
وأيدٍ مشنجاتٍ عرايا
نابضاتِ العروقِ والأوصالِ



أبحرَ الباحثونَ عن دُرَّةِ التِّمَّ
جِ وغابَتِ مواكبُ «اليامالِ»
تركوا الأرضَ والجفافُ احتواها
كاحتواءِ الشَّقَاءِ وجهَ الجمالِ
ينزفُ البحرُ رملَها فَهِيَ ظمأى
بنَّتْ ظامٍ تجسَّدتْ في رمالِ
تعشَّقُ الشمسُ ليلَها فهي لولا
دورَةُ الأرضِ أشرقتْ في الليالي
ثم عادوا وفي الوطابِ لآلِ
أحكموا سَبْكَها لتلك اللآلي
أنتَ في هامشِ الحياةِ خطوطُ
تربطُ اليومَ بالزمانِ الخالي
ولسانُ يقولُ مَنْ عَضُّهُ الصُّلُ
لُ تحاشى نعومةً في الحبالِ







الديوان الثالث

رسوم للنغم المفكر (*)

(*) نشر الديوان للمرة الأولى عام ١٩٧٣م، وأعيد نشره ضمن ديوان الشاعر محمد الفايز
١٩٨٦م: ص ١٦٩ ص ٢٥٤.





النغم الأول

لا تقولي أين من كانوا هنا
كلُّهم راحوا وأُبقيتُ أنا
أصنَعُ الفجرَ على شُرفِها
وأسوي من خيالاتي مُنى
أضلُّعي قيثاراً أوتارها
بيدٍ تمتدُّ من خلفِ السُّنا
تقرعُ الليلَ تُناغي نغما
ورسوماً صرن شدواً وغنا

النغم الثاني

في فمي صاح (أحمدُ) من جديدِ
صيحةِ الثائر العنيدِ الوحيدِ
لم يزلُ يوغلُ المسيرَ لبغدا
دَ وفيها بقيةٌ من (رشيدِ)
كلُّ حرفٍ مغرَّدٍ سوف يبقى
هكذا قال لي وكلُّ جديدِ

النغم الثالث

وجدتُك تقتفي حركاتِ حُرُفي
وتجهلُ ما تمخَّضَ عنه نُرُفي
وقد خَلُفتُ أبوابًا ورائي
مكسرةَ الرتوجِ تئنُّ خلفي
أقاجِمُ منك أسوارًا وليلاً
ونولَ عناكبٍ وصخورَ كهفِ

النغم الرابع

نهبْتُ مع الألوانِ حتى كأنني
أرى أثري في كلِّ لونٍ ورونقي

النغم الخامس

أنا الليلُ مرسومًا على عطشِ الهوى
أنا الفجرُ موارًا على شفةِ السُّحبِ
أزخرفُ من عينيكِ أفاقَ نشوةٍ
وأشربُ من نهديكِ كأسًا على الشُّهبِ
مسالكُ من وجدٍ مُلحٍّ بأعرقِي
ورونقُ أحلامٍ يجولُ على دربي

أَهَاجِرْتِي مَا ذَنْبُ حَرْفٍ مَغْرَدٍ
تَنَاوَلُ مِنْ عَيْنِيكَ لَوْنًا مِنَ الْحَبِّ
أَهَاجِرْتِي مَهْمَا تَرَامَتْ مَسَافَةً
فَلِإِنِّي مِنْ عَيْنِيكَ أَقْرَبُ مِنْ هُدْبٍ

النغم السادس

إِلَى الْآنَ مَازَلْتُ الشُّجَاعَ الْحَارِبَا
وَمَازَلْتُ ذَا رَأْيٍ وَقَدْ كَانَ صَائِبَا
يَدِيرُ اتِّجَاهَاتِ الَّذِينَ تَحَرَّفُوا
إِلَى اللَّيْلِ أَوْ دُبُّوا عَلَيْهِ عَقَارِبَا
وَقَدْ فَرَعْتُ تِلْكَ الْمِيَادِينَ كُلُّهَا
فَلَمْ أَرَ مَضْرُوبًا وَلَمْ أَرَ ضَارِبَا

النغم السابع

تَحَرَّكِي يَحْتَرِكُ وَجُدٌ وَيَحْتَدِمُ
وَنَقَّلِي الْخَطُولَ لِأَشَأَّتْ لَهَا قَدَمُ
رِسْمٍ أَعْضَائِكَ السَّمْرَاءِ أَجْنَحَةٌ
مِنْ اللَّهَيْبِ تَمَادَى فَوْقَهَا الْخُزْمُ
سَمْرَاءٌ كَالْأَكْوَسِ الْمَلَأَى كَأَنِّيَّةٍ
يَمْدُهَا الْعَطْرُ وَالْأَشْوَاقُ وَالنَّغْمُ

النغم الثامن

تَجَسَّمِي تَجَسَّمِي
يا فـكـرَةً في نغمِ
يا جـسـدًا كَأَنه
مـبـرـعٌ في بُرْعِمِ

النغم التاسع

لـدِّي الكـثـيـر لـدِّي المـزـيـد
وأنتَ القـرـيـبُ وإني البـعـيـد
ضـحـكـتَ لأنـك في غـفـلـةٍ
كأني الـلـهـيـبُ وأنتَ الجـلـيـد
كأنك تـجـهـل ما ذا الحـرـوف
وما ذا الـرـسـوم وما ذا القـصـيـد
كأنك تـجـهـل ما نشـوتـي
وعندي نـزـيـفٌ وعندي وريـد

النغم العاشر

مساؤك هذا الأرجواني مـقـمـرٌ
وإن شـابَهُ مـمَّا به نـتـفـكـرُ

مساؤك هذا موغلٌ في غياهبِ
يقال لها نجمٌ وهما نحن نسهر
نحاول من أفاقه وهي كلما
نقول بلغناه تطولُ ونقصر

النغم الحادي عشر

أُعبِثُ من أعضائه ما أُعبِثُ
وأبعثُ فيه الشُّوقَ والشُّوقُ لاهتُ
إذا ما التقينا جاذبتني فنوئُهُ
وفاجأني منه هوى وبواعثُ
أراه إذا انحازتُ به كبرياؤُهُ
يحاول إيهامي وإنني لما كُت

النغم الثاني عشر

صَيَّرْتَنِي يا عطرُ عطرًا نازفًا
وهوى يُحيلُ القاحلاتِ متاحفًا
مَنْ صَيَّرَ الثغرَ الشحيحَ جداولًا
فاضت عليّ مباسمًا مَراشِفًا
أهواك يا قمرًا يُرصِّعُ ليلتي
لونًا يُجاذبني الغرامَ العاصفًا
تهتزُّ بي النَّشواتُ حتى خِلْتَنِي
رَقَصْتَنِي نغمًا وكنتُ العازفًا

النغم الثالث عشر

رسمت ثغرك في أنحاء زاويتي
ورحمتُ أصنعُ من عينيك أفاقي
عينانِ يجثمُ فيها صمتُ زوبعةٍ
لكنها ذاتُ إيماءٍ وإشراق
يهتزُّ ليلُ سنيني كلما شخصت
نحوي وتنشلني من قاع أعماق
يرسو بها الضوءُ إرساءَ النجوى على
ليلٍ تأنقُ بالألوان دُفُاق
نهبت فيها ليالي التي نُهبتُ
مني وعادني شوقٌ لمشتاق

النغم الرابع عشر

لم تعلمي أيُّ لونٍ فيك يُعجبني
فكيف علمك في بئِّي وأوجاعي
صغيرةٌ أنت لا تدرينَ كم سببٍ
إلى هواكِ بأحشائي وأضلاعي
إذا عيونكِ مالَت نحو رغبتها
وأعربت عن خفايا كلِّ أوجاعي
بيضاءٍ إلا عيونُ شبةٍ لاهثةٍ
زرقاء بين تلاوينِ وإشعاع

هناك أعلم ماذا خلف صامتةٍ
من الشفاهِ ولا سمعُ كأسماعي

النغم الخامس عشر

من أين يُسكبُ هذا العابقُ الشَّبِيبُ
وأَيِّ عرقٍ من الأعراقِ يلتهمُ
يكادُ ينزفني مصُّ الرضابِ إذا
تشابكتُ أعينُ غنَى بها الضُّرم
تكادُ أوراكُها والشوقُ يقعدُها
تنهار في نغمٍ يحدو به نغم
شقراءُ تحمَّرُ فيها لاهثاتُ دمي
إذا تناولتُها والشوقُ يحتدم
كأنَّ أعضاءها انصاعتُ لنشوتِها
فكلُّ لفتةٍ عضوٍ عندها نهم

النغم السادس عشر

لئن سألْتُ لنا أرضُ ففينا
أراضٍ لا يوؤلُ لها سبيلُ
كأنَّ زوابعَ الأيامِ فيها
إذا جالت بها فِكرٌ تجول



ومهما شدَّنا قاعُ لقاعٍ
وغطَّتْ دربنا هذي الوحول
فما زالت دمانا مُعْرِقاتٍ
إذا فقدت عراقتها الأصول

النغم السابع عشر

ألوانُ ليلك أم ألوانُ أفاقٍ
أم صحوَّة الصِّمْتِ في إشراق أحداقٍ
عطَّرت ليلِي من صدرٍ كمتكأ
فدَّتْ عطورك أقلامِي وأوراقِي
من فصَّل النجمَ قمصانًا ملونةً
وصيَّيرَ الليلَ ألوانًا لأحداقٍ
تدفَّقِي يا قرابَ العطرِ في شفةٍ
تكاد تبدو عليها مسحةُ السَّاقِ

النغم الثامن عشر

هذا هو العيدُ. ماذا أيها العيدُ
تحضَّنتكِ روابِي البانِ يا بيدُ
ويا مصفَّ خيولٍ في أعنتِها
تدفَّقُ من خصور الغيدِ محشود





ويا جداولَ ألوانٍ يفيضُ بها
شوقُ العصافيرِ والنَّدمانُ والعود
بأيِّ لونٍ حريرٍ سوفُ أصنعُهُ
وعداً. أنا وغزالُ البنانِ موعود

النغم التاسع عشر

إيه «كويثُ» ولأبوابٍ هيبتُها
في السور تحمل أفاقاً وأجواءً
كأنها أعينٌ لآن ما برحتُ
تَلُمُّ مِنِ خطراتِ الأمسِ سيماءَ

النغم العشرون

وكم أتِيحتُ لـلذاتِ لمنعفرِ
وملصقٍ في الدِّياجي أيِّ إلصاقِ
يخوضُ في زُخرفِ الألوانِ منسرحاً
يخوضُ فيه الدَّجى أحشاءَ أفاقِ

النغم الحادي والعشرون

يا غيمةً شرَّدتها الرِّيحُ مذُ سكبتُ
بعضَ الصَّبِيبِ على أنحاءِ غلاتي



لئن هبّطتِ على رملٍ وعوسجِه
فقد تركتِ غليلي في الظّهيراتِ

النغم الثاني والعشرون

إلى الآنَ مازلتِ الشَّقِيَّ المَعْدَبَا
ومازلتِ ذا وَجِدٍ ومازلتِ مُتَعَبَا
تراكَمَ في أجوائِكِ الليلُ معتمًا
وهوَّمَ في سيمائكِ الصمتُ مُرْعَبَا
تمارسُ أحوالًا كَثِيرًا أَخْفُهَا
هوَّى ظامِيَّ يقفو سَرَابًا وَسَبَسَبَا^(١)
كأنك ماذوَيْتِ ثَغْرًا بِقَبْلَةٍ
ولا احتضنتِ يَمَنَّاكَ صَدْرًا مُذْهَبَا

النغم الثالث والعشرون

في مقلاتيكِ تَطَلُّعُ وَسُوَالُ
وعلى يديكِ تراكمتُ أَغْلَالُ
لا تَعَجَّبِي من صامتاتي إنها
صَخْبٌ تَجَاوَزَ حُدَّةَ قِتَالِ
إنِّي أعاني ما تُعَانِيَنِ الهوى
ويَشوُقُنِي كَأَخْرِيَنِ جَمَالِ

(١) السَّبَسَبُ: المفازَةُ



فإذا تباطأ بي فلم تهتفُ بهِ
شفةً فقد باحت به أوصال
إني أسايرُهُ وأقفو خطوهُ
فلديّ منه مسافنةٌ ومجال
مارستُهُ حتى سبرتُ قرارهُ
وانسقتُ وهُو العارم الشُّلال
فإذا قنطتُ فمثلما قنطتُ رؤى
لم تكتملُ فمجالهنّ خيال

النغم الرابع والعشرون

أطلقُ عِناني. قد كرهتُ عِناني
وتوقفتُ بطلولها وجِراني
أطلقُ عِناني. إن قلبًا آخرًا
غيرُ الذي قد كان في جِثماني
سأليُّ من هذي الشفاهِ قنوطها
وأحيأها صخبًا بكلِّ مكان
وأثبَّتُ القدمَ التي زحزحتَها
وأمدُّ رُخوَ بنانها ببناني
تلك العروقُ الزرقُ صرُنَ أفاعيًا
هذا دبيبُ سموها بلساني
أطلقُ عِناني إنَّ مُديتيَ التي
حاولتَ تكسرُها من الصَّوان



حجرٌ تقوَسُ كاللسانِ تمدَّةُ
شفةٌ بها إغماءُ الظمآنِ
الأخطبوطُ بداخلي وملامي
كصحيفةٍ بقيت بلا عنوان
أنسابُ فيك كما يدبُّ بكاهلِ
غشيانُ سائبةٍ من السرطانِ
القدسُ يحرقُها اليهودُ ومنزلي
مأوى لأشباحٍ من الشيطانِ
وتفَيَّؤوا أشلاءً أحابي كما
جعلوا الحضيضَ مكانَ كلِّ عنانِ
صُوري مشوهةُ الرسومِ لأنها
صُبِغَتْ بأهيةٍ ثائرٍ غضبانِ
عصروا شفاهَ حبيبتِي ورموا بها
عطشًا يلوُبُ. وسمُّوا عُدراني
وسيعلم المتسكعونَ ببابها
أن سوفَ تذهبُ نشوةُ النشوانِ
هولٌ يُريعُ قلوبَهم فوجوههم
من خوفهم صورٌ بلا ألوانِ
يا ليلُ يا عطشَ الصباحِ وشوقه
لملمٌ دجاكٍ قدِ أنتهى إذعاني
إن كنتَ مُسجِنَ شهوتي وتحفزي
فغداً تكون السجُنُ للسجَّانِ
عطشي غديرٌ قوافلي. وتوغلي
في الصِّمتِ شيءٍ من لظى فُوراني

النغم الخامس والعشرون

عَلَّمْتَنِي كَيْفَ أَهْوَى النُّورَ يَا قَمْرِي
وَكَيْفَ يَغْمُرُ أَعْمَاقِي بِهِ نَظْرِي
مَا لِي أَوْزَعُ قَلْبِي فِي الْعَيُونِ فَنِي
أَحْدَاقِ كُلِّ جَمِيلٍ عَلَّقْتُ صُورِي

النغم السادس والعشرون

شَرْقِيَّةٌ هِيَ فِيهَا الْعَطْرُ وَالْأَلْقُ
وَفِي أَحَادِيثِهَا بَوْحٌ وَمَنْطَلِقُ
إِذَا تَحَقَّرَ فِيهَا شَوْقُهَا وَبَدَتْ
مَلَامِحُ الْوَجْدِ فِيهَا يَنْجَلِي أُنْفُقُ
عَرُوقُهَا أَوْغَلَتْ فِي أَمْسِهَا فَعَلَى
سَيَمَائِهَا ظَلُّ أَجْدَادِي الْأَلَى عَشَقُوا
الِهَائِمِينَ مَعَ الرِّيحِ الَّتِي اغْتَرِبْتُ
كَأَنَّهُمْ مِنْ حَنِينِ الرِّيحِ قَدْ خُلِقُوا
فِي كُلِّ مَفْرَقٍ دَرِبٍ مِنْ خَوَاطِرِهِمْ
مَعَالِمٌ تَتَجَلَّى تَحْتَهَا الطُّرُقُ
شَقَرَاءُ سَمْرَاءُ. فِيهَا نَفْحُ بَادِيَةِ
وِظَلُّ رَوْضٍ وَأَشْيَاءُ لَهَا أَلْقُ
إِذَا الْعَصَافِيرُ غَنَّتْ قَلْتُ عَاوِدُنِي
هَمْسٌ لَهَا أَوْ رَسَالَاتٌ وَلَا وَرَقُ

وكم تطلعت في لَوْنٍ لألحها
إذا نأت بهواها دوني الطرق
كأنما هي في حسِّي وفي خَلدي
ما يُشبه النومَ. أولاً فهي بي أرق
إذا توغَّل فيها الفكرُ عاودني
وملؤه اللونُ مشبوحاً به التُّزق

النغم السابع والعشرون

لم يبقَ من أمسها إلا هداياها
ونظرةً في الحنايا من حناياها

النغم الثامن والعشرون

يا وردُ يا عطرُ يا أنسامُ يا قُبَلُ
يا نشوةً تتراخى تحتها المقلُ
يا غفوةً الصحو في أشراقٍ يقظتها
إذا تمازجَ فيها الشُّوقُ والخجلُ
ويا تدفُّقَ شوقٍ كلِّما مُسِكْتُ
زمأمه يتمادى وهي تشتعل
تبسُّمي يا ضفافَ الورد في فمها
قد طال شوقُ مجاديفي. متى أصل؟

النغم التاسع والعشرون

ثم التقينا وكان الليلُ كالنَّفَقِ
أطاحَهُ الضوءُ من ثغرٍ ومن حَدَقِ
كأن فستانها الليليّ زنبقهُ
تضمُّ زنبقهُ أُخرى بلا ورقِ

النغم الثلاثون

ما للحروف لها شوقٌ إليك كما
تشتاق للماء أحشاءُ العصافيرِ
إذا استجاشَ بأعماقي الهوى ومشى
حتى توغَّلَ في حسِّي وتفكيري
من أعينٍ دار فيها الليلُ دورتهُ
ومن رموشٍ كأسراب الشُّحاريرِ
أحسستُها كينابيعٍ لها زخمٌ
بداخلي أو فراشٍ شبيه مذعورِ

النغم الحادي والثلاثون

بدا ما بدا منها وعافت عوائقُ
وقامت دروبٌ بيننا ومزالقُ

وقد أعربت عن وجدها غير أنها
تُعاصي الهوى طورًا وطورًا توافقُ
ألا إنها لولا بقيات أمسيها
وأمسي لما ضاقت علينا المضايق
نحاول أن نجتازها فتفوتنا
تُسبق من أشواطنا ما تُسبق
أتذبل أثوابٍ عليها كأنها
حدائق عطرٍ نَمَّقَتْها الرنابق
وما لامستها أنمل أو تسرح
عليها عيون أو تنشق ناشق
أينشف عطر في زواياها ملصق
وتذبل في أسوارهن الحدائق؟
ألا رب جدران ثوى خلفها هوى
يُعانقه من شوقه ما يُعانق

النغم الثاني والثلاثون

غداً سأجتاز أبواباً معطرةً
لبابها. وهو مفتوح ومسدود
بابٌ عليه قناديل ملونة
كما تلوّن تحت الفجر عنقود
ورونق لثياب الببدو عالقة
أنداؤه. فهو منحل ومشدود

إذا العبيرُ توارى في مفاتنه
تَكشَّفَتْهُ عيونُ الغيد والغيد

النغم الثالث والثلاثون

أتهجُرنا هكذا يا جمالُ
وتُقْصِيكَ عَنَّا دروبُ طِوَالُ
أيقنطُ صوتك ذاك القويُّ
ويبعدُ شخصك إلا الخيال
يُطل علينا من الخافياتِ
شروقًا مسافأته لا تُنال
كأنَّ مماتك بدءُ الحياةِ
إليك. كذاك تموت الرِّجال
يُخبِرنا موتك العبقريُّ
بأنَّ ممات الصغار الزوال
وليس ممات الألى يصنعونَ
حياةً يعرفُ عليها الكمال
لئن هاجم الدهرُ أعمارنا
ففيها عليه هجومٌ سِجال
وفيها عليه من الغابرينَ
رسومٌ عليها الهدى والجلال
تَقْفِيَّتْهَا مثلما تَقْتْفِيكَ
كذلك تشدُّ الجبالَ الجبال

النغم الرابع والثلاثون

أرى خطراتِ الفنِّ أسمى وأصدقًا
من الفكرِ محشورًا بليلاً وملصقًا
ألم ترَ أشياءً تقضى زمانها
إلى الآنَ لم تفقدُ بهاءً ورونقًا
متاحفٌ من فنٍّ يُخطُّ بريشةً
وإزميلِ فنانٍ تسامى وحلقًا
أرى الفكرَ أمّا أفقُّه فمحددٌ
حبيسٌ تفاهاتٍ بها عاش موثقًا
أحال لذاتِ الحياة متاعبًا
وموتًا وشيكًا أو زوالًا مُحققًا
من الأمسِ حتى الآنَ يزحف مارداً
تخبُّط حتى قيل عنه تَزندقا
وما الفكرُ إلا نزوةٌ ثم تنتهي
لأخرى كما رتقت ثوبًا مُرتقا
يحاولُ تفسيرَ الحياة ولم يزلْ
الى الآنَ سرًّا مثلها حيثما ارتقى
وما هو إلا الفنُّ يوغلُ مثلما
تَوغَّلَ ماءٌ في الثرى وتعمَّقا
تناولَ أبعادَ الجذورِ بديهةً
وأورقَ في أوراقِها وتسألقا
أرى أجملَ الأشياءِ أبعدها مدى
يخامرُ إحساسًا بنا بات مُرهقا

ولو أنّ هذا البدرَ بين أكفّنا
ولم يكُ مجهولاً ولم يكُ مُغلّقا
لخِلناهُ فانوساً تقادمَ عهدُهُ
تسمّرَ في أجوائه وتعلّقا
يشقُّ الدياجي نورُهُ وهوَ صخرةٌ
لها حركاتٌ ما أدقُّ وأرشقا
أرى قرننا العشرينَ بدءَ انطلاقةٍ
لفكرٍ جديدٍ كان حلماً مشوّقا
تناوله الماضونَ حرفاً لشاعرٍ
ورؤيا لرسامٍ براها وزوّقا
وأنغامَ فنّانٍ يجسّدُ فكرةً
بلحنٍ يُحيلُ النايَ ثغراً ومنطقا
ويا ربُّ أحجارٍ بقاعاتٍ مُتحفٍ
حوت فكرةً كانت خيالاً تحقّقا
تجول كالوان بأحداقٍ ملهمٍ
وطوراً حريقاً بين عينيه حدّقا

النغم الخامس والثلاثون

مازلتُ منتظراً قدومكِ حالماً
بالعطرِ واللمساتِ والبسماتِ
بمساءٍ شَعركِ حينَ تنبشهُ يدي
فألَمُّ منه النجمِ والهالاتِ

بمواقِدٍ في مقلتيكِ تدفأَتْ
فيها برودةُ أضلعِ الكلمات
كم أيقظتني الهاتفاتُ بأعينِ
سودِ تضيءُ عليَّ بالنظرات
كم أوقفتني في مشارفِ لذةٍ
وتفسيئاتٍ بظلالها غلاتي
سمراءُ بي عطشٌ إلى عطشِ الهوى
وتحفزُ لمباعد الأذات

النغم السادس والثلاثون

ألم ترَ أني لا أزالُ مُسهِّداً
ولمَّا أزلُ في التيهِ أقطعهُ سُدى
«حذامي» وماذا من رؤاها سوى الرؤى
«وليلي» وما لي من صداها سوى الصدى
تمشَّى الهوى فيهنَّ حيث ظلاله
ونرجسُهُ من حيث اجتازَ فدُفدا
خُلقتُ بأضلاعٍ ثقالٍ وإنما
تطيّرني شوقٌ إذا ارخيتُ شدداً
وأخزرُ علمي أنني لست عالماً
بشيءٍ سوى أني أعاني التجلدا
إذا نزلتُ من عاطفاتِ نوازفُ
وشاء الهوى والوجدُ أن أتمرّدا

رجعت إلى حرفٍ تناول حدّتي

وشرّدني في الأرض حرفًا مُشرّدًا

أكاد إذا أوقفتُ من مسرعاته

أعاكسُ تيارًا بجسمي تلبّدًا

ومازلتُ مطوّعًا له غيرَ أنني

أرى من دواعي الأمر أن أتبلّدًا

فيا روضةً في آخر الرمل أزهرتُ

سقتك غواصي الغيثِ مثنى وموجدا

فإنّ التي تأوي ضلوعي تخضّني

لتسقطني شلّوا وحرفًا مغرّدًا

يطارحُ أمثالي الذين تهوّرتُ

نوازعهم فيهم فهاموا بلا هدى

تطاردهم أفكارهم وشعورهم

تقفّي أحاسيسًا ترامي بها المدى

إذا وقفتُ فيهم مواقف شوطهم

عن السير صاروا موقدًا حتّ موقدا

وما فيهم شيءٌ من النار إنما

يُضيئون حيث الليل أطبق أسودا

كأنهم تحت السماء مشارقُ

من النور أو طير مع الفجر غرّدًا

مسافاتهم لا تنتهي بحدودها

سكاري وما نالوا الذي ينقع الصدى

خَلِيلِي كُفَّا السَّيْرَ وَالتَّتَمَهَلَا
وَإِنْ رَمْتَمَا قَوْلًا صَرِيحًا لِتَقْعُدَا
عَرَفْنَا أَخِيرًا أَنَّنَا شَوْطَنَزْوَةٌ
وَقَدْ شَاءَتْ الْأَيَّامُ أَنْ نَتَرَدُّدَا

النغم السابع والثلاثون

إِذَا تَنَقَّلْتَ إِنِّي غَيْرُ مَنْتَقِلِ
وَلَنْ أَبَدَّلَ أَنَهَارِي بِذَا الْوَشَلِ
مَا زِلْتُ أَحْمَلُ أَلْوَانِي الَّتِي رَضَعْتُ
مَنْ الشَّمُوسَ وَذَاكَ الزَّخْمَ لَمْ يَزَلْ
غَدًّا سَتُنَسَفُ جِدْرَانُ لِعَنْكَبَةٍ
تَبْنِي سَقُوفًا عَلَى الدَّيْبَاجِ وَالْحُلِّ
غَدًّا تُمْرِّقُ أَقْمَارًا لِفَائِفِهَا
وَتَسْتَفِيقُ شَمُوسٌ فِي رُؤْيِ مُقْلِ
لَنْ سَهَرْتِ بِالْأَلَامِ مَكْدَسَةٍ
فَقَدْ سَهَرْتِ بِحَرْفٍ شَبَهَ مَشْتَعَلِ
حَرْفٌ إِذَا احْتَرَكْتَ أَجْوَاؤُهُ احْتَرَكْتُ
هَذَا الْأَكْفُ الَّتِي فِيهَا هَوَى الْقُبْلِ
هَوَى الشَّمُوعِ إِلَى لَيْلٍ أَوَّخِرُهُ
أَوَّخِرُ الْوُخْزَ مِنْ نَحْلِ وَمِنْ عَسَلِ
إِنْ كَانَ ذَنْبِي أَنِّي رَاسِمٌ نَغْمًا
مِنْ الشَّعَاعَاتِ. إِنِّي غَيْرُ مَنْتَحَلِ

أَقْسَى الْعَانَاةِ صَمْتُ فَوْقِ صَاخِبَةٍ
مِنَ الْأَحَاسِيْسِ وَالْأَفْكَارِ فِي رَجُلِ
الْأَحْدُوْدِ أَرَاهُ فِي مُدَوَّرَةٍ
يَدْعُوْنَهَا الْأَرْضَ وَالْحَفَارُ فِي شُغْلٍ
لَوْ كُنْتُمْ وَاحِدًا مَا كُنْتُمْ أَعْبَاءَ مِنْ
جَوْلَاتِهِ لَوْ أَتَاهُ الْعِزْمُ مِنْ جَبَلٍ
لَكُنْكُمْ عَصَبَةٌ لَأَذَتْ بِمِنْحَدِرٍ
غَدًا سَتَنْهَارُ كَالْآثَارِ فِي الطَّلَلِ
قُبْحَتُمْ مِنْ نَفَايَاتِ مُسَلِّطَةٍ
عَلَى بَوَاكِيْرٍ أَحْلَامٍ عَلَى أَمَلٍ
لَا تَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ فَنَصْحَبِكُمْ
وَلَمْ تَقِيْمُوا عَلَى شَيْءٍ سِوَى الزَّلْزَلِ
أَيُرْفَعُ اللَّيْلُ مَشْلُوْلًا عَلَى قَمَرٍ
وَيُدْفَنُ الشَّمْسُ فِي وَادٍ مِنَ الْوَحْلِ؟
وَلِلْأَعَالِي شَمُوْخٌ رَغْمَ عَالِقِهَا
مِنَ الثَّلُوجِ وَلَا حَمْلٌ كَمَحْتَمَلِي

النغم الثامن والثلاثون

أَدِيْرُوا عَلَيْنَا الْكَأْسَ صَفْرَاءَ مِثْلَمَا
تَبَاعَدَ ضَوْءٌ أَوْ تَلْتَمَّ كَوْكَبٌ
لَهَا فِي الْكُوْوسِ الْبَارِدَاتِ تَوْقُدٌ
وَفِي الْأَعْيُنِ السُّوْدِ الْوَسَاعِ تَلْهُبُ

إذا وطأت أحشائنا فتناولت
دواخلنا ألقىتها تتشعب
تلاحقها أعماقنا فكأنها
بها ما بنا من شوقنا حين تُسكب
ولم أرَ مثل الكأس مؤنسٍ وحشةٍ
ولا مثلنا لِمَا تُدارُ وتُشرب
مُبَرَّدَةٌ شقراءُ فيها ملامحُ
مِن الفُرسِ إلا أنها تتعرَّب
سِلِّ البِيدِ عن رِوَادِهَا هل تمكنت
بها الريح أن تلوي الخطى حين تدأب
وهل أسكتت صوتًا لأحرفها التي
تجيشُ بها أضلاعُ من يتصبَّب؟
وهل عطلت من سامرٍ قد تَسَامرَتْ
به من مطاويه التي هو يكتب؟
وهل شحبت واحاتُها أو تخارست
نَسَائِمَهَا النَشْوَى؟ وهل نام ملعب؟
لَعَمْرُكَ ما زالت بها خاطراتُها
وأفكارُها القصوى التي تتقرَّب
أديروا علينا الكأسَ حتى نُحسِّها
تناولتِ الإبعادَ أو هي أقرب
وماذا إذا اجتازت دواخلنا ترى
سوى التيهِ نطوي شأوهُ وهو يذهب



وماذا سوى سيمائنا قد تسألْتُ
عليها المطاوي فهي جرداء سبَسَب
بها من أديم البِيدِ بعضُ جفافِها
وفيها الذي في جوفها يتلَهَّب

النعْم التاسع والثلاثون

أنا يا مشرقة العيـ
نين جرحُ بقصيدة
وضرعاتُ خيالِ
عبر أفاقٍ بعيدة
كلَّ أنٍ لي جموحُ
وانطلاقاتُ جديدة
وانزلاقاتُ حروفِ
بمتهاهاتٍ شريده
الثلاثون إلى الآ
ن بداياتُ بلايدة
ببارداتٍ وأنا أعـ
لي بأفكارٍ عنيدة
أنت لا تدريينَ ماذا
بمسافاتِ المديده
وبأقماري التي تز
حفُ في الوحل شهيدة



تنطحُ الليلَ تهزُّ الشُّـ

شَمَسَ مِـرَاتٍ عَدِيدَه

أنا يا ضارعةً النَّهـ

ـدينِ أعصابُ شديده

فدعي كهفي وأمطا

رَ خيالي ورعوـوده

ما الذي تبغين ممَّن

جعل الحـرفَ وجـوده

ما الذي تبغين ممن

جعل التيه حـدوده

ما الذي تبغين ممن

سار دريًّا لن يعوده

النغم الأربعون

رجالُكِ اثْنانِ مطعونٌ ومهزومٌ

وثالثٌ مُوثَّقُ الكفَّينِ ملطومٌ

ما لي أراكِ كموثوقٍ تخطَّفُهُ

خوفٌ وأذهاله صمتٌ وتسليم

ما بال نيلكِ لم تصدحِ حمائمُهُ

ولا انتخى فيه صقرٌ فهو مهموم

وأين أكؤسه من ليلِ شاربها

صفراءُ بيضاءُ تحدوها الترانيم

وأين من «بردي» سيفٌ وشاعره
يخافُ ذكرهما الصّلبانُ والروم
وأين (هارونُ) من «بغدادَ» يشحذُها
وأين (منصورُها) الباني (ومعصوم)
وأين جيشُ فتوحاتٍ وألويةٍ
سوداءُ بيضاء لم يعلقُ بها الشّوم
أما انتختُ من عرون الصّيد نازفةً
فقد عهدنا لظاها وهو محموم
كأنما لاهثاتُ البيد لاهتُها
تحت التراب لها غيظٌ وتشتيم
كأنما كل عظمٍ في مقابرهم
مكانه بيننا صدرٌ وبلعوم

النغم الحادي والاربعون

ما تزالين حلوّة الإشراقِ
رغمَ ما فيك من شحوب الفراقِ
ما تزالين روعةً تتجلى
بعيونٍ يغرفنَ من أفاق
لم يزل صوتك الحزينُ شهياً
يستثيرُ الحنينَ في أعماقي
لأصيلٍ يقفوه منّا أصيلٌ
وتلاقٍ يقفوه منّا تلاقٍ

إن توارى شعاعُ شمسٍ تجلّت
ألفُ شمسٍ لنا بدفءِ العِناقِ
يتمادى بنا الحنينُ ويطفو
مُشرئبًا بنا على الأحداقِ
أنا نشوانٌ في عيونك مشغو
فُ بليلٍ حواهما ذي إتلاقِ
كم تطلعتُ كي أراكِ فأقصا
ني بريقُ الخدودِ والأحداقِ

النعيم الثاني والأربعون

لئن تمؤنتُ من عينيكِ أو رتعتُ
صبايتي بجمالِ فيكِ خلّاقِ
أحالني عطشًا يهفو أيّ عطشٍ
فكلُّنا اليومَ ساقٍ عندهُ ساقِ
فإنني سوفُ أبقى منك باقيةً
من الشروقِ على أفاقِ أوراقِ
أرى ارتفاعاتِ عطرٍ فيكِ تحملُني
إلى مشارفِ أفاقِ بأحداقِ
ألوذُ بالعطرِ والألوانِ في شفةِ
تحوي الشعاعاتِ دفاقًا بدفاقِ
حمراءُ تملأني من لونها صورًا
راحت تُجاذب أحلامًا لعشاقِ



ضاقَتْ بهم جنباَتُ الأرضِ وانقطعتُ
بهم دروبٌ سوى فَوُهَاتِ أَشْدَاقِ

النغم الثالث والأربعون

هوى تقمَّصَ أعضائي إليك كما
تقمَّصَ الماءُ أوراقًا وأغصانا
ثيابكِ الحمْرُ والزرُّقُ التي رَعَفْتُ
من كل لونٍ جعلنَ العمرَ ألوانا
تضاحكتُ فيكِ حتى كدتُ أحسبُها
تموسقتُ فيكِ أو سَوَّوْتُكِ أَلحانا
كأن سربَ فراشاتٍ مُنرَّقَةٍ
جعلنَ منكِ ضفيريَّاتٍ وفستانا

النغم الرابع والأربعون

سمراءُ لا صورٌ عندي أناغيها
إلا طيوفُكُ تُخفيني وأبديها
كأنها وخيالاتي تُداعبُها
تَقْفُو هواجسَ حسِّي أو تُماشِيها
وكنتِ لي. كيف كنتِ؟ نسمةً حملت
أشذاءَ دنيا أراني في نواحيها



دنيًا تُزخرفها عينانِ ملؤهما
عمقُ الحياةِ إذا اكتضتْ معانيها
ألمٌ فيك هوى دنيًا تُلوّن لي
دروبَ عطرٍ أراني هائمًا فيها

النغم الخامس والأربعون

يا ليلةَ الأمسِ ما كانتْ سويّعاتي
إلاّ فداءً سويّعاتٍ بليّلاتٍ
حيث التقي عطشي بالماء تسكّبُهُ
شواطئِ العطرِ في أحشاء غلّاتي
حيث انسيابي في أعضائها شفةً
ظمأى تُصفّق في أحواضِ غيمات
حيث انصهارُ حنيني في تَلْفُتها
والوجدُ يصنع منها لونَ هالات
مَنْ لوّن الكلماتِ الخضرِ، من سَكَبَ الـ
هالاتِ فيها مشعّاتٍ بديعات
يا ليلةَ الأمسِ إنني لم أزلُ قممًا
تنهارُ. تغمرُها رشّاتُ زخّات
تموّجتْ في ثيابٍ فوق مُتكَأٍ
غاصت به كهلالٍ عبرَ واحات
أكاد أحسبُها والشّوقُ يغمرُها
إحدى بناتِ خيالٍ رائحِ آت

تجسّدتُ فتنهاهُتُ في ملاحظتها
وقد تجسّدتُ طيفاً في ملاحظات

النغم السادس والأربعون

غدًا أسافرُ واجتاحتُ ملامحها
ملامحُ من كآباتٍ تُغطّيها
ملامحُ عكستُ فيها دواخلها
بلا شعورٍ وأبدت من خوافيها
كأنها اختصرتُ في وجهها دمعتها
أو شبّبتِ النارُ فيها أو تُعانيها
فقلتُ والليلُ تنهار النجومُ بهِ
من هول ما انهار فيها من معانيها
إني سأدفنُ عيني في محاجرِها
حتى أراكِ شروقًا في دياجِها

النغم السابع والأربعون

متى ستأتين؟ لا أدري. وهزّ دمي
شبهُ ارتعاشٍ ولاحثٍ منكِ أطيافُ
اللونُ والمرحُ النشوانُ والعبثُ الظُّ
ظّامي الحراكِ ووجهُ منكِ شفافُ
يكاد يخرقُ الأبعادَ طائفُهُ
حتى أراكِ بهِ والشوقُ نرّافُ

يا رحلة العطر يا ألوان قافلة
من العبير عليها اللون أفواف
متى تعودى يعدُّ لليل رونقهُ
وتنجلي عنه أستار وأسداف
تأوى الرؤى خلفها حتى إذا اكتملت
تلوح لي منك أطراف وأعطاف

النغم الثامن والأربعون

يا زخرف الثغر في هالات بسمتها
يا رونقًا يتجلى حين تبتسم
ويا ضفيرا لها اللاتي يسرحها
منها التفات كما يُسترسل النغم
يا كل شيءٍ بها حتى قساوتها
إذا استجاش بها وجد فتحتدم
إذا تطلعت عن سهو لمنطلق
من الجمال كما تُستشرف القمم
إذا تفيأت واحات بهاجرة
لها علي ظهيرات كما الضرم
إذا الحروف تراخت مثل ذابلة
من الغصون تمشى فوقها الهرم
لا تبعدى عن مسافاتي وناحياتي
إلى نواحيك. مالي عنك مُنصرم

عطورُ ليلِكَ ما زالت تُعبئُنني

زخارفًا من حروفِ فيك ترتسم

يا لوحةً أتقرّأها بعاطفةٍ

كما تلوحُ لعينِ الشاخصِ السُّدم

النعيم التاسع والأربعون

لا تَعْجِبي من قُنوطي حين ألقاكِ

وما تمشُّني بأعضائي لمراكِ

قد حاطَ بي الوجْدُ حتى لم أجدُ سببًا

إلا إليك فَمَنْنَاكِ كَلْقِيَاكِ

إذا انْعَطَفْتُ لأخرى رَدَّنِي شغفُ

إلى بهاكِ فما أشتاقُ إلاكِ

حبيبتي لا تقولي أنتِ تلعبُ بي

أو من ضحاياي. إنِّي من ضحاياكِ

لئن سهوتُ قليلاً عنكِ أو سرّختُ

بي الطّيفُف لدنياً فهي دنياكِ

هواكِ أجنحتي فيها وأخيلتي

وما تخيلتُ إلا حلوَ سيماكِ

وغيرِ بسمتكِ الأولى ومتقدِّ

فاضتُ به كالهتافِ الحلو عيناكِ

النغم الخمسون

مِنَ أَيَّنَ جِئْتِ؟ أَرَى لِلنَّيْلِ رَابِيَةً
بِصَدْرِكَ السَّمْحِ تَحْشَوهُ الْعِنَاقِيدُ
تَضَرَّمِ الْوَجْدُ فِي عَيْنَيْكَ فَاضْطَرَبْتُ
بِئِي النَّوَافِثُ تُذَكِّيهِهَا الْمَوَاعِيدُ
وَأَنْسَسْتُ خَطَوَاتُ مَنْكَ أَرْوَقَةً
لَهَا عَلَيْهَا أَهَازِيحُ وَتَغْرِيدُ
عَيْنَاكِ أَمْ جَدُولًا لَيْلٍ يُحِيطُ بِهِ
ضَوْءٌ مِنَ الْقَمَرِ النَّشْوَانِ مُحْشَوْدُ
أَشْوَاقُ عَامٍ عَلَى أَهْدَابِهَا نَضِجَتْ
كَذَلِكَ فِي كُلِّ عَامٍ يُورِقُ الْعُودُ

النغم الحادي والخمسون

تَلَفَّتِي يَلْتَفَتْ عَطْرٌ وَيَنْسَكُبُ
ضَفِيرَةٌ هَذِهِ الشَّقْرَاءُ أَمْ ذَهَبُ؟
كَأَنَّ زَخْرَفَهَا النَّشْوَانُ مَنْحَدْرُ
غَنَّى وَأُورَاقُ فِي أَنْحَائِهَا الْعَنْبُ
تَلَفَّتِي فَمَكَانِي مِثْلَمَا فَرَعْتُ
كَأَسُّ تَحْجَرُ فِي أَنْحَائِهَا الْحَبِيبُ
تَلَفَّتِي فَالْحُرُوفُ الْخَضِرُ ظَامِئَةٌ
كَأَنَّهَا سَرِبٌ أَطْيَارُ بِهَا سَغْبُ



تَلَفَّتِي مَرَّ عَامٌ دُونَ نَاسِمَةٍ
 مِنْ عَطْرِ شَعْرِكَ هَذَا الدَافِقِ العَذِيبِ
 كَأَنَّ تِلْكَ القَوَارِيرَ الَّتِي شَخَصْتُ
 عَلَى رِفَوفِكَ سُحْبٌ أَوْ هِيَ السُّحْبُ
 ظَمِئْتُ لِلسَّاحِلِ العَافِي عَلَى شِفَةِ
 تَكَادُ مِنْ لَوْنِهَا السُّورِدِيُّ تَلْتَهَبُ
 أَيْنَشْفُ النُّهْرُ لَمْ تَعْبِرْهُ أَشْرَعْتِي
 وَلَا مَلَأْتُ قِرَابِي. إِنَّهُ العَجَبُ

النغم الثاني والخمسون

تَأَلَّفْتُ فِيكَ سِيمَاءٌ وَأَعْضَاءٌ
 فَكُلُّ مَا فِيكَ يَا سَمْرَاءُ إِغْرَاءُ
 سَوَّيْتُ مِنْ نَغْمِي المَبْحُوحِ أَغْنِيَةً
 لَهَا مَعَ الفَجْرِ تَرْنِيمٌ وَإِصْفَاءُ
 تَقْوَسَ اللَّيْلُ مِنْ حَرْفِ يَفْجَّرُهُ
 قَلْبٌ تَجُولُ بِهِ الرُّوْيَا وَأَحْنَاءُ
 لَوْلَاكَ مَا انْتَفَضَتْ قَاعَاتُ زَاخِرْتِي
 كَمَا تَفْجَّرُ فِي أَعْمَاقِهِ المَاءُ
 أَنَا المَسَافِرُ يَا سَمْرَاءُ مَا وَقَفْتُ
 بِي الرِّكَابُ وَلَا شَلَّتْنِي أَجْوَاءُ
 أَنَا المَسَافِرُ فِي عَيْنِكَ يُرْشِدُنِي
 سَوَادِهَا وَنَوَاحِ فِيكَ خَضْرَاءُ



النغم الثالث والخمسون

ظلالُ بيتك تفأخُ ورمَانُ
بها من الظلِّ أشكالٌ وألوانُ
ألقي المسافرُ فيها رحلَهُ ومشى
به الهوى فهو مِطْوَأُ ومِذْعَانُ
مازلتُ أذكر ليلاً كاد يشعلُهُ
توهُّجٌ قد تولَّانا وطوفانُ
كأن أعرأقنا من نشوةٍ سبيلُ
مشى بها اثنان مفتونٌ وفَتَّانُ
لا تسألني عن سنيني ما حكايتها؟
ما الأمس؟ ما اليوم؟ ما لي عندها شانُ
تلك الثلاثون من عمري خلاصتها
كما يمرُّ على الظمانِ ظمانُ
إذا الدروبُ استدارت نحو قاحلةٍ
فلي من الحبِّ أنهارٌ وبستانُ
توهَّم الطيرُ أن الشمسَ بازغةٌ
فراح يشدو بليلٍ وهو نشوانُ

النغم الرابع والخمسون

دعي التكتُّمَ يا سمراءُ وانتشري
عطرًا يشقُّ دروبًا بين أكمَامِ

إني رأيتك تومي لي الروائحُ في
ثوبٍ تفصّلَ من إبداعِ إلهام
يكاد يُخرجني من كل زاويةٍ
تلبّدتُ بتفاهاتٍ وأوهام
سمراءٍ ما قيمة الدنيا إذا حُشرت
أقمارها بين أحجارٍ وأصنام
أيذبل الورْدُ لم تُلمسْ براعمه
بنافحٍ من لقاءاتٍ وأنسام
ذكرتُ ليلتنا حيث ارتقتُ قممي
على اخضرارٍ وهادٍ فيك بسّام
حيث أتكاؤك كالنشوى على كتفي
يفيضُ منك حنينُ الوالهِ الظّامي
وحيث شَعْرُكَ ينهار الضياءُ على
سواده بين كاساتٍ وأنغام
أخالُ أعضائكِ النَّشوى إذا طفحتُ
بذلك الوجدِ من إبداعِ رسّام

النغم الخامس والخمسون

قولوا لها إنني ما زلتُ أهواها
وإن تناءى بها دربٌ فأقصاها
ولم يزلْ عطرُكَ الفوّاحُ مذُرحلتُ
يهيج بي ذكرها. وإهٍ لذكرها

إذا تطلعتُ صوبَ الأفقِ فاجأني

منها خيالٌ فرؤياها كمرأها

ما زلتُ أذكرُ أهاتٍ لها امتزجتُ

بأهيةٍ بعدها أتبعثها أها

كأنها والحنينُ العذبُ يصبغُها

عند السوداعِ فأبكاني وأبكاها

تبدلتُ كلُّها لا الصوتُ ذو نغمٍ

ولا المحيا الذي أهوى مُحياها

يا سكرَ الوردِ في تلك الشفاهِ ويا

ضوءَ الخدودِ التي شبَّتُ ويا فاها

ويا تصاميمَ أثوابٍ لها حملتُ

ملاحهً طرَّزتُ بالحبيِّ دنياها

ويا أحاديثها الخضراءَ لا ذبلتُ

تلك الحروفُ وما يطويه معناها

لسوف تبقيَنَ أحلى ما يُفجرني

أغانيًا أنتِ يا سمراءَ أشجاها

النغم السادس والخمسون

تكلّمي فالجمالُ السَّمحُ أعذبُهُ

حرفٌ يُصعِّدُهُ شوقٌ إلى شفةِ

يا ضحكةً في شفاهِ الوردِ مشرقةً

ويا اخضرارَ ربيعٍ في ندى ضفةِ

لئن تكلمتِ الأعضاء معلنةً

عن شوقها بانسكابٍ منكٍ مُلتفت

فَللحروفِ صداها الحلو إن حملتِ

ما تستجيشُ به الأعماقُ سيدتي

حملتِ كلَّ عطورِ الأرضِ وانسكبتِ

بك التلاوينُ في أعضاء زنبقة

وقد تمشَّى الهوى في مقلتيك كما

مشى الشباب بصدرٍ فيكٍ ذي عنت

النعيم السابع والخمسون

تنقُّلي تنقُّلي	كموجةٍ من عسلٍ
كرونيقٍ من زخرفٍ	مجسِّدٍ في هيكلٍ
كأنما أعضاءه	من عبق القرنفل
تعتَّق السدفُ به	كأنه يهتف لي
فيا حروفي غرّدي	ويا رسولي هلي
ويا مخابيء الهوى	تفتحي كالأمل
بالعطر فواخًا على	ضفيرةٍ كالشُّعل
شقراءٍ في توهجٍ	يُذكي حنين الغزل
تغوص في عبيرها	كفي وتطفو قبلي
شقراءٍ يا ساقيةً	يهفو إليها جدولي
تنقُّلي تنقُّلي	كموجةٍ من عسلٍ

النغم الثامن والخمسون

أُحْرِكُ فِي أَعْضَائِهَا سَكْنَاتِهَا
إِذَا نَظَرَاتِي دَاعَبَتْ نَظَرَاتِهَا
وَيَجْذِبُهَا شَوْقٌ بَعِينِي شَاخِصٌ
يَفْجِّرُ فِي أَعْضَائِهَا شَهْوَاتِهَا
يَظَلُّ كِلَانَا شَاخِصًا وَعِيُونُنَا
صَحَائِفٌ وَجُدٍ نَحْنُ فِي صَفْحَاتِهَا
وَلَمْ أَرَ كَالْأَحْدَاقِ حِينَ انْطَلَقِهَا
طَيُورَ رَحِيلٍ غَادَرَتْ وَكُنَاتِهَا
كَأَنَّ رَبِيعًا يِقْتَنِي خَطَوَاتِهَا
إِذَا ابْتَسَمَتْ يَنْسَابُ فِي بَسْمَاتِهَا
وَلَمَّا اسْتَحَرَّ الْوَجْدُ فِيهَا وَأَعْرَبَتْ
ظَوَاهِرُهَا فَاسْتَنْطَقَتْ خَافِيَاتِهَا
سَمِعْتُ لَهَا طَرْقًا بَبَابِي وَطَالَمَا
تَعَرَّفْتُهَا مِنْ قَبْلِ فِي طَرَقَاتِهَا
فَفَاجَأَنِي مِنْهَا شَرُوقٌ تَسْرَحَتْ
عَلَيْهِ ثِيَابٌ أَنْقَتُ سَرَاحَاتِهَا
بَلِيلٌ كَأَنَّ الْفَجْرَ يَكْرَهُ لِسَهُ
بِهِ مِنْ عَوِيلِ الرِّيحِ شَتَّى لَغَاتِهَا
أُجْرِدُ مِنْهَا مَا اسْتَطَعْتَ حِيَاءِهَا
فَتَنْقَادُ وَالْأَشْوَاقُ فِي حَرَكَاتِهَا
كَأَنِّي أَيْقَظْتُ الشَّمْسَ بِجَسْمِهَا
وَفَجَّرْتُ عَنَفَ الرِّيحِ فِي يَقَاتِهَا

كأن توابيتاً تناثر لوحها
أمامي وأبواباً كسرتُ جهاتها

النغم التاسع والخمسون

في أوّل الصّيفِ ألقاها وتلقاني
على الينابيع في أجواء لبنانِ
يا منهضَ الصّدرِ بل يا لطفَ منسرحِ
له ولفطة تفاحٍ لرمّانِ
ويا وثوبَ صباباتي ومنطلقِي
إذا احتركت بأوراقٍ وأعكانِ
ويا زخارفَ أعضاءٍ ألوذُ بها
إذا استحرّت ظهيراتي ونيراني

النغم الستون

لبنانُ أنتَ مواسم الألبانِ
وحكايةُ الأزهارِ للغدرانِ
الصخرُ فيك متاحفٌ مبعثرةٌ
كمقاعدٍ فُرشت على الشُّطآنِ
يتفياً التاريخُ تحت ظلالها
كتفويوي في ظلِّك النّشوانِ
من ها هنا كأسٌ إذا ما أوغلتُ
نشواتها بدمي شدتُ أحزاني

وعيونٌ من تهفولهنَّ نوازعي
زرقاءُ بالعطشِ الشَّهي روان
بيضُ الوجوه كأنهنَّ مخابئُ
للعطرِ والبسماتِ والألحان
سامرتُ منهنَّ النجومَ على رُبي
والفجر مرسوماً على أبدان
حركأتهنَّ طلاقَةً ما أوقفت
أشواطها الأغلالَ في الإنسان
كأسٌ إلى كأسٍ تُرصُّ وأهةٌ
في أهيةٍ ويـدانٍ ثم يدان
مارستُ ألوانَ الجمالِ فلم أجذ
لوناً كلونٍ بنفسجٍ ببنان
يومي إليّ مع المساء كأنه
بُقياً نهارٍ هائمٍ حيران
من شاهدَ الانسانَ طيراً مُشرقاً
بل من رأى الأشراقَ في وديان
خضراً يُضربها اخضراراً راعفُ
فكأنها كونٌ من الأكوان
كادت بها الألوانُ تُنطقُ بعضها
فألهنَّ شبهةً حكايةٍ ومعان
ولهنَّ شبهةً تلفتٍ وتأنقٍ
حتى كأن بيانهنَّ بياني

وتناسقُ الأشياءِ في إشراقها
وجمالها همسٌ بغيرِ لسان
لبنانٍ جنَّتْكَ من نواحي بسمَةٍ
شَعَّتْ على الشيطانِ والكثبان
لولا ثلوجُك ما عرفتُ لهيبها
والثلجُ بعضُ مواسمِ التَّيران
ما ابعدتُك المبعداتُ فكلَّنا
أبناءً سائرِ هذه الأوطان
من هذه الأرضِ التي لمَّا تزلُ
عذراءٌ رَغَمَ تلاحقِ الحَدَثان
من هذه القممِ المنيفةِ فكرُّنا
ودماؤنا من عارِمِ الطُّوفان
ولئن تَناهَبْنَا الزمانُ فإننا
لألان فوق مَذاهبِ الأزمان
والأرضُ مَذْ كانتِ مسارحُ فكرةٍ
شَرقِيَّةِ النزعاتِ والبُنَيان

النغم الحادي والستون

تأنقُ الرملُ حتى صارَ أضواءً
وفجَّرَ الصخرَ ألوانًا كما شاء
واستوقفَ البدويُّ الحرُّ ناقتهُ
على السواحلِ مَلاحًا وحادًا

قد كانت البيدُ أشواطاً لموكبهِ
مستهلمًا أفقها وحيًا وأراء
واليومَ يهبطُ في الشاطي تعانقهُ
أمواجُه الزرقُ أنسامًا وأنداء
من صيّرَ العطشَ المخنوقَ في شفةٍ
ماءً تغلغلَ في الصّحرا وإرواء
أحالَ تلكَ الصخورَ السّودَ مُسرّجَةً
تنوّرَ الأرضَ شطآنًا وصحراء
وعلقمَ البحرَ حلواً مثلما انقلبتُ
مخالبُ صرنَ بعدَ الوخزِ أنداء
لن تعطشَ البيدُ بعدَ الآنَ يا سُحبًا
من الهيبِ ببطنِ الأرضِ سوداء
سيماؤها لهبٌ بادٍ وباطنها
كالماءِ يحملُ إرواءً وإنماء
توشحت قاحلاتُ البيدِ أريّةً
من فيضها السّمحِ حمراءَ وخضراء
يا ظامئِ الحرفِ في أنحاءٍ جارحةٍ
هاتِ أسقني من سُلّافِ الحبِّ صهباء
وارو لنا خبرَ البيدِ التي انتفضت
سمراءَ حثّت لبابِ الفجرِ سمراء
يا أيها الواغلُ المجتازَ ناحيةً
من العراقِ كما تجتازَ أنحاء

مجهولةً لم تطأها أيُّ قافيةٍ

وإن ترامتْ على الأحشاءِ رمضاء

حدتْ لنا عن جذور الفكر راسخةً

شماء ترضعُ في الأفاقِ شمَاء

تباركَ الحرفُ ما زالت روائعُه

تعانقُ الأرضَ إلهامًا وإيحاء

مررتُ بالشاطئِ الغافي ورملتِه

والصخرُ في الفجر استوحيه أنباء

عن السفائنِ والأبحار عن نغمٍ

لناهم يتقفي الريحَ والماء

عن أشرعٍ وحبالٍ عن مُودعةٍ

لمبحرٍ لم يجد في الأرض إواء

عن خفقةِ الشرع في ألواح صاريةٍ

كأنها حملتْ قلبًا وأعضاء

عن الدفوف على الشاطئِ وعودتهم

وربما عاد «بَرَآك» كما جاء

وعدتْ والأفقُ تُبدي لي ملامحَه

كفًا تمدُّ على الصحراء بيضاء

تأنقُ الرملُ حتى صار أضواء

وفجّر الصخرُ ألوانًا كما شاء

النغم الثاني والستون

سيكونُ ليلاً مظلمًا وطويلاً
إن لم تكنُ في قاعه قنديلاً
إن لم تكن عطشًا يسيح جداولاً
للظامئِ وللطغاةِ غليلاً
الناهبينَ شروقنا وروبِيعنا
والتاركينَا عتمةً وذبولاً
مسخوا بنا التاريخ حتى خلتنا
- لولا سماتٌ لا تزال - مغولاً
قطعوا بنا الأعراقَ وهي روابطُ
فتقَّموْنَا عالمًا محلولاً
في كلِّ أنٍ بقعةً منهوبةً
بقوَى تفلُّ وشائجًا وأصولاً
ومفجرٍ لضغائنٍ مطويةٍ
تركنتُ روابطنا الضخامُ فلولاً
ليس الذي يأوي لصبرٍ قادرًا
مثلَ الذي يأوي إليه ذليلاً

النغم الثالث والستون

سنخلعُ الليلَ قالتُ لي المصابيحُ
على العيون التي فيها التَّسابيحُ

يا دورة الأرضِ لأيامِ دورتها
إذا تسمَّر في مثوَاهُ مطروح
لئن تخارسَ في أيامنا قَدْرُ
ففي سواكِ ننا همسٌ وتلميح

النغم الرابع والستون

من صيَّرَ الليلَ في أنحائكُم قِمْما
والظلُّ منتصبًا والنورُ مُحْتشما
أرى نزيْفِي في أقصى مراحلِهِ
ولا أزال رسومًا تحضنُ الأُلا
أكاد أمسكُ مجهولًا يخاطِئني
منه شعاعُ أراه كلما احتدما
يا زخرفَ الخيطِ في أنوالِ عاشقَةٍ
راحت تُطرزُ لونهاً يقتفي حُلما
يا رحلةَ الحرفِ في أنحاءِ داميةٍ
راحت تلمسُ فيها راحتِي صنما

النغم الخامس والستون

وجدتُ ليلَكَ لا طولُ ولا قِصرُ
يأتي ويمضي كشيءٍ ما له أثر
وجدتُ ليلَكَ أحلامًا مكدَّسَةً
من الحروفِ عليها يجثم السَّهر

لا الأعين السُّودُ دُفَّاقُ بزخرفها
ضوءٌ ولا نغمٌ شادٍ ولا وتر
هل أُفْرِغَ الليلُ حتى من كواكبه
أم أقفر الأنقُ حتى لم يعد قمر
أين اللذاتُ في ألوانِ ساهرةٍ
يكادُ يُشرقُ في ألوانها السَّحر
تُؤنِّقُ الليلَ تدحوهُ روائعها
أوانياً وكؤوساً حَفَّها الزُّهر
وأين دورةٌ ثغرٍ كلما اتَّضحتُ
ألوانه تتجلى ثرَّةً صُور
يا مجلساً نسجتُهُ أنملُ عرفتُ
كيف المجالسُ والتَّدمانُ والسَّمَر
تنغمَّ الحرفُ في أجوائه وشدتُ
قصائدُ في هواه وانتشتُ فِكْر

النغم السادس والستون

مَنْ أنتِ يا قممي من أنتِ يا قاعي
ويا بواعثَ أفراحي وأوجاعي
في أضلعي كلُّ دُفَّاقٍ لعاطفةٍ
تدعوك. هل سمعتَ أذنًا للداعي
بأهةٍ أتشهاها إذا انطلقتُ
وإن تفكَّكَ منها حَبُّكَ أضلاعي

تنسلُّ نحوك أحداقي ملبَّدةً
بزاخمٍ من هدير الشوقِ لمّاع
دعي العطورَ. وماذا عطرُ امرأةٍ
بلا حبيبٍ؟ سفينٌ دون إقلاع

النعمة السابغ والستون

قالتُ وقد ألهمتني من تلُّهٍ بها
وفي ضراعاتِها أناتٌ مغلولِ
أمسٍ سمعتُ صديقاتي يدور على
حديثهنَّ حديثٌ شبَّهه منقول
ومن عيونك فسَّرتُ العيونَ وما
يدور فيهنَّ من قالٍ ومن قيل
ما لي إذا خَطرتُ لي منكِ سانحةً
بدا بي الوجدُ يا هذا فتبدولي
فأنت بين عيوني وهي هاجعةٌ
وأنت بين ضلوعي شبَّهه محمول
بي منك بعضُ تعابيرٍ أحاذرها
كأنني منك في أضواء قنديل
إذا توغلتُ في عينيك واتَّضحتُ
دواخلي كضراعاتِ المواويل
شعرتُ أنّ بصحوي غفوةً أخذتُ
بواقعي. وتراءى ظلُّ إكليل



فقلتُ والنَّزقُ الظَّمَانُ يشربني
من كلِّ حرفٍ مُلِحِ الهَمسِ معسول
من الشفاه اللواتي عُبئت نغمًا
ومن سماتِ كألوانِ التَّمائيلِ
ومن قميصٍ على أردانه سُرحتُ
ضفائرُ العطرِ حُبلى بالتَّهاويلِ
تحدّثي عنكِ. عن عينيكِ. عن شفةِ
من الكرومِ. وسُحفاً للأقاويلِ

النغم الثامن والستون

مازلتِ أنتِ وما زالتِ تُعاودني
طيوفُ حبِّكِ من حينٍ إلى حينِ
وما يزالُ لقانا البكرُ يحملني
إلى مكانٍ لنا كالسرِّ مكنونِ
يكاد يفضحنا عطرٌ بمتكأٍ
من عطرِ ثوبك يسري في سراييني
كأن صوتك من دفةٍ ومن مَرِحِ
ينسلُّ من جانحتي ثم يأتيني
أكادُ أرسمُه شوقًا وانشقُّه
إذا تقمَّصني مثل التلاوين
تلك النوافذُ ما زالت مشرعةً
على الطريق وفيها من مضاميني



النجمة التاسعة والستون

سألتها عن عقودٍ كان يجمعها
أبٌ لها كان صيِّداً وبَحَّاراً
رؤى السواحل في عينيه شاخصةً
كأنها حملت قاعاً وأغواراً
يعود من غزواتِ الصيف متشجاً
سمومهُ قاطعاً مدناً وأمصاراً
يصارعُ الموج في بحرٍ وعاصفةً
على الضِّفافِ وأهوالاً وأخطاراً
تراه في الليل مثل الليل مُتَشَجّاً
بالغامضاتِ. أحوال العمر أسفاراً
كأنما الأرضُ تآباه وتُنكِرُهُ
فليس يملك في أنحاءها داراً
سألتها وهوى العشريين يملأها
كما دحا العطرُ أوراقاً وأزهاراً
ولم تعدْ من رسومِ الأمس باقيةً
إلا الطيوفُ كما رُقعت أطماراً
مُورَّعاتٍ على بيتٍ مُتَلَمَّةً
أحجاره ككتابٍ ضمَّ أسراراً
سألتها وكأني حين أسألها
أحيلها نجماً حلواً وقيثاراً

النغم السبعون

شاهدتُ قلبك في خديك يحترقُ
والموعدُ السمحُ، في عينيك يأتلقُ
تكاد تُشرِقُ ألوانُ العطور على
ثيابكِ الحمرِ لولا أنها عبق

النغم الحادي والسبعون

وليلةٍ من ليالي الصيف مقمرةٍ
يكاد يهتفُ في أجوائها القمرُ
كأنما النجمُ أعراسٌ قد أتكأتُ
في الأفقِ أو أنها من روعةٍ سُررُ
تلوّنُ الضوء في أنحائها وسرى
كما يشاءُ. فمحبوكُ ومنتشر
سلكتِ دربي مشتاقًا إليك وبي
وجُدُ يسابق خطوي حين يستعر
قارورةُ الطيب في كفي لها عبقُ
والحبُّ في داخلي حرفٌ له صورُ

النغم الثاني والسبعون

غدًا أراك.. وشَدَّتْني إليك يدُ
مجهولةٌ وهوى في داخلي ضرمُ

هوى تسلق أعضائي إليك كما
تسألقتك عطور نفحها عريم
ورونق لثياب طالما سهرت
وأسهرتني. كلانا اليوم منهم
غداً أريك رؤومي الأخيريات فبي
في كل أن رسوم فبي ترتسم
ألم ترى قسماتي حين يملأوها
هوى اللقاءات حيث الشوق محتدم
كأن ساحلنا في الصيف تعرفنا
رماله فإذا جنناه تبتسم

النعيم الثالث والسبعون

تكتمت شفتاها ثم باح بها
ما في ملامحها من رائع الفكر
فكر تحرك في أعضائها ومشى
على العيون بزخات من الحور
وفي الوجوه مسافات تجول بها
سواكن تحت أضلاع لمصطبر
أكاد أسمع فيها الصمت المسه
كما لمست تعابيراً على صور
ينساب فيها الهوى عذباً وتوقفه
حواجز تتخطى كل مغتبر

تُضاحِكُ النَّاسُ عَيْنَاهَا وَباطِنَهَا
دمعُ يسيح بصمتهِ شبه مُنْفَجِر
رَأَتْهُمُ بِمَهَاوِيهِمْ تُبَاعِدُهُمْ
عن الجمال تلافيفُ من السُّتُر
عَجَزُ تَقَمَّصَهُمْ عن كل شامخةٍ
كأنهم حُفَرُ تَنْدُسُ فِي حُفَر
ترصدوا للنبيِّ حين عَلَّقَهُمْ
مثل العرابةِ أمام الشمس والقمر
للشاعرين وأبياتٍ لهم حملتُ
قياسَ الحرف من ثغرٍ ومن وتر
للنازفين دماً في كل منعطفٍ
والواقفين على أشفار منحدرٍ
قالت وفي شفيتها الآه تنزفها
ضلوغها مثل طيرٍ شدَّ في حُجَر
ما أضيَّقَ الجسدَ المحبوكَ هيكلُهُ
من التراب على شوقٍ بلا ظفر
ماذا سَأَفْعَلُ والألوانُ تنهبني
والحبُّ في داخلي كالعطرِ في الزَّهَر
أقسى دُبُولٍ وروِدٍ حين يلفحُها
حرُّ السموم ولم تبرحْ على الشجر
ماذا شخوصي والجدرانُ شاخصةٌ
ولا اختراقٌ لنا إلا على خطر
إذا تمرَّدَ بي شوقي وقد شهقت
روائحِي للقاءٍ منك مُنْتَظَر

وشبّ بي النهمّ المكبوت منتشرًا
على ملامح وجهي أي مُنتشر
من ساكنٍ تحت أعماقي يُلبّدني
كما تلبّدَ عنفُ السحبِ في الشرر
شاهدتُ أعينهم سيماء راصدةٍ
من الكواسرِ في سيما من البشر
كأن أحداقهم تَقْفُو أظافرهم
ففي تطلُّعها وخزُّ من الإبر
وهالني ضعفها. يا من رأى امرأةً
ينسلُّ من شفّتها قلبٌ محتضر
نموزجٌ لهفوتِ الشمسِ. ظاهرةً
عن الحياةِ بلا لونٍ ولا أثر

النغم الرابع والسبعون

خُذني أحرفي الظمأى وهاتي جداولي
وإن أظمأتني وهي سكبٌ لناهلٍ
خُذني أحرفًا كم حاولتها مسامعُ
ولولاك لَمَّا أنفجرُ من دواخلي
تلبّدَ بعضٌ فوق بعضٍ فنشّرتُ
مكامنّها زكري السنينِ الأوائل
سنيّ كَأَن اليومَ يحسدُ بعضُهُ
من اللطفِ في أسحارهِ والأصائل

بمخضرة المسرى إذا درجت بها
نسائمها هاجت أغاني البلابل
ومنتزه للطرف إن حلقته به
خواطر إحساس تُعد كالقنادل
ودرب لعذراء يغازل لطفها
بواعث وجد مشرئب الدلائل
تؤنق بالحناء والشذر كُفها
وتؤنس ساقياها بلغو الخلاخل
كأن خيالات لها في جوانحي
يحاولن مني ما خطته أناملي

التغم الخامس والسبعون

سأجعل منك بُقياً من ليالي
كما صيئرتني أفعى رمال
تفح كأنها تبغي انعتاقاً
لتمسي فوق كهفك كالهلال
عجبت لشدك الأعماق شداً
ولم يسبح خيالك في خيالي
وكننا كالجبال أمام ريح
فها نحن بقايا من جبال
وقد كنا انعتاقاً من كهوف
فها نحن انحداراً من أعال

وليس لأننا لم نبغِ شرًّا
بمن يبغى لنا مثل الرجال
وليس لأننا أحلامُ ماضٍ
كما قالوا تأسبُ للزوال
ولكننا تهاوينا فكنَّا
ضياءً ضاع في قيلٍ وقال
وما أدنى دروبك من دروبي
وحالك ربما كانت كحالي
كلانا نبتغي هدفًا ولكن
رأيتُ بك انحرافًا للخلال
تحاول أن تحيلَ الشرقَ غربًا
وأنت أقلُّ من بعضِ الذُّبال

النغم السادس والسبعون

أقولُ لكم كغيري حين قالوا
وما من عادتِي الخُطْبُ الطَّوَالُ
أقولُ لكم بأننا في نهارٍ
ولكن كاد يخطفه الزُّوال
وذاك لأننا لم ندرِ ماذا
يُخيط بنا وخذرنا أتكال
وأنا لا نرى الأشياءَ حتى
تقاخمننا وثورتنا انفعال

وَأَنَا مِنْ هَوَاةِ الْقَوْلِ لَمَّا
يُرَادُ بِنَا التَّقْحُمُ وَالنَّزَالِ
نَتَوَقُّ إِلَى السَّرَابِ وَكُلِّ نَهْرٍ
شَقَقْنَا لِلدَّهَاقِينَ الزَّلَالَ
قِصُورٌ تَرْجَفُ الْأَحْجَارُ فِيهَا
مِنَ النُّعْمَى وَتَحْرُسُهَا الظُّلَالُ
وَكَاسَاتٌ كَمَا انْتَصَبَتْ عِيُونُ
تَأْتِقُ فِي مَحَاجِرِهَا الدَّلَالُ
وَلَيْلٌ مِثْلَمَا يَنْسَابُ فَجْرٌ
تَطَلَّقَ فِي جِوَانِبِهِ الْجَمَالُ
كَأَنَّ الْأَرْضَ تَعَصْرُهَا أَكْفُ
لَأَكْوَسِهِمْ وَتَرْفُدُهُمْ جِبَالُ
مَتَى يَسْتَيْقِظُ الْإِنْسَانُ فِينَا
وَيُطْلِقُ لِلنَّهَارِ بِهِ مَجَالُ

النغم السابع والسبعون

مَازَلَتْ تَهْفُو لَهَا مِنْ بَعْدِ عَشْرِينَ
وَقَدْ تَجَاوَزَتْ أَبْعَادَ الثَّلَاثِينَ
حَيْثُ امَّحَى دَرْبُ «لَيْلَى» أَوْ تَعَطَّفَهُ
دَرْبُ وَأَقْفَرَ بَسْتَانَ «لِنَسْرِينَ»
وَلَمْ يَعُدْ مِنْ «حِذَامِي» غَيْرُ بِسْمَتِهَا
رَوَى تَعَاوُدُ بَيْنَ الْحَيْنِ وَالْحَيْنِ

إذا تذكرت ليلاّت بمنحدرٍ
على الضّفاف ظليلٍ بالبساتين
سربُ العذارى على شطآنه ألقُ
من النجوم ولكن في فساتين
يا مرقص العطر يا ألوان زنبقةٍ
يا مفرش السورِ جيّاش التّلاوين
يا مستحمّ الندى في الفجر تعصّرةُ
سماوةٍ في مسافات الرّياحين
يا صوت ناعورةٍ يصحو الأصيلُ بها
كأن ألواحها أضلاعُ مفتون
ويا عنادلَ فجرٍ في حناجرها
قياثراً. تتمشّي في الشرايين
هلاً أعنتم حروفاً طالما رعتُ
دماً وماءً بصدرٍ شبه مسكون
يكاد ينثر أضلاعي على ورقني
هوى حروفٍ غريبات العناوين
ما لي أفتنّرها وهي أخذةُ
بي المدى فزغاً منها وتدعوني
عشرون عاماً وأضلاعي ملبدةُ
مثل الغيوم على أفاق كانون
رأيت فيها الصحارى أصبحت عسلاً
لكنه في مواعين الدّهاقين
والليل فيها كاتون له صخبُ
من الخليج إلى أفاق «دارين»

كأن بُقيًا نبواتٍ بها انتفضت
مع الرياح على أسوار «قارون»
رأيت (ذا النُّونِ) حيث الحوت عائمةً
حمقى تعاكسُ تيارًا بذِي النُّونِ
رأيت بحارةَ البحرين أعيُنُهُم
على الخليجِ نذيراتُ بآتونِ
يا مرتقى الظلِّ إن الشمسَ قد تركتُ
على ملامحِ وجهي ظلَّ محزونِ
قد كانت الكأسُ تُدنيني بنشوتها
للحبِّ والشعرِ أقفوها وتقفوني
وكانت الأعينُ السُّودُ التي اكتحلتُ
بليلِ شرقك تدنيني وتقصيني
وكنتُ. ما كنتُ؟ بحارًا وأشرعتي أُلُ
أهدابُ والعطرُ أدعوها فتأتيني
واليومَ أَحسَبُنِي غصنًا بدوحتهِ
معلقًا لهوى ریحِ تُلَويِنِي
كتبِ أمسِ عن الصيادِ مذرِ رجعتِ
شباكُهُ خالياتٍ مثلَ «ديِّن»^(١)
وعن سفائنِ غواصينَ قد هبطتُ
بهم صخورهُمُ في جوفِ تَنِّينِ
سودُ الوجوهِ كأن الليلَ يسكنُهُم
أو أن طينَتُهُمُ ليست من الطينِ

(١) الدين: عبارة عن وطاب شبيه بالكيس يجمع به المحار، وهي كلمة شعبية.

كُنِبْتُ أَمْسٍ عَنِ الشَّمْسِ الَّتِي احْتَجَزَتْ
وَسُمِرْتُ فِي دِهَالِيزِ السَّلَاطِينِ
وَالْيَوْمَ مَاذَا؟ وَفِي حَرْفِي شِرَاهُتُهُ
إِلَى الصَّرَاخِ كَمَطْعُونٍ بِسَكِّينِ
يَكَادُ يَنْبِتُ شَوْكُ الصَّخْرِ فِي شَفْتِي
لَوْلَا ابْتِلَالِي بِهَذَا الْأَسْوَدِ الْجَوْنِ

النغم الثامن والسبعون

تَغْلِغِ يَا جَدُورَ النُّورِ وَأَنْهَمِرِي
يَا غَيْمَةً مِنْ حُرُوفٍ فِي هَوَى صُورِ
فَقَدْ تَمَشَّيَ الظُّمَأُ فِينَا وَأَوْقَفَنَا
تَطَوَّأْنَا بِصَحَارِهِ عَلَى حَجَرِ
تَغْلِغِ يَا جَدُورَ النُّورِ واقتلعي
حَوَاجِزًا وَسَقُوفًا ثُمَّ لَا تَذْرِي
لَا تَتْرَكِي مِنْ هَشِيمِ الْأَمْسِ بَاقِيَةً
وَلَا مِنْ الْيَوْمِ إِلَّا وَاقْدَ الْفِكْرِ
المَشْرَاطُ إِلَى الْأَعْمَاقِ يَنْبِشُهَا
وَخَلْفَهُ أَلْفُ رِيحٍ أَلْفُ مَنْحَدِرِ
وَأَنْتِ يَا غَيْمَةً حُبْلَى بِعَاصِفَةٍ
كَأَنَّ عَابِسَهَا أَتِ مِنَ الْقَدْرِ
تَمَخَّضِي عَنِ سَمَاوَاتٍ مَلُونَةٍ
تَمَخَّضِي وَإِذَا مَا شَتَّتِ فَانْفَجِرِي

فما ارتقيتِ إلى أفقٍ لتتكئي
على النجوم وتستلقي على القمر
أكادُ أسمعُ صوتَ الأرضِ لاهثةً
والشمسُ تصنعُ أجراسًا من البشر
مَنْ أغلقَ الأفقَ مَنْ سوَّى سماوتنا
كهفًا لعنكبةٍ مشلوليةِ النَّظرِ
وحرفَ البحرَ عن مجراه فانقلبتُ
مَنابتُ الوردِ صحراءَ بلا مطر
من صيَّرَ المرشَفَ الهامي بزخرفه
نابًا وملمسَهُ وخزًا مِنَ الإبر
يا أيها الصمتُ. يا تابوتَ عاصفةٍ
يا حشرجاتِ حروفٍ يا هوى وترٍ
يا آخرَ الشُّوطِ للأضواءِ وأغلةً
في أعرقِ الليلِ والآلامِ والسَّهرِ
إنِّي لأسمعُ ريحًا خلفَ نافذةٍ
تَهزُّها أو ببابٍ شبيهِ مُنكسرِ



الديوان الرابع

بقايا الأرواح (*)

(*) نشر الديوان للمرة الأولى عام ١٩٨٠م، وأعيد نشره ضمن ديوان الشاعر محمد الفايز
١٩٨٦م: ص ٢٥٧ ص ٣٣٩.





الإهداء

إلى التي ألمحها في كل امرأة
ولكنني لم أرها بعد
والتي أراها تتدفق في كل لون
ولكنني لم أميزها بعد
والتي أحسسها في كل طراوة منعشة
ولكنني لم أمسكها بعد
والتي أتبعها في كل اتجاه
ولكنني لم أعتز عليها بعد
والتي أسمعها في كل الأصوات الرائعة
ولكنني لم استوعبها بعد
إلى الإشعاعات المخفية
التي تسبب الضياع المنطلق
والوضوح المخفي في أن واحد
أرفع هذه الألواح الملتهبة

وتمزق الإكليل يا لبنان

ألا لهفي على حقلٍ لسلمى
يفاجئُهُ حريقٌ في المساءِ
كأن طيورَهُ والسنارُ تسري
بها شُعلٌ تطايرُ في الفضاءِ
ألا لهفي على تلك الدوالي
كأن جذوعها أيدي الإماءِ
ألا لهفي على حاراتٍ وردٍ
وزيتونٍ وأعنابٍ وماءِ
تقوَّستِ السطوحُ بها فأمسَتْ
ظهورًا مثقلاتٍ من عياءِ
على الألوان يحجبها دخانُ
كما أصفرت وجوه من حياءِ
كأن عواري الشجر المدمى
نساءً عارياتٍ في كساءِ
تعطَّلتِ السواقي عن خريزٍ
وأحجمت الطيورُ عن الغناءِ
وأفرغت الجداولُ من مياهِ
كأعراقٍ تلوح بلا دماءِ
لقد سقطت بوديانٍ جبالُ
كما ذابت شموعٌ في إناءِ

ألا لهفي على الجبل المعنى
فقد أمسى حزينَ الكبرياء
يهيم به المقيمُ على هشيمٍ
ويُقعدُه العناءُ على العناء
كأن مخابئَ العشاقِ فيهِ
محاريبُ حزيناتِ الدعاء
ألا لهفي على نقشِ قديمٍ
بجدرانِ شهياتِ البناء
على (عاليه) والليلُ المغنى
على (بيروت) والليلُ المضاء
كأن ضحى الضفافِ سماءِ شعرٍ
فأولُهفي على تلك السماء
تهيجُ بها الأغاني عن طيورٍ
على شجرِ كأعضاءِ النساءِ
كأن غصونَها أيدٍ أطلتُ
من الأفقِ زاخرةً العطاء
ألا لهفي على الشرفاتِ لما
يدور بها الحديثُ عن الشتاء
على همسِ النوافذِ والسواقي
وهففةِ الستائرِ والملاء
على غسلِ الجبالِ ولونِ وردٍ
يغطيها كمنسرحِ الغطاء
على الواحاتِ تزخرُ بالعذارى
كما احتشدَ البهاءُ على البهاء



على إبر تُزخرفُ في ثيابِ
على الحبِّ المطرِّزِ في رداءِ
على تلك النواحي زاخراتِ
بأسباب الصبابةِ والأقاءِ
على الحبِّ الذي ينمو سريعاً
بأجسام من التَّعمى بطاءِ
إذا علقت عيون في عيونِ
فقد علق اشتهاً باشتهاً
كأن كوامنَ الانسان تطفو
على تلك الوجوه من الصفاءِ
أهاجرة الروابي والدوالي
خذي كأساً ودعك من البكاءِ
خُذي كأساً فإن الأرض ضُمَّتْ
جوانبُها على حدِّ سواءِ
تعالى جرّبي عطشي وبئري
عسى تجدين بي بعض العزاءِ
فأخوة يوسفٍ جاؤوا أباهمُ
وهم يبكون يوسفَ في العشاءِ
وما زال القميصُ به دماءِ
وأخر مرقّوه من السوراءِ



الآخرون

دعني من الآخريين يا قمري
وهاتِها واسقني بلا حذر
يا عاقداً الحاجبين ما برحت
ألوانكم في تعاقبِ الصور
كأنها والقميمِص لاصقها
مشتقة من تطاير الشرر

☆☆☆☆

تؤلف من إيمائها لغة الهوى
وترسم في أعضائها عندما تبدو
ولم أرَ جسمًا غيره صار زخرفاً
ولا مثلَ ذاك الثغرِ ريحته الوردُ
تمشّت وفي أعطافها وقفَ الهوى
ورنّحها حتى يكاد بها يشدو
تمخّض عنه وجهها وحرأكها
وفاضت به أردافها. ولنا وعد

قَدْر

لا تُكثِرِ الهَمَّ إِنَّهُ قَدْر
يَأْتِي بِمَا لَا يَحِبُّهُ الْبَشَرُ
لا تَكثِرِ الهَمَّ رُبَّمَا اتَّضَحَتْ
عَوَاقِبُ الْأُمْرِ حِينَ يَنْفَجِرُ
وَقَدْ يَكُونُ السَّكُوتُ مَهْلِكَةً
وَصَاحِبُ الشَّأْنِ مَنْ لَهُ أَثَرُ
لا تَكثِرِ الهَمَّ إِنَّهَا فِئَةٌ
مَسْعُورَةٌ. شَرُّ دَائِنَا السُّعْرُ

شَمُوس

مَنْ رَأَاهُنَّ فِي الثِّيَابِ الرَّقَاقِ
وَاهِيَاتِ الْخُصُورِ وَالْأَعْنَاقِ
لَوَّخْتَهُنَّ فِي النَّهَارِ شَمُوسُ
وَتَرَقَّرَقْنَ فِي اللَّيَالِي الرَّقَاقِ

جروح في فم القمر

نهرٌ يضيئُ جروح في فم القمرِ
دمُ العصافير مرسومٌ على الشجرِ
ماذا تقولين؟ قولي أنتِ واهمةٌ
وأنتِ أضيئُ من ماءٍ على حجر
لئن نهبتِ كرومي وانزويت فني
قاعاتٍ ليلى من لوني ومن أثري
لقد اضاء حريقُ الورد ناحيةً
قد أبدعتُ سنن النيرانِ والشُّرر
لطختُ دربك بالضوء الذي قدحتُ
به الحروفُ التي ترميكِ بالصُّور

القنديل القديم

قالت له ما الشُّعرُ؟ قال زهولُ
يأتي فيأتي فيضهُ المجهولُ
تكتظُّ أعماقُ به فيشبُّها
شَبًّا ويُلهبُّها السننا فتقول

وهو انهيارُ الثلجِ في القممِ التي
تعلو فهُنَّ وقد عُرينَ تُلُوقُ
تتكشَّفُ الأعماقُ تحت لهيبه
فكانه من فوقها قنديل
وهو الرسومُ وهمسُها المنقولُ
والساكناتُ وما بهنَّ يجول

عن بغداد

أبغدادُ إنني قادمٌ منكمُ لكمُ
كأنني شوقٌ راحلٍ وهوَ واصلُ
إذا اختلفتُ افكارُنَا أو تخالفتُ
فإن الدمَ الفؤادَ لاشكَّ عاقلُ
قَبيلتُنَا الأولى التي في جِسمِنَا
تسيرُ بنا. إن الدماءَ قبائلُ
وما هذه الأشياءُ إلا عناصرُ
يخالف بعضُ بعضَها ويشاكل

قلبان

قالوا له هل سيصحو قلبك التَّمْلُ
أما كفاك الهوى والعشق والغزلُ
في كلِّ يومٍ دروبٌ أنت قاطعها
لمن تحبُّ وفيك الشوقُ متَّصِلُ
فقال والأعينُ السوداءً تقدحُ في
أضلاعه فَبِه من قدحها شعل
قلبانٍ في أضلعي قلبٌ يجيش هوى
تُذكي حرارته الأردافَ والمقل
وأخزرُ غيِّرته الريحُ من زمنٍ
ونقلته الليالي حيث تنتقل
يا ساقِييَ أعيناني على عطشٍ
لا الصِّبرُ عالجهُ فينا ولا الحيل
يا ساقِييَ أحتمُّ أن نضيقَ بما
ندري وتتسعُ الدنيا لمن جهلوا
معاصرونَ ولكنْ في عروقهمُ
يسري «أبو لهبٍ» والأعصرُ الأول
لابدَّ من فكرةٍ أخرى فقد هرمتُ
أفكارُ من نهبت دولاتها الدول



تسلّقوا سورَ «يافا» قبل زحفهمُ
وقبل أن يدخلوا الأبوابا قد دخلوا
كأنهم بالدمِ الموروث قد سكنوا
وقبل أن ينزلوا في الأرضِ قد نزلوا



النفق المختفي

قد كان أدنى عطاءٍ منك يُرضيه
كذا. وغرفة كَفَّ منك تكفيه
وكان ليُلك يغيريه بأنجمه
ولم تكن قَطُّ لولا أنت تُغيريه
وكان بابك موصولاً سوى نفق
تَنسلُّ منه على رغم أفاعيه
وكان يأتيك لا شوقاً ولا شغفاً
لكنه ضاق أو ضاقت نواحيه
بلى لقد كان ذا قلبٍ فغيره
كما يغيّر نهرٌ من مجاريه
أتشربين هواه وهو في عطشٍ
وتسكنين ذراه وهو في التيه
معلقاً فوق أشداقٍ وأوننةً
على الأظافر يُدميها وتدميه
كأنما كأسه والملحُ يغمرها
مما تذرّ به ريحٌ وتلقيه
رأس على الرملِ مغروسٌ وهيكله
عروقٌ داليةٌ مدفونةٌ فيه

الجدران المنتفخة

تَمَخَّضُ أَيُّهَا الْحَرْفُ
فَقَدْ طَالَ بِكَ النَّزْفُ
وَأَنْتَ حُشْوُدُ أَقْمَارِ
فَكَيْفَ يَحْوِزُهَا سَقْفُ
وَأَنْتَ تَدْفُقُ الرُّوْيَا
فَكَيْفَ يَعْوُقُهَا سَجْفُ
وَجَدْرَانُ بَهَا نَفْحُ
بِمَنْتَفِخِ لَهَا خَسْفُ
وَأَنْتَ حُشْوُدُ هَالَاتِ
لَهَا مِنْ كَوَكِبِ كَفُّ
تَمَخَّضُ إِنَّ أَيَّامَهَا
تَعَانِيهَا هِيَ الْحَتْفُ
تَمَخَّضُ رَيْمًا أَتَّخِذُ
بِكَ الرُّوْيَا الَّتِي تَقْفُو
يُجَسِّدُ عَمَقَهَا وَجَهُ
لَهَا بِخَطْوَتِهِ زَحْفُ
وَصَدْرُ فَيْكَ يَحْبِسُهَا
كَأَنَّ صَمِيمَهُ كَهْفُ



إذا ارتجبت به أنهارت
أضالعُهُ كما الجرف
بما تكتظُّ من صورٍ
لها في أحرفِ رَعْفِ
وساح الرملِّ والصخرِ
بنعماءٍ وهم جفُّوا
تمخض أيها الحرفُ
فقد طال بك النَّزْفُ



المروج العائمة في الدم

«ماري» سألتك كيف النار والحطبُ
وكيف أجسامهم يمشي بها اللهبُ
وكيف لونُ مروجٍ؟ كيف زخرفها
وكيف كرمَتْنَا والظلُّ والعنب
قالت وفي كأسها خمراً مهريّةً
وفي شعاعاتِ عينيها بدّاً غضب
تقلّصت من هنا أرض إذا انكشفت
كما تكشف عن أشجاره الخشب
ينسلُّ في وجهها جليدٌ ويقعدها
ضعفٌ فتصبح لا لونٌ ولا عصب
وجدت أجملَ سيفٍ في متاحفهم
والوجهُ أجملُ من أغصانه الشنب
وهاجرَ الطيرُ إلا ريشه بقيت
ألوانه كدموعٍ حين تنسكب
منشّراً فوق أغصانه مكسرةً
كأنه فوقها ما ينفث القصب
كأنما هو أفكارٌ منشّرةً
فوق البيوت كما قد نُشرتُ كتب
«بيروت» إمراً شقراء نائمةً
على الدماء وفي «حمانه» العجب

أبواب السرايب

ألاهِتُ أَنْتَ مثلي حين تمنعني
عن الوقوفِ على أمالِ عرقوبِ؟
وهل توغلتَ مثلي في مجاهلهم
وفي صحاراهمُ ذاتِ الانابيبِ؟
تفجَّرَ الصخرُ عن ماءٍ كما زخرت
مرمولةٌ بسخِّيِّ الدفقِ مسكوبِ
ولا تزالُ أياديهمُ مُقلَّصةً
مقفولةً مثلَ أبوابِ السرايبِ
لا يفهمونَ كلامًا في مخاطبةٍ
ولا يعنونَ استغاثاتٍ لمنهوبِ
تكتظُّ أعراقهمُ من حشدِ سائبةٍ
وسائبٍ من حواشي الناسِ منسوبِ
بيضُ الوجوهِ ولكن في عروقهم
دمُ الوحوشِ وأخلاقُ اليعاسيبِ
يُحرِّضونَ علينا كلَّ ساقطةٍ
وساقطٍ قلقِ الانحاءِ منخوبِ
عجبتُ من حالةٍ في حالتين له
يبكي من الشاةِ أو يسطو مع الذئبِ

شعر

يَظَلُّ يَكْتُبُ شَعْرًا مِثْلَمَا عَبَّرْتُ
مَخَاضَةَ الرِّيحِ فَوْقَ الرَّمْلِ وَالْمَاءِ
يَظَلُّ يَكْتُبُ شَعْرًا مِثْلَمَا خَرَجْتُ
قَوَافِلُ مِنْ مَتَاهَاتٍ وَأَجْوَاءِ
تَكْتَضُ فِيهِ السَّنِينُ الثَّقَلَاتُ بِمَا
يُحْيِيهِ غَابَةٌ مِنْ مَلْحِ صَحْرَاءِ

مغامرة

وَكَانَ طِفْلُكَ فَوْقَ الْجُرْفِ مَنْطَرِحًا
يَخْوُضُ فِي مَنْخَرِيهِ الرَّمْلُ وَالْمَاءُ
وَكَانَتْ الْأَرْضُ فَوْقَ الرَّمْلِ مَشْرِقَةً
يَدْرُهَا كَنَهْوِدِ الْبَكْرِ دِرَاءُ

الأنهارُ والطين

يَظَلُّ يَكْتُبُ شَعْرًا مِثْلَمَا شَهَقْتُ
بِرَاعِمٍ لَمْ تَجِدْ نَهْرًا وَلَا دِيمًا
كَأَنَّمَا الْأَفْقُ مَاوَى رَاهِبٍ قَنَطْتُ
بِهِ تَرَاتِيْلُهُ أَوْ هَيْكَلُ هُدَمَا

كأن أنهارهم والطين يملأها
بلا مياهٍ جُسومٌ أنْهَكَتِ الماءَ
سوى سقيطِ الندى يا شوقِ برعمةٍ
يرشُ غصنك رَشًّا لا يبُلُّ ظمًا

المزامير

شطوطُ الهوى هل من مقامٍ لعابرٍ
وهل في السفوحِ الخضرِ مأوى لطارٍ
يُغني الهوى المبتوثُ في كل هاجسٍ
ويُعرب عن نجواه في كل خاطرٍ
كأن ميزاميرًا دحنتُهُ ولاءمتهُ
أضالعهُ أناتُ لوح القيثارةِ
لوى شوقه شوقٌ وشدت ضلوعهُ
إليكم كأنني غائبٌ شبه حاضرٍ
وما زال هذا الليلُ يرخي سدولهُ
علينا وأنتم فوقه كالمنائرِ
تشعُّونَ حتى خلتكم من مقابسٍ
وتسمونَ حتى لا تراكم نواظري
تلينونَ حتى خلتكم من أناملٍ
وحاشى لكم أن تصبحوا كالأظافرِ

النواحي الأخرى

سَلامٌ على أمطاركم حين تُمطرُ
وللشَّيمِ الأولى التي تتكرَّرُ
تجاوزتمُ الإشراقَ حتى كأنكم
جوانبُ هذي الأرضِ من حيثُ تزهر
مواسمُكمُ كلُّ الفصولِ كأنكم
ربيعٌ تمطَّى عامَةً فهو أخضر
عجبتُ لهذا الشُّعرِ كيفِ وقوفُهُ
عليكمُ فيسمو في ذرامٍ ويكبر
كأن نواحي الأرضِ ضُمَّتْ جميعُها
إليكمُ فأنتم شوقها حين تنظر
وفاضتْ صخورُ الرملِ لما تلقَّحتْ
بأيديكمُ النشوى التي تتقطَّرُ

عندما تتغير الثياب

وَأَرْقَاهُ قَوْلُ لَهَا عِنْدَمَا التَّقَى
بِهَا عِنْدَ مَاءِ النَّبْعِ فِي زَمَنِ السَّلَامِ
تَقُولُ لَهُ إِنَّا سَنَرْحَلُ مِنْ هُنَا
وَنَهْجُرُ أَرْضَ الْوَرْدِ وَالْعَنْبِ وَالكَرْمِ
أَلَمْ تَرْنِي بَدَّلْتُ ثَوْبِي بِآخِرِ
وغيَّرتُ من جِلْدِي وَحَرَّفْتُ مِنْ اسْمِي
وَشَاعَتْ بِنَا الْأَشْيَاءُ حَتَّى تَرَكَمْتُ
عَلَيْنَا كَأَنَّا ضَائِعُونَ عَلَى عِلْمِ

الخشب الوردي

سَمِعْتُ صَوْتَكَ مَشْحُونًا وَمُحْتَدِمًا
يَا مَنْ رَأَى الصَّوْتَ مَرْسُومًا إِذَا ارْتَطَمَا
عَبَرَ الْحُدُودَ وَمَا زَالَتْ مَلَامِحُهَا
تَجِيءُ أَوْجَاهَهَا شَوْقًا وَمَا عَلِمَا
كَأَنَّمَا الْخَشْبُ الْوَرْدِيُّ مَا بَرَحَتْ
نَقُوشُهُ وَالزَّجَاجُ الْبِضُّ مَا عَتَمَا
كَأَنَّ مَحَارَةً فِي الْجُرْفِ قَدْ فُتِحَتْ
أَوْ أَنَّ ذَا النُّونِ جَاءَ السَّاحِلَ الْعَتَمَا
تَكْتَنُظُ فِي بَعْضِهَا الْأَشْيَاءَ خَارِجَةً
مِنْ عَمِيقِهَا تَقْتَفِي الْإِشْرَاقَ وَالْهَرَمَا

المتنرد

تكادُ بها الالوانُ أن تتوقُّدا
وتخرجُ منها مثلما يخرجُ الصدى
إذا نظرتُ صارت عيوننا مشعَّةً
وساعاً أضواءً عمقها المتلبِّدا
وأخرجها منها احتدامٌ قنوطها
وخبَّطَ فيها الوجودُ حتى تمرِّدا
تحياتها إشراقها في سكونها
يُزخرفُ فيها وجهها الممتوردا
إذا ما اطمأنتُ خفّضتُ من سمائها
دنوا فما أدنى هواها وأبعدا

الاهتداء باللمس

من أمسِ أمسٍ وحلمُ الارضِ يخنقُهُ
قاعٌ ويحجبُهُ ليلٌ وجدرانُ
كأنما شجرُ الصِّفصافِ ما وعلتُ
عروقُهُ واستطالتُ فيه أغصانُ
إلا ليُصنِّعَ منه لوحٌ مشنقةٌ
وأن يقومَ لسفاحٍ به حانُ
يضيغُ في دربه الأعمى فيألفُهُ
وفي أصابعه عينٌ وإنسانُ

عندما يتهيا الصمت

ليس بنا العجزُ كما تَزْعُمُ
ولا بنا الجهلُ كما تفهمُ
لكننا نمارسُ الصّمتَ كي
ينطقَ فينا في السكوتِ الدّمُ
نسكتُ للوقتِ الذي ينتهي
سكوؤنا فيه بما نَكْتُمُ
الأرضُ نعم الأرضُ لكنها
أكثرُ من نصفِها مُظلمُ
والشمسُ نعم الشمسُ لكنها
تحرّقنا حرّقًا ولا ترحمُ
لويعلمُ اللائمُ ما لا منا
ياليتَهُ يعلمُ ما نعلمُ

الرغو والوقود

يبقى ويذهبُ هذا الرّغو والرّبْدُ
حرفٌ له حركاتٌ حين يتّقدُ
تناول الأمدَ الأقصى توغلُهُ
وليس يُوقفُ من جولاته أمدُ
لأنّ ما برحتُ أحلامُ عائشةٍ
مكبوتةٌ خلف جدرانِ لها عمَدُ

عندما يكتب النهر

ولم أرَ قبْلَهُ نَهْرًا كَثِيبًا
كَأَنَّ ضِفَافَهُ قَلِقُ الضُّلُوعِ
فَهَلِ لِلنَّهْرِ كَالِانْسَانِ شَوْقٌ
فَإِنَّ الْمَاءَ مِنْ بَعْضِ الدُّمُوعِ

الحنانة القديمة

وتطأيرت أضواء نافذة
مسحت كآبة ذلك الليل
من حانئة النهر التي بقيت
عند الضفاف قديمة الشكل
أخشابها رسمت ملامحها
أشجارها وكثافة الظل
كانت محط مواسم سلفت
لمعاقرين أتوا هنا قبلي

الشجر الحزين

ولم أرَ قبْلَهُ شَجْرًا حَزِينًا
وَأوراقًا كَمَا انْكَمَشَ السُّمَيْضُ

كَأَنَّ الظِّلَّ قَلَّصَهُ شُحُوبٌ

هناك وأعجزَ الشجرَ النهوضُ

الدوافع

وَقَلَّصْنَا عَنْهُمْ دِمَاءَ أَبِيئَةٍ

لها رَفْرَفَاتٌ نحوكم ودوافعُ

كَأَنَّ هَوَى الْأَيَّامِ مَالَ إِلَيْكُمْ

فأنتم لها أحشاؤها والأضالعُ

التوهج

تَأْتِقُ وَاضِحُ الثَّغْرِ النَّدِيِّ

وأعربَ عن توقُّدها البهيِّ

كَأَنَّ شَفَاهَهَا حَمَلَتْ هَوَاهَا

ففيها من توهُّجِها الخفيِّ

تحرَّكها على بعدِ فُتُيْدِي

مسافةً شوقها النَّائِي القصِيِّ

إذا ابتسمتْ تَكشَّفَ عن شَفَاهِ

هوى يدني الشجِيِّ من الشجِيِّ

تُلْمِمْ ثَغْرَهَا طَوْرًا وَطَوْرًا

تمدِّدْ بِهِ بِمِبتسمِ سَخِيِّ

كأن سكوتَهُ أحلى إذا ما
تناول صامتَ القاعِ الدَّجِيَّ
تشير به إذا شاءت كلامًا
خفيًا تحت إشراقِ جَلِيَّ
له حركاتُ زنبقةٍ تمشَّى
بها كسلُ الندى الهامي النقيَّ
تفوحُ رواحِ المسكِ الشَّذِيَّ
على سرحاتٍ سارحةِ الشَّهِيَّ
كأن زخارفًا تنمو عليه
بمحتشدٍ من اللونِ السُّنِّيَّ
ولم أرَ قبْلَهُ ثغراً صغيراً
له زخمُ الهوى العرمِ العتيَّ

الليل والفتق

تجلى الهوى في ثغرها وتأنقا
بأحداقها الوسنى وغنى وصفقا
لقد أشرقت فيها الملامح واكتست
بما فاض من أعماقها وتدققا
وكانت قبيل الوصل ايماء حرقه
تلوح بعينيها حريقا محققا
وبعض احمرار في خدود كأنها
صحون دماها العشق لونا ورونقا
وطوقها حتى استحالت من الهوى
غداة التقى الثغران غصنا مطوقا
إذا ما انثنت فاضت صفائر سندس
عليها وغطت وجهها المتألقا
وغننت عصافير الحلى بصدورها
ففككت بها صدرا على الغش أطبقا
إذا ما انتشت من قبلة مهّدت له
بأخرى وفككت وجدها فتطلقا
بها فزغ العصفور حين يرشهُ
سقيط الندى في الفجر لما ترقرقا

وَمَرَّتْ سَنِينٌ وَالْهَوَى يِقْرَعُ الْهَوَى

وَمَارِسَ مِنْ أَشْكَالِهِ وَتَعَمَّقَا

يَلُوذُ بِهَا وَاللَّيْلُ دَاجٍ كَأَنَّهُ

غَشَاوَاتٌ نَسِجٍ كَادَ أَنْ يَتَشَقَّقَا

بِهَا مَسْحَةٌ مِنْ رُوحِهِ فَكَأَنَّهَا

تَلَاصِقُهُ رُوحًا وَجَسْمًا وَمَنْطِقًا

تُمْهِّدُ مِنْ رَاحَاتِهِ وَهُوَ مَتَعِبٌ

فَتَفْرَشُ حُضْنًا أَوْ مَكَانًا لِلتَّلْقَى

بِهَا وَلَعٌ بِالْحُلِيِّ وَالْعَطْرِ وَالضُّحَى

وَبِاللَّيْلِ تَدْحُوهُ شَرَابًا وَقُسْتَقَا

آه عليك يا لبنان

كأَنَّكَ تَذَكَّرُ الزَّمَانَ الْقَدِيمَا
و«سَلْمَى» وَالشَّوْاطِيَّ وَالْكُرُومَا
وَمَجْلِسَهَا إِذَا شَاءَتْ خُرُوجًا
فَتُخْرِجُ مِنْ رَوَائِعِهَا رَسْمَا
بِجَسْمِ تُوْمَى الْحَرَكَاتِ فِيهِ
وَيُلْهَبُ فِي تَلْهَبِ الْجِسْمَا
لَهَا فِي سِرْحَةِ الشَّاطِي مَكَانٌ
تَعْدُ بِصَدْرِهَا فِيهِ النُّجُومَا
وَتَنْشَقُّ مِنْ رَوَائِحِهَا عَبِيرَا
كَأَنَّ حَرَكَاتَهَا يَنْزَوْنَ سِيمَا
لِعَمْرُكَ إِنَّهُ زَمَانٌ تَوْلَى
حَمِيدًا تَارِكًا فِيكَ الْهَمُومَا
لِدَهْرِيَّتِ عَصَافِيْرُ الدَّوَالِي
مَخْلُفَةٌ عَلَى الشَّاطِي الْهَشِيمَا
فَلَا شَجَرَ الْكُرُومِ وَلَا «سَلِيمَى»
هَنَّاكَ وَلَنْ تَرَى ذَاكَ النِّعِيمَا
فِيَا لِبْنَانَ يَا شَوْقًا حَزِينًا
نَمَارِسُهُ وَيَا حَبًّا عَظِيمَا
هِيَ الْأَرْضُ الْقَدِيمَةُ قَدْ تَنَاهَتْ
بِهَا الْأَشْوَاطُ فَانْقَلَبَتْ جَحِيمَا

الحارة القديمة

خَلِيَايَ مُرَّا لِي بِهَا ثُمَّ سَلِّمَا
وَقُولَا لَهَا عَنِّي الَّذِي قَدْ عَلِمْتُمَا
وَقُولَا لَهَا مَا زَالَ يَعشُقُ حَارَةً
وَبَيْتًا لَهَا يَهْفُو لَهُ حَيْثُ يَمُّمَا
وَقُولَا لَهَا مَا زَالَ يَسْلُكُ دَرَبَهَا
لَعَلَّ يَرَاهَا أَوْ تَرَاهُ فَرِيْمَا
وَقُولَا لَهَا لَوْلَا الْهُوَى مَا تَرْنَمْت
قَصَائِدُهُ النَّشْوَى بِهَا أَوْ تَرْنَمَا
وَقُولَا لَهَا أَنْتِ الْهُوَى وَقَصِيدُهُ
وَأَنْتِ كِتَابُ الْحَبِّ جَاءَ مِنَ السَّمَاءِ
أَزَاحَمْتِ شَفِيْقًا مِنْ نِقَابِ كَأَنَّهُ
عَلَى وَجْهِهَا لَوْنٌ مِنَ الْحَبِّ هَوْمَا
وَحَفْظُهَا ثَقُلُ الْهُوَى فَتَزْخَرُحَتْ
عِبَاءُهَا عَنْ صَدْرِهَا فَتَجَسُّمَمَا
وَمَا زَالَ الثُّوبُ يَوْمِضُ مِثْلَمَا
تَبْقَى وَمِيضٌ مِنْ هَشِيمِ تَضْرَمَمَا

الحديث بالأصابع

يظلُّ عبيراً الوردِ ما بقي الوردُ
بأغصانهِ أو نشَّرتْ شعرها هندُ
بلى إنها «هندٌ» بألوانِها التي
يطلُّ بها ثغرٌ ويفضي بها خدُ
لقد أومأت عند الرواقِ وأشرقتْ
ملامحُها واهتزَّ في صدرها عِقدُ
تُعابِثُهُ قصداً ويحسبُها الذي
به غفلةٌ أن ليس في عبثها قصدُ
حديثٌ لها فيه إذا انسجمتُ به
أصابعها أو أنه لؤلؤٌ يشدو
ولم أرَ عِقدًا قبله في حراكه
حراك هوى لم يكتملُ شوطه بعدُ
ومرَّتْ شهورٌ صامتاتٌ خلالها
يراهها ولكن لا سلامٌ ولا ردُّ
تظلُّ جمالاً ساكنًا ومَلامِحًا
يجول بها من حيث جالَ بها الوجدُ

لقاء في خيمة

أطلّ علينا كوكبٌ بعدَ كوكبٍ
تلهَّبَ في أضواءِ عقدٍ مُذهَّبِ
فمن ها هنا «سلمى» ومن ها هنا «منى»
ومن ها هنا أحداق «ليلى» و«زينب»
تصبُّ لنا هذي كؤوسَ مُداميةٍ
وترقصُ هذي في الرِّداءِ المقصَّبِ
إذا احتركت أكتافها احترك الشِّدا
وهزّت ضلوعَ الهائمِ المتصبَّبِ
لعمرك ما زال الهوى في خيامه
وصحرائه ذاتِ الفضاءِ المحبَّبِ
بما عبقت واحاتُها وتناقلت
نسائُها من نفعِ شرقٍ ومغرب
ولم أرَ عقدًا فوق صدرٍ كعقدِها
ولا مثلَ ذاكِ الصدرِ عندَ التوتُّبِ
إذا ما نضتُ عنها القناعُ تلهَّبتُ
وفاضتُ كنهري في قميصٍ مُحجَّبِ
كأن سلالاتِ الهوى قد تجمَّعتُ
بأعراقِها ذاتِ الدِّمِ المتلهَّبِ
إذا جلستُ صارت زخارفُ كرمتهِ
وفيها إذا سارت مهابةٌ موكبِ

غزل

كأن سكونها غزلٌ
ودفق حراكها شعلٌ
تطائر عن جوانبها
كمات تنفس القبل
كأن خدودها صحفٌ
مُنشّرة أو الرُّسل
إذا هددت يضح بها
هوى في وجهها نمل
تحاول أن تثبّطه
فيغالبها فتُمثّل
تلفت في تلقّيها
لكل تلقّي عليل
يخرّج وجهها خجلاً
ألا يا حبّذا الخجل
وفكّنت من ضفائرها
كما يترنح العسل
وشعت بعدما اتضحت
وجوهه وانتشنت مُثّل

المفارش الملونة

سلامٌ للمستائرِ والمرايا
وللبوردِ المصقَّفِ في الزوايا
سلامٌ للمفارشِ ناعماتُ
جوانبُها رقيقاتُ التُّكايَا
على العطرِ المثرثرِ في مرشِ
كأن ثقبوبَهُ تروي حكايا
على ألوانِ مبخرةٍ إذا ما
أديرتُ خلتها حملتُ حنايا
حنايا أضلعٍ تنزوعبيرا
علينا من روائحها بقايا
إذا شئتُ كلامًا أوقدتها
فأوقدَ وقدها فينا الخفايا
كأن ضفائرَ المرجانِ لما
ترأى بعضُها بعضُ الهدايا
تُعابثُها لتُخرجَها فكانت
نوايا خاطبت فينا النوايا
كأن قناعاتها لما استطارتُ
غواشيه تساقط كالشظايا

لبنان والأشباح

لبنانُ هل هربتُ عَصافيرُ الضحى
والليلُ هل خفتت به الاضواءُ
يا حانَةَ النهرِ الصغيرِ ويا زُيى
تبدو كما تتجسَّمُ الاعضاءُ
هل رُضُّ نهدُ تحت صخرةٍ حائِطٍ
قد هَدَمْتُهُ غارةُ شعواءِ
قد صادفوه أعزلاً وتجمَّعوا
من كل ناحيةٍ وهم أعداءِ
من كل أنحاء الذين تألبوا
زمنًا تزجُّ شخوصهم أنحاء

الأرض والشذى

سرى شرأع الهوى وهنأ بشاطيها
وعاد سامرُها يُحيي ليايها
يا أيها الساحلُ النشوانُ ها هو ذا
على ضفافِك نشوانُنا يُناجِيها
كأنه والنُدِيمُ السَّمْحُ يُعْجِلُهُ
لا يستطيعُ انصرافًا عن دواليها
يقول ليلتُننا في الجُرفِ واحدةً
والقلبُ ذو حاجةٍ شتى نواحيها
تميل في كَفَّةِ كَأْسٍ إذا انحرفتُ
سهواً فُتْسَقَى ثرى قد كان يسقيها
لو ينشفُ النهرُ حتى لا صبيبَ له
وأقلعتُ سحبُ امواهٍ فيها
لمَّا شكا الوردُ والتفاح من عطشٍ
كأنما أرضُه ثديُّ يُغذِّيها
بما تغلغلَ من ماءٍ بها وشذاً
مميّزٌ عن سواه في مغانيها
والأرضُ كالنَّاسِ بعضُ حشوه زيفُ
صفرٌ وبعضُ جنانٍ في تسامِيها

الملح والجمر

لقد تسبّب لکن لم یجد سبباً
ولابقاءً علی حالٍ ولا هرباً
تناول العطشُ الأقصى مواسمَهُ
وقد أتیح له نهرٌ فما شرباً
لذاک ما عاد یخشی أن ساقیةً
جفتُ وأن سماءً أمسکتُ سُحباً
بکی الثلاثین والعشرین فی زمنٍ
کان الشبابُ جمیلاً والهوی عذباً
واسترجع الزمن الماضي فأفرحَهُ
بأنه قد تخطأه وقد ذهباً
هل تُرجع الأربعونَ الحبُّ مُذُ خسرتُ
به الصباباتِ والوجدِ الذي رسباً
بلی فقد تُرجع السبعونَ جُذوتَها
فی حین نهارُ ذو العشرینَ مُنقلباً
أما ترى النهرَ أقوى من جداوله
ولا یُنشفه سكبٌ إذا انسكباً
یا رملةُ الساحل المحضور مشربها
لکنها تنبت المرجانَ والذهباً



ما همُّهُ أَنْكَ المَلْحُ الَّذِي اأختَلَطْتُ
به المِياهُ وَكُنْتَ الجَمْرَ مُلْتَهَبَا
ما همُّهُ أَنَّهُ التَّائِثُ مَسالِكُهُ
فإنه ااعتادَ أَنْ يَرْتادَ ما صَعُبا
وأنه نامَ لا شَوْقًا بِذاكِرَةٍ
كما تَرينَ ولا كَأَسًّا ولا حَبِبا
كأنه انسخلت منه أضالِعُهُ
أو أَنَّ أعصابَهُ قد أَصَبَحَتْ حُشْبَا



أيها القمر

إِنْ كُنْتَ مِنْ حَجَرٍ فَالنَّاسُ مِنْ طِينٍ
يَا رَوْعَةَ الطِّينِ فِي سِرِّ وَتَكْوِينِ
إِنْ كُنْتَ مِنْ حَجَرٍ فَالنَّاسُ قَدْ جُيَلُوا
مِنْ التُّرَابِ وَلَكِنْ فِي مَوَازِينِ
فَبَعْضُهُمْ طِينَةٌ مَا جَفَّ لَيْئُهَا
وَبَعْضُهُمْ صَخْرَةٌ فِي نَارِ آتُونِ
وَبَعْضُهُمْ مِثْلُ مَصْنُوعٍ يُصَفِّفُهُ
إِزْمِيلُ ذِي خَبْرَةٍ بِالنَّاسِ مَلْعُونِ
فِي صُورَةِ الْبَشَرِ الْأَعْلَى كَمَا زَعَمُوا
وَمَنْ صَنَفَهُمْ صَنَفَ الشَّيَاطِينِ
وَالْأَرْضُ مَا بَرَحَتْ مَا بَيْنَ مَنْسَكِبِ
مِنَ السَّمَاءِ وَبَيْنَ الْأَسْفَلِ الدُّونِ
تَأْتِي مِنَ الْأَفْقِ كَالنَّشْوَانِ أَوْنَةً
وَتَارَةً مُثْقَلَةً فِي حَزَنِ مُحْزُونِ
كَأَنَّمَا أَنْتَ مِثْلُ النَّاسِ يَا قَمْرُ
بِكَ السُّرُورِ وَالْأَمِّ الْمَسَاكِينِ

العطش النشوان

أنا قَرِيْعُكَ في شتَّى الميادين
ترقى مع الطير أو تندسُ في الطين
عندي كريحك في عنفٍ وخضخضةٍ
كذاك أملكُ أنفاسَ الرِّياحين
كأنَّ ليالك مهْدومٌ كما هُدمتُ
(بيروتُ) و(القدسُ) في عصرِ الموازين
كأنما الأرضُ ما عادتُ لتقبلكُم
والأرضُ كالنَّاسِ في فحوى وتكوين
تَبَسَّطَتْ وهَيَّ من عرشٍ مكسرةً
ألواخهُ وجنازاتِ السُّلاطين
يا أيها الزمنُ الآتي لقد وضحتُ
خرائطُ منكَ في هذي الأحيين
يا أيها العطشُ النِّشوانُ معذرةً
إذا ارتميتُ على هذي البراكين
إذا قنعتُ بمن سوَّثَكَ ناحيةً
منهوبةً مثلَ سيقانِ المساكين

الدم القديم

أَحْقًا سَوْفَ نَدْخُلُهَا كَرَوْمًا
كَأَنَّ ظِلَالَهَا رُسِمَتْ رَسُومًا
أَحْقًا سَوْفَ نَشْرَبُ مِنْ فِرَاتٍ
وَنَنْشِقُ مِنْ جِوَانِبِهِ نَسِيمًا
نَجِيَّةً لَهُ كَمَا امْتَدَّتْ ضُلُوعُ
وَنَخْرُجُ مِنْهُ يَحْشُونَا كُلُّوَمَا
أَمَّا وَالِدَائِرَاتُ عَلَى الشَّوْاطِي
وَإِنْ لَمْ تَرَوْا مِنْ عَطَشٍ حَمِيمًا
نَكَادُ نَحْسُ أَنْ نَالِيَسَ مِنْكُمْ
وَإِنْ كُنْتُمْ بِنَا الْعَصَبِ الْقَدِيمَا

خطوات النهر

أَلَمْ تَتَسَمَّعِي لِفَتَا الْعَبِيرِ
وَمَا نَقَلْتُ زَهْوَرًا عَنْ زَهْوَرِ
أَلَمْ تَتَسَمَّعِي خَطَوَاتِ نَهْرٍ
بِأَشْجَارٍ كَمَنْسَرِحِ الْحَرِيرِ
وَسَاقِيَّةٍ يَغْتَنِي الْمَاءُ فِيهَا
كَمَنْ كُسَيْتَ ضُلُوعَهَا مِنْ طَيُورِ

المحار

لم يبقَ للنارِ إلا حَزَقُ مُضِرِّمِهَا
والنارُ تَأْكُلُ لا تُبْقِي ولا تَذُرُ
كأنكم من محارِ البحرِ أكثرُهُ
خاوٍ وقلُّ الذي تأتي به الدَّرر

النيل والصندوق

يا (نيل) عادتُ عَصافيري مُنْشِجَةً
أعصابُها وحزِيناتِ المناقيرِ
إنْ كانَ ماؤُكَ عَذْبًا فالهوى عَطَشٌ
والوَجْدُ هاجِرَةٌ في قلبِ عصفورِ
هبطتُ جرفَكَ حتى كادَ يرفعني
إلى أَعالي الهوى من جانبِ الطُّورِ
وكدتُ أسمعَ صوتَ الليلِ مرتطمًا
وكدتُ أسمعُ أصواتَ المزاميرِ
وكدتُ أَلْمَحُ صندوقًا يضيءُ به
طفلاً تهادى مع الأنسامِ والنُّورِ
تلكَ المقاصيرُ ما زالت وما برحتُ
مواسمَ العَشيقِ في تلكَ المقاصيرِ

المهابط الخضر

مَنْ مُعِيدِي إِلَى الضَّفَافِ بِمَصْرِ
عِنْدَ لَيْلٍ لَهُ غَلَائِلُ فَجْرِ
وَعَيُونٍ كَأَنَّهُنَّ شِعَاءً
تُ تَرَاءَتْ مَا بَيْنَ زَرْقٍ وَخَضِرِ
وَنَدِيمٍ لَهُ حِذَاقَةٌ عَصْفُو
رٍ وَكَأْسٍ لَهُ زَخَارِفُ ثَغْرِ
فِي ظِلَالٍ مِنَ الْكُرومِ عَلَيْهَا
عَشُّ طَيْرٍ وَتَحْتَهَا مَاءُ نَهْرٍ
يَجْتَمُ الْحَسُّ فِي مَهَابِطِهَا الْخَضِرِ
رَثَقِيلاً وَيُرْتَقِي كُلُّ فِكْرٍ
مِنْ قَدِيمٍ لَهُ مَلَامِحُ كَنْزٍ
فِي صَخُورٍ لَهَا نَفَاسَةٌ دُرٌّ
وَحَدِيثٌ كَأَنَّهُ يَتَمَطَّى
خَارِجًا مِنْ صَخُورِ كَهْفٍ وَقَبْرِ
يَرْفَسُ الْأَرْضَ مِنْ جَمِيعِ النُّوَاحِي
كَشَبَابٍ يَهْزُ أَعْطَافَ بَكْرِ

دعوة

أختاهُ قال سيأتي هل أقابلهُ
وهل أسايرهُ فيما يحاولهُ
أختاهُ إنَّ به سرًّا يُحَيِّزني
كأنه السُّحرُ أو شيءٌ يماثلهُ
لا أستطيعُ انحرافًا عن مسالكه
كأنما كلُّ حالاتي تقابلهُ
أختاهُ والسَّنَةُ العَشْرُونَ قد كملتُ
والنهرُ تنزفه حينًا جداوله
والأرضُ أن تُركت جفَّت طراوتُها
وقد تهاجرُ عن حقلٍ بلابله
ضجَّت خزائنُ قمصاني بما حملتُ
من الحرير رقيقاتٍ غلائله
ما قيمةُ العطرِ لم تُنشق روائحُه
والكحلُ ما مارست عشقًا مكاحله
أختاهُ ها هو ذا قد جاء معذرةً
إذا دعاني فإنني لا أماطلُهُ

زمن السقوط

أَلَمْ تَرَهُمْ كَمَا انْكَشَفَ الْغَطَاءُ
كَذَاكَ. وَمِثْلَهَا انْحَسَرَ الْغِشَاءُ
تَبَدَّلَ نَهْجُهُمْ فَهُمْ ضِيَاعٌ
وَحُورٌ فَكَرَهُمْ فَهُمْ انْتِمَاءُ
وَمَا سَلَبْتَ أَرْضِيهِمْ وَلَكِنْ
يُنَاقِضُ سَاكِنًا فِيهِ الْبِنَاءُ
وَمَا انْهَارَتْ جِسْمٌ مِنْ عِيَاءٍ
وَلَكِنْ بُدِّلَتْ فِيهَا الدَّمَاءُ
فَهُمْ شَجَرٌ يَهَاجِرُ عَنْ طَيُورٍ
وَهُمْ نَهْرٌ يَهَاجِرُ عَنْهُ مَاءُ
يُنَاقِضُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَهَاهُمْ
أَعَاصِيرٌ وَبَعْضُهُمْ هَبَاءُ
كَأَنَّ دَمَ الْحَسِينِ يَرِيدُ ثَأْرًا
وَتَخْرُجُ مِنْ جَدِيدِ كَرْبَلَاءِ
إِذَا نَشَفَتْ دِمَاءٌ فَوْقَ أَرْضٍ
فَسَوْفَ يَظَلُّ يَحْمَلُهَا الْهَوَاءُ
إِذَا مَا خَالَطَتْ حَجْرًا جَمَادًا
تَشَعُّ بِه كَمَا شَعَّ السَّنَاءُ
وَمَا زَالَ الْهَوَى فِي الشَّرْقِ يَسْمُو
وَمَا زَالَتْ تُبَارِكُهُ السَّمَاءُ



فَإِذَا زَمِنَ السَّقُوطِ لِأَنْتَ أَسْمَى
وَأَحْلَى أَنْكَ الزَّمَنُ الْمَضَى
وَيَا زَمِنَ السَّقُوطِ إِذَا تَدَاعَتْ
بِكَ الْأَشْيَاءُ أَوْ سَقَطَ الطَّلَاءُ
فَقَدْ صَادَفْتَهَا جَوْفَاءَ حَتَّى
تَكَادَ تَطِيحُ لَوْلَا الْكَبِيرَاءُ



عروق البر

تقولُ له وقد فرشتُ إليه
بساطًا خلف خيمتها قصيًا
إذا انحرفتُ به الأنسامُ حطتُ
عليه ساقها البضُّ الفتيا
وكفًا في أساورها بريقُ
وصوتُ يشبه الهمسَ الشجيا
إذا ما الصيفُ داهمنا خرجنَا
نؤمُّ سواحلًا ونرودُ فيا
فما زالتُ عروقُ البرِّ فينا
وما زال الهوى يطويه طيا
نحاولُ أن نردَّ هواك عنَّا
فلا نقوى ولا يرتدُّ شيا
فقال لها وقد ملأت هواءُ
بعينيها، وما كان الخليا
أيا وردَ البراري سوف نأتي
إليك لننشقَّ العطرَ الشذيا
ويا وردَ البراري قد عشقنا
براريك التي فاضتُ حليا
سنطلق من عنان الشوق حتى
نكاد نجسُّ عالمه الخفيا

الأشجار

بلا موعِدٍ قد جاعني منك هاتفُ
تضجُ به الأسلاكُ فهي رواجفُ
لقد جاعني والليل داجٍ كأنه
تلاشى وإلا فهو أسودٌ واقف
ولست كهذي الريحُ عندي زابعُ
ولست كهذا الطيرِ عندي مشارف
وما هي إلا أنعمُ منك لم تزلُ
لها أنهرُ في سبختي وروادف
تردُّ فمي عن بعض قولٍ يسوؤكمُ
فأنتم لنا بعضُ الهوى وهو ناشف
وما هي إلا أحرفٌ مثلما انجلتُ
رسومٌ إذا غطتُ هواها الزواحف
أعدتم لألواني بهاءً جمالها
ولولاكمُ ما الناسُ إلا زعانف
كأنهم الأشجارُ حيث توقفتُ
عن السيرِ إلا ما تهزُّ العواصف
عجبت لهذا الشوق كم يرتمي على
لظاهُ ويرتاح الهوى وهو لاهف

المسيية (١)

سأنسى صبوتي وأنام ليلي
ومن قد جاء من بعدي وقبلي
فلست حبيبتي إن رمت حباً
ولست رفيقتي في أي شكل
وجدتك تجهلين الحب حتى
كأنك لا ترين جحيم ويلي
ولا قلقي عليك وأنت نشوى
موزعة بأمسية وليل
لقد سرقوا عقودك وهي ملكي
وقد نهبوا ثيابك وهي عزلي
منشرة على عطش السكرى
كساقية تصب بجوف صل
أمانحة السكرى كل نهد
ومطلقة الخطى في كل سبل
سلوتك لا لأنك صرت نهباً
لغيري أو محرّضة لقتلي
وليس لأنني عانيت لكن
بلا جدوى ولا زحزحت حملي



ولكنني احترفتُ هوىً جديدًا
وشوقًا آخرًا وقطعتُ حبلي
خسئتِ فلسيتِ من قممي وقاعي
ولا جبلي ومنخفضي وسهلي



المسببة (٢)

تُحَرِّكُ ساكناتك ساكناتي
وتستلقي سِماتك في سِماتي
كلانا يشتكى عطشًا تمطى
لهاتك واستراح على لهاتي
وتنسكبين كالنهر المدمى
على عطشٍ يفجر لاهباتي
يُعَكِّرُ من مياهاك وهي صفو
ويخبطُ فيك من كل الجهات
لقد دخلوك من شتى النواحي
على رغمٍ وسدوا ناحياتي
لقد شاهدتُم في أم عيني
دمًا حيًّا بأجسام موات
وأعراقًا زكيئات المجاري
تمخض عن دماءٍ ساقطات
كنهرٍ لم يجد نهرًا فأمسى
مكأننا للوحوّل الرّاكدات

مناورات قبل اللقاء

يُباطئها عن موعدٍ أسرعَتْ لهُ
لِتَبْلُغَ أَقْصَى وَجْدِهَا وَيُدَاهِنُ
تكاد إذا استرختْ عيَاءٌ من الهوى
وفاضتْ عليها الغامضاتُ الكوامنُ
وَبُدِّلَ منها شكلُها فَتَغَيَّرَتْ
فلم يبقَ إلا ما تفيضُ المفاتنُ
تصيرُ هوى نهرٍ إذا هي لم تكنُ
مواسمَ نهرٍ خاضها وهو آمنُ
إذا اشتدَّ فيها الوجدُ رنَّتْ أساورُ
وشقَّتْ ثيابُ واستجاشت بواطنُ
وأطلق من طياته الأسودُ الذي
له فوقها نبعٌ من العطرِ ساخنُ
يفيضُ عليها مثلما امتد زخرفُ
ويَنزُرُ شعاعاً وهو أسودٌ داكنُ
وَحُفِّضَ فيها الوجدُ فَهِيَ حمامةٌ
لها رفرافاتٌ حوله وتطامنُ
صَمُوتٌ وفيها من غرامٍ ملاحنُ
ويبدي حراكاً شخصُها وهُوَ ساكنُ

لقاء في بيوت الشعر

خيامُهُمْ على بعدِ تلوحٍ
مُنشُورَةً كما ارتفعتْ سطوحُ
لهم في الليل أصواتٌ ونازٍ
كان دخانها مسكٌ يفوح
كان مفارش السُّمارِ أيكُ
على أطرافها طيرٌ ينوح
وغنّى «يا صبا نجدٍ» نديمٌ
ولم تُضغِ له إلا الجروح
وشوقٌ يرفص الأضلاعَ حتى
يكاد بها يطيحُ ولا يطيح
وقلنا أين خيمتُها فقالوا
هناك وبيتُها العالي الفصيح
تَجِفُّ به مصابيحُ وعشبُ
عليه يستريحُ فتستريح
ترأى أسودُ الأرجاءِ جهماً
جوانبُه كما انحدرتْ سفوح
وما زالت بيوتُ الشعرِ تزهو
بأهلها كما تزهو الصُّروح

النهر والقلعة

جنازة طير أم حطامُ سياجٍ
مَلامحُهم أم لافتاتُ زجاجِ
تَسَلَّقَتِ الأوحالُ هامةَ نجمةِ
وغصَّتْ لهأةً في دموعِ سراجِ
وما زال هذا النهرُ يرفسُ قلعةً
تَعوقُ هِوَاهُ مَوْغلاً بِفجاجِ

وقوف الاشجار

اثنانٍ ما تَعَبَا الأشجارُ والقمرُ
من الوقوفِ وما أضناهما السَّهْرُ
تُضفي الظلالَ على رملٍ يُحَرِّقُهَا
هذي وذاك مضيءٌ وهو مُنصهر
وتلك تحت هموم الريح واقفةٌ
خضراءُ تنفضُ أوراقًا وتزدهر
وطالما احتطبوا من لوحها حطبًا
لنارهم فإلى في دفنهم أثر
وذاك في هالةٍ لا الريحُ تهفتهُ
ولا يبُلُّ من أردائه المطر
تزلُّ أقدامه عن موقعٍ وقفتُ
فيه وتصفَعُهُ الأبوابُ والسُّتر

الشوق المتلصق

ولمَّا حَجَّبَ «المطلاع» دربُ
تخطأه ولاح له «سنام»
تلقت شوقه خلفاً وضجت
أضالعُه وأوقفه غرام
إلى ذات الخفائر أطلقتُها
كعادتها إذا احتدم الهيام
بأعضاءٍ كما انسرحت شظايا
مُنسقةً أو ارتفع الخرام
ولما وُحِّتْ سعفاتُ نخلٍ
على بعدٍ كما حامَ الحمام
وفاضت تربةً غدَّتْ هواه
قديماً رفرفت فيه العظام
وما سكنت ولكن روضتها
«رباب» عندما جمحت «خُدام»
وما ضُرَّ الهوى أحداً ولكن
نُقيم به وليس له مقام

الدماء المختلفة

يظلُّ يزحفُ فيه الوحلُ واللُّثْقُ
وقد تطامنَ حتى كاد يختنقُ
تراكمت فيه أوحالٌ تجيءُ بها
أعراقُه ومكانٌ فيه ملتصق
يظلُّ خلفَ زواياه كما احتجرتُ
ممروضةٌ أغلقت عن بيتها الشُّق
تكاد تنبت أدغالٌ بلحيتهِ
ومن خياشيمه يُستخرج الورق
كأن أعراقه من هول ما اختلفت
بها الدماء على أعضائه طُرق
أعراقٌ من حوّلوا ذاك الفتوحَ إلى
نهبٍ وذاك الهدى رزقاً به ارتزقوا
شتى الجسمِ بجسمٍ كيف يجمعهُ
صُلْبٌ ويربطُ من أعراقه عرق
صيداً إذا جلسوا عُتمَ إذا احترکوا
سودُ الفِعالِ وفي أحلامهم نَزَق

شروق

وأشروقَ منها مَعَضُدٌ فَأَضَاءَنَا
ورفقتُ ثيابُ فاستجاشَ عبيراً
إذا هدأتُ من مشيها أسرعْتُ بها
شؤونَ الهوى تسري بها فتسير
لها دافِقاتُ النهر حين يهزُّه
نسيمٌ وعنْفُ البحر حين يثور
كأن ابتساماتِ الهوى فوق وجهها
سطورٌ وإشراقُ العيونِ سطور

الضفر

عجباً للرمال تُنبتُ زهرا
عجباً للصخور تنفثُ عطرا
عجباً للأجاج يمسي مساعاً
بعدهما ذاب ملحه فتعرى
عجباً للتي أناخت زماناً
في زوايا البيوت خدّاً وظهرا
نشّرت شوقها وفكّت هواها
وأطاحت من حصنها فتفرى
بينما أنت لا تزال مقيماً
في المكان القديم تُشبهه صفرا

الحديث من خلال الملاح

تطأيرت من عيونها الشُّعْلُ
وأعربت عن سكونها المقلُ
تجسَّدَ الحبُّ في ملامحها
وأشرقَت في شفاهها القُبَلُ
ينحرف الشُّعْرُ عن مواضعه
كأنه يستحثُّ الغزل
كأنما عِقْدُها إذا احتركت
ألوانه من دمائها تَمِلُ
كأنها والهيأُ يُقعدها
وقد مشى في عروقها الكسل
مخابئُ للعبيرِ قد فتحت
أو الخلايا أطاقها العسل

الليل والثياب الزرق

أَكَانَ اللَّيْلُ لَوْلَا أَنْتَ حَلُوُّ
يَفِيضُ مَشَاعِرًا وَيَسِيحُ نَجْوَى
وَقَدْ مَارَسْتُ قَبْلَكَ كُلَّ لَيْلٍ
فَلَمْ أَرَ قَبْلَهُ أَبْهَى وَأَضْوَا
تَكَادُ ثِيَابُكَ الزَّرْقَاءُ تَشْدُو
وَلَمْ أَسْمَعْ بِثَوْبٍ صَارَ شَدُّوَا
إِذَا انزَلْتِ حِرَائِرُهَا تِرَاعَتِ
لَنَا صَوْرٌ مِنَ الْأَحْلَامِ نَشْوَى

كأني رأيتك

كأني رأيتُك لا أذكرُ
بأيِّ مكانٍ كما أشعُرُ
كأني تصفحتُ هذي الخدودَ
وهذي العيونَ التي تُسكر
وهذي الشفاهَ التي تغتلي
وهذا القوامُ الذي يسحر
وهذي الضفيراتِ ذاتِ البريقِ
يشبُّ به سكبها الأشقر
كأنَّ جمالِكِ صوتٌ بعيدُ
ونقشٌ قديمٌ بدًا يظهر
يكرِّكُ الشوقُ في خاطري
ويعرفُكِ الحبُّ مُذْ ينظر
فكيف اختلفتِ كما اختلفي
لقاءً مَخاضاتُهُ أشهر
كأن الغرامَ بميعادهِ
يجيءُ فيأمرُ ما يأمر
كأن الفصولَ لها مثلُها
بأعماقنا والهوى يُثمِر



يَظَلُّ يَلِصِقُ إِحْسَاسَنَا
وَيَكْبُرُ فِينَا كَمَا نَكْبُرُ
كَأَنِّي رَأَيْتُكَ لَا تُنْكِرِي
فَإِنَّ عَيْوَنَكَ لَا تُنْكِرُ





الديوان الخامس

ذاكرة الآفاق (*)

(*) نشر الديوان للمرة الأولى عام ١٩٨١م، وأعيد نشره ضمن ديوان الشاعر محمد الفايز
١٩٨٦م: ص ٣٤١ ص ٣٨٨.





قصائد عن بغداد القصيدة الأولى

من هذا النهر المتدفق كالأنكارِ
من هذي الأشجارِ
من هذي الأحجارِ
من أرضٍ كانت وطنًا للآفاقِ
وينابيع الاشراقِ
من أرضٍ كانت تنبض في جسم الشرقِ
أنقل صوتَ النهرِ
وحديثَ التيارِ
من بغداد أحدثكم عن شجرٍ يثمر شعراً
وعذارى ينزفن حريرا
وسماءٍ لا يمكث فيها الليلُ طويلا
وسواحل تُنبت طيراً وحقولا
سأحدثكم عن شوق الأعين..
لما يُصبح شوقُ الأعين شدةً وهديلا
سأحدثكم عن تاريخِ
يتحرك ثانيةً
يتبلور ثانيةً
كسماءٍ تحمل أفقا مجهولا

سأحدثكم عن ساقية
تتجمع تحت الأرض لتصبح تياراً
وسيولاً وسيولاً
وكما تتجمع تحت الأرض مياه الأمطار
لتصيرَ عبيراً في الشجر الظمانُ
خرجتُ بغدادُ كداليةٍ
من أعماق التاريخ الهاجع في رحم الأزمانُ
خرجتُ كي تجمعَ شملَ الطيرِ..
الهاربِ من شتى القصبانُ
وتلمَّ شظايا الصباح المكسور
تعيد حكاية غابات المرجان
من شاهد أرضاً كانت..
أول أرضٍ للإنسانُ
فهنا القرن الأول..
والقرن الما قبل الأولُ
وهنا الشجر الأول..
والشجر الما قبل الأولُ
وهنا الإنسان الأول
والإنسان الما قبل الأولُ
هذا ما قالته الألوانُ
ونقوشُ الأحجارِ
ومخاضات الصور الأولى.

القصيدة الثانية

كحريير أخضرٍ كانت أوراقُ الدوحة
كوميضِ صدورِ عصافيرٍ
في موسمِ حبٍّ ..
كانت أوراقُ الدوحة
كظهورِ نساءٍ ..
كانت أغصانُ الدوحة
كانت تشرب من ساقيةٍ
يعشقها النهر ..
وكانت توغل في أرضٍ ..
لا تهرم فيها الأشجارُ
وتمد زخارف قامتها
في الأفق كما تمتد الأفكارُ
من شاهد أشجاراً ترسم بالظل ..
ومن شاهد أغصاناً
فيها عاطفة الأيدي
فهنا تحت ظلال الدوحة
بجوار الأيوان
في كل مساءٍ أسمع نبض الأغصان
وأترجم أصوات الطير



وألوان الشيطانِ
أشرب ينبوعاً لا لون له تحت الإيوانِ
تحت الدوحةِ
بجوار النهرِ الدافقِ كالفرحة.



القصيدة الثالثة

ينهضُ صدرك يا بغدادُ

كبيادرٍ من لؤلؤٍ

وكقوسٍ من فيروزٍ

أزرق

أزرقُ

يدفق نهرك تاريخاً يتدفقُ

وكقاماتٍ وصائفٍ رومياتٍ

يحملن أباريق نبيدٍ

أشجارك ذات الظل الهابطِ

كالشوق الموهقُ

وكأني اقرأ شعراً أستقصي خبراً

في الصخر النازف ياقوتاً

في الشجر الواقف كالأعلامِ

أو القامات المنتصبه

في حركات البغداديات الملتهبة

في لهجة أبناء الكرخ

ونقوش أزاميل البنائينَ

وعمائهم ذات الطيات المنسكبة

في رائحة الأفران..



وفي الحلوى البغدادية
في نكهة عشقٍ
في الألوان الأثرية
في طاقك ذي الأحجار الفنية
تتسامى مثل نياشين
كالرايات البيضاء
تتقوس مثل ضلوع محنية
في أه مقاماتك ذات الأثبات الدينية
في صبغتك الإسلامية
وطموحاتك ذات النوبات العربية
وكأني ألمح في القباب الزرقاء
ومساجدها
وماذنها العباسية
تلك الخيم المنصوبة في الصحراء
وعمائم فرسان
وصحائف قرآن
وكأني أنشق تاريخاً
أسمع صوتاً
يخرج من أعماق الأشياء
بغداد خلاصات الشرق
وأميرته الشقراء



القصيدة الرابعة

سلامٌ على أزهارها حين تُزهَرُ
على نهرها النشوانِ والليلُ مقمَرُ
ومالبتُ تلك الضَّفَافُ كأنها
مشارفُ غيبٍ يُجتلي حين تظهر
ولم أَرِ أرضًا قبلها عتقت بها
قرونٌ على أحجارها تتخمَّرُ
كأن النقوشَ العالقاتِ بصخرها
نقوشُ كؤوسٍ أو نبيذٍ مقطَّرُ
تجاوزته ندمانُ (هارون) فاستقوا
كرومًا ونخلًا أو تخطَّاهُ (جعفر)
تصيرُ الجسومُ الهامداتُ متاريا
ويمتد نقشُ في صخور ويكبر
ولما هبطنا ساحة الطَّاقِ رفرقتُ
علينا رسومٌ أو تحرك (قيصر)
وفاجأنا لونانٍ أسودٌ غاضبُ
وأخر فيه روعة الدم أحمر
وكانت غصونُ اللوز تعلق كأنها
هتافُ ضلوعٍ أو أيادٍ تُؤشِّرُ

القصيدة الخامسة

في مقهى الساحل
في مقهى الساحل
ذي الأشجار التاريخية
والأحجار الصفراء الأثرية
خرجت زرقاً عينيها
ذات الأهداب السوداء
كطيور الواحات الصحراوية
كانت أشجار التوت
وأشجار الرمان وأشجار أخرى
تُبرق تحت الأضواء
كجمال تحت هواجها
كخيام تحت مسارجها
وكأني أسمع طيراً يخرج مني
يأيتها
ويقول لها شعراً
ويناجيها
أه يا ذات العينين الزرقاوين
حزني أثقل من صخر سواحلكم
ومسافاتي وقفنت



لاَهتَةً عندِ خمائلِكُم
ومناهلِكُم
كانتِ تعبِقُ رائحةً تشبِه رائحةَ النهرِ..
ورائحةَ الأرضِ..
ورائحةَ الأشجارِ..
وكانتِ تزخرُ عاطفةً تشبِه عاطفةَ النهرِ
وعاطفةَ الأرضِ
وعاطفةَ الأشجارِ الخضراءِ
والطيرِ الخارجِ مني يقرأها
يقرأ عينِها الزرقاوينِ..
ويقرأ فيها كلَ عصورِ العشقِ..
وكلَّ ليالي العشقِ
وكان الطيرُ الخارجُ مني..
يشهقُ عشقًا
يلهثُ عشقًا
تحت زخارفها الشقراءِ
وملامحها الآشوريةِ
في مقهى الساحلِ..
في مقهى الساحلِ..
ذي الأشجارِ التاريخيةِ
كان الثوبُ الأزرقُ قطعةَ نهرٍ
كانتِ أشرطةُ الشعرِ خلايا فيروزِ
كان الخاتمُ يبرقُ في إصبعها





كهلال العيد..

وكان الوجه الشرقي العربي المتمدّن..

يُومضُ بين تهاويل الشعر المسرف..

في روعته الشرقية

والطيرُ الخارجُ مني يسألها

وتجيبُ ملامحها

والوهجُ الخارجُ منها

والعشقُ الداخلُ فيها

كنسيمٍ رنحٍ جوريه

في مقهى الساحل

في مقهى الساحل

ذي الأشجارِ التاريخية



القصيدة السادسة

يتطلّع وجهك يأتينا
من خلف حدودِ الرملِ النازفِ..
والشجرِ الأصفرُ
يأتينا وجهك مرسوماً
في النخلِ ومنحوتاً
في الزمنِ الماضي والآتي
يأتينا في رقصِ البدوِ
وشوقِ الريفِ
يأتينا في المطرِ الحاملِ ألوانِ سفوحك..
ذاتِ الأشجارِ الورديةِ
والأحجارِ الأثريةِ
يأتينا وجهك يا بغدادُ حزيناً
وقويّاً
وجميلاً يأتينا حيناً
ونجياً لكم
نوباتِ حروفٍ نسكنها
وطناً لا يهرمُ أو تسكن فينا
ونجياً لكم
عطشاً لا تكفيه الآبارُ
ولا ترويه حواصلُ سحبِ الصحراءِ.

النزيف الجديد

كأني امتشقتُ نزيفاً جديداً
سيغسل هذي الوحولَ التي شوهتني
ويمحو الرسومَ التي ضللتني
كأني نسيْتُ الذي قد قرأتُ
وكل الذي قد رأيتُ
هبطتُ الأعالي التي أوقفنتني
وحيداً أمام هجوم التماسيح والكاسراتِ
وكل طيورهم الجارحاتِ
لما تصوّت خلفي
لماذا تعالج نزفي
كأني تقوّستُ حتى التصقتُ
ومؤهتُ حتى انحرفتُ
كأني خلعت قشوري
ورميت كنوزي التي أنقلتني

الكلمات الأولى

كانت كلماتك تخترق الأبواب

وتجتاز الجدران

كانت كلماتك تحمل عنف الريح

وأهوال الطوفان

كانت لما كان الانسان

كانت لما كانت صورُ الأشياء

بلا زيف وبلا أدراُن

كانت لكامتك

تخرج من أحشاء الأرض

وتهبط من ذاكرة الآفاق

وكانت رفرفة العائد

من عمق الأكوان

ورحيلًا يقفو إبحارًا

يتمطى في شتى الشطآن

كانت كلماتك ينبوعًا

يتدفق من وهج الألوان

وحريقًا ما مرَّ ببال النيران

كانت كلماتك

لما كان الشوق بلا أحزان

العائد مع الريح

أجيء لكم من الأوّل
من الأرض التي ينمو
بها الصّبير والحنظلُ
من الشمس التي تثقبُ في الأرض
تسوي صخرها جدولُ
أجيء لكم
بلا فأسٍ ولا منجلُ
بلى عندي هو فأسُ
ونخوة منجلٍ أعزلُ
أجيء لكم
بلا سيفٍ ولا درعِ
ولا فرسٍ أمام قلاعكم يصهلُ
أجيء لكم من الأفق الذي قد كانُ
يُغازل رغبةَ الإنسانُ
أجيء لكم
جنائزَ أحرفٍ تصحو
يخالط شكلها الليمون والملح
فيا من ضوءِ عينيها كما الغمرُ
كما الرمزُ
إلى الآن الهوى ينزو
إلى الآن الهوى يغزو

قراءات الأشياء المخفية

كان الشاعر يا سيدتي
يكتب ما تنشده الريح
يرسم ما ينقشه الظل
كان يراقب أسراب الطير العائد
من غربته
كان الشاعر بدء الكلمات
وصدى الأشياء المخفيه

☆☆☆☆

لما هبط الإنسان الساحتِ المكتظة
كان الشاعر يُنشدهم
ويقول لهم
ما قالته الريح
وجنازة عصفور تبرق في عينيه
وهواء الأرض مسامير
تثقب في رنتيه
حتى جاء القرن العشرون
وجاء الإنسان الآخر
فلماذا يا سيدتي لا
تتغير أشواق الشاعر

الكلمات الأولى

كانت أغنيةً غناها (داوود)

ومازلت أصداء الأغنية الأولى

تغررُ أحرفها في صدر الأرض

☆☆☆☆

هو ذا الشاعر يا سيدتي

يتسكعُ في أبواب المدن المغلوبة

والمنكوبة

ما عاد له ممدوح..

ما عاد له سيف..

ما عاد له درع

☆☆☆☆

أمسى يزحفُ بين العهدين

ينزف بين العهدين

صار الماءُ

وصار النارُ

وصار الماءُ بينُ

من يرفسَ خاصرةَ الشاعرِ

يلمسُ قلبين

دموع المهرجان

وَتَدْفُقُ فِي عَيْونِكَ أَنْهْرُ النَشْوَةِ
ويَهْتَزُّ الهوى
يَكْتَضُّ فِي شَفْتَيْكَ
فِي أَنْحَائِكَ الحلوهِ
تَنْزُّ بِهِ أَصَابِعَكَ الَّتِي اسْتَرَخْتُ
وَأَعْضَاءَكَ لَكَ اسْتَلَقْتُ
كَنْهَرٍ لَمْ يَجِدْ مَسْرَى
كَدَالِيَةِ تَخَافُ الطَّيْرَ
حِينَ الطَّيْرُ تَحْتَ ظِلَالِهَا اسْتَذِرَى
وَتَنْحَرِفِينَ مَكْرَهُةً
لِتَخْفِي وَجْهَكَ المَشْتَقَ
مِنْ أَعْمَاقِكَ الأُخْرَى
مِنْ العَشْرِينَ
تَصْرُخُ دُونَمَا جَدْوَى
تَحَاوَلْ مِنْكَ لَوْ تَقْوَى
لِمَاذَا تَوَقَّفِينَ النَهْرَ عَنِ مَجْرَاهِ
لَا نَهْرٌ بِلَا مَجْرَى
كَأَنِّي أَقْرَأُ المَجْهُولَ فِي عَيْنَيْكَ
وَالدَّفءَ المَقِيمَ هُنَاكَ مَحْجُوزًا

وأجمع أدمع المرجان منذ يبكي
أسوي شوقه شعراً
ليحزُنني حريق الورد
في صدر كما ارتفعت روابي الصيف
تُكسى روعةً خضرا
ويحزُنني دم العصفور
ملصوقاً على الجدران
والأشجار مذُتعى
ويقلقني انطفاء اللونِ في شفة
كمنقارٍ
تكسّر فوق أغصان مُكسّرة
كلؤلؤة تغوص.. تعود ثانيةً لقاع البحر
ما وجدت لها صدرا

الربُّ الأعزل

في عينيها حبُّ أعزلُ
في عينيها شوق يسألُ
في عينيها ريحٌ تبحثُ عن منطلقٍ
وتظلُّ تداعبُ شعراً أسودُ
أسود كالغضب المقلُّ
والشوقُ الراعف يكسوها
صوراً أجملُ
تتدفق من أنحاء المرمز
ذي اللون المرسلُ
وتروح تداعب فنجانَ القهوة
ترسم ذو اللون الشاهق
ذو المنزلق الواضح
رغوة نشوه

إلى ليبيا

ليبيا

ليبيا

مازالوا في القرن التاسع

وهواك يشق الأرض

ليبزغ كالقمر الطالع

في أجواء القرن العشرين

ليبيا

ليبيا

يا أمّاً ترفع نهديها

كي ترضع أيتامَ النكسة

ليبيا

ليبيا

ناديتك والملح الأسود

يملاً حلقي

يدفن حنجرتي

يُغلق أبوابي

ليبيا

ليبيا

من خلف البحر



ومن خلف الصحراء
ناديتك يا ليبيا
يا ذات الشَّعرِ الأسودِ
يا شرقًا يحمل ألوانَ الغرب
ويا غربًا يحمل ألوانَ الشرق
ليبيا
ليبيا
يا وطنًا لم ألمسهُ لم أنظرهُ لكني
أتحسَّسُهُ
أتنشَّقه

في الورق العائد من تلك الأنحاء
من بنغازي
ومواسمها الخضراء
من أرض الشَّعرِ
ليبيا
ليبيا
وأكرر اسمك يا ليبيا
حتى ترغو أحرفه في حلقي
حتى يغمر قاعي
يتسرَّب من أطرافي كالأصداء



أخطبوط

بشتى الوجوه
وشتى الميول
وشتى القلوب
وشتى الدماء
تعيش كأنك كل انتماء
وكل انحراف وكل التواء
فأنت اختراقُ جميع الحدود
وأنت الرجوعُ لشتى الورا
وأنت الترابُ
أنت التفكُّك
أنت التوغُّل
أنت (الخروجُ)
فأنت اختصارُ جميع النوايا
وأنت تناسخُ كل المزايا
وأنت اختصارُ جميع الخطوط
وأنت امتدادُ جميع الزوايا
وأنت كذاك امتدادُ الفضاء

لقاء بلا مكان

إنه لا يحب الوصول..
دعیه هنا تحت عینیکِ
تحت الهدوء السريع
هدوء انتشاءاتِ أعضائك المضمحلّة
تحت اللهب العنيف
دعیه هنا تحت عینیکِ
فوق الوسائد ذات النقوش الشهية
فوق امتدادات شعر كما انخرط الظلّ
بين الرسوم التي تتدفق
من حُمرّة فوق خديکِ
ها أنتِ بين يديه وبين ارتعاشاته
أنتِ أحلى إذا كنت رسماً يثير انتباهاته
أنتِ أحلى إذا كنت مُنكّأً
يستريح عليه لهاث انطلاقاته
أنتِ أحلى إذا كنتِ همساً
له نبضات تهزّ السكينة في ذاته
لا تكوني كؤوساً
فكل كؤوسٍ سيشربها
دون أن يرتوي

لا تكوني طريقاً
فكم قطع الشوق فيه المسافات
لكنه لم يصل
وهي لا تنتهي
لا تكوني ظللاً
وكوني لهيباً لذيذاً
فكلُّ الظلالِ تغيبُ
سوى اللهبِ المتطاير من مقلتيك
ومن رعشات الأصابعِ
ذات النقوشِ الحديثةِ
والعطشِ المنحني

صراخ تحت الثلج

من تحت الثلج ينادي دفنكُ
يا ذات العينين الواسعتين..
من تحت الريح ينادي كهفكُ
يا ذات العينين الواسعتينُ
من تحت الشمس ينادي ظلكُ
يا ذات العينين الواسعتين
من تحت اللاشيء ينادي أشياءك
يا ذات العينين الواسعتين
نادى أمشاطك تُبرق كالأقواس
وتخرج من شعرك كالقفِّ
ونادى عطرك
ينزف من أنفاسك
من ثوبٍ ليلي الأنوالِ
ريفي الأشكالِ
لا شيء سوى أن يجثو كالبدوي
أمام النار
أمام نقوش قميصك
ذي الأكمام المنسرحة
وتهاوت كالأجنحة المخلوعة
أسطحهم يا ذات العينين الواسعتينُ

لقاء عند النهر

وعند النهر قال لي كلاماً
أحال سكونها قلقاً عنيفا
وعند النهر سواها ربيعا
يرمم من بقاياها خريفا
وعند النهر طارحها هواه
بحيث ضلوعه صارت نزيفا
وعند النهر صار لها نديما
تساقيه الهوى العرم المخيفا
وعند النهر قابلها
وقبلها
وعند النهر خبا في ملامحها
رسوماً من ملامحه
وشيئاً من جوانحه
وقال لها
سنقرأ سورة الألوان ثانية
وندخل في فصول العشق الثالثة
ورابعة
نكرر ما نكرر من لقاءات الهوى
الساكن عند النهر ننشق من عطور النهز





قبل الموعد

العطشُ المَطْلُ في الملامح السمرَاءِ
والصورُ التي لها مهَابُطُ
في الأعينِ السوداءِ
قد علَّمته الشَّعْرَ والصلاةَ والغناءَ
يا ثغرها الصغيرَ يا عيونها الفضاءَ
يا شعرها الذي له تطاير الألوانِ
من مخاضة المساءِ
يا عزلة الدماءِ
متى؟
متى ينكشفُ الغطاءُ
عن هذه البيادر البيضاءِ

☆☆☆☆

ويجيء الليل بطيئاً
كحصانٍ أسود
وتجيء عطورك
يدخل صوتك من كل الأنحاءِ
صوتك النهر الباحث عن منبعه

لقاء في العيد

ما جاءه أحد سواها
كان منعزلاً ومحتدماً
وكانت كأسه العشرون جاهزة
لقد كانت مظاهرة من الألوان
كان العيد يخرج من صفائرها
من الثوب الفرنسي
الذي شهقت أعاليه
وكان العيد يضحك
في ملامحها المثيرة
في تصاميم الرداء

شعور تحت العاصفة

أشعرُ يا سيدتي
وأنا تحتَ هديلِ عقودك
تحت شعاعاتكُ
تحت هطولِ ضفائرِكَ الشقراءِ
وملامحك البيضاءِ
تحت تدفقِ أنفاسِكُ
ذات الرائحة المشتتة
من رائحة العنب الأسودِ
أشعر يا سيدتي
أني أملكُ كلَّ كنوزِ العالمِ
كلَّ نساءِ العالمِ
أشعرُ أني أتمخَّضُ عن شعرِ
صوفي الإيحاءِ
أشعرُ أني ألمسُ عمقَ الأشياءِ
أفهمُ ماذا خَلَفَ وميضُ الكرزِ الأحمرِ
كيف يكون العشقُ لذيذاً
ونبيذياً حتى الإغماءِ
أشعر يا سيدتي
وأنا أتناول من كفيك هداياك

أني أدخلُ عاصمتين

في عينين

في كفين

فيفاجئني عطر الورد

محفوظة قطعة كشميرٍ

كتب الشعر

أول حرف من اسمك منقوشاً

باللؤلؤ مبخرة صفراء

يتظاهر فيها خرز الفيروز الأزرق

كيف أُخبئُ أمطارك؟

كيف أفسّر هذا؟

كيف أرد جميلك يا سيدتي؟

كيف أقابلُ هذا الحبَّ المطر حلوى؟

ولقاءً ينفضنا نفصاً

يا سيدتي

يا أجملَ امرأةٍ

تتحدث عن أشعار العشقِ

وليل العشقِ

ويا أجملَ امرأةٍ

تتهياً كي تمنح حباً

تشعل عينيها

كي تمنح هذا الشوق القابع مرتفعاً

تكتبُ شعراً

لولاك لما كان الشُّعر وكان الشُّعراءُ
ماذا الشعر؟ امرأة
تتكوم في شفيتها
كل كروم الأرض
وفي إشراق نعومتها مُدُنُ خضراءُ
أما عيناها
أما عيناها فهما
آخر أشواط طموحات العشقُ

سؤال

سألته:

لِمَ لا تخرُجُ من سيفك حياً؟
وامتشقت الجسدَ المنسلَّ من زلقةِ خصري
أيها النهرُ الحزينُ القاعُ
هل جرّبتَ بحري؟
لم لا تكتبَ عن لون الحرير الأسود؟
المنساب كالجدول في أحواضِ صدري؟
والذي استرسل منشوراً
على سرحةِ ظهري
مثلما يكسل جمرٌ. أيّ جمرٍ
لم لا تكتبَ عن لفتةِ أعضائي
إذا ناديتني.. نقرت عمقي
والرطوبات بدت تسري بوجهي
ثم تسري
لِمَ لا تكتبُ عن عينين عن حوضين
مازالا بلا نزوة نهرٍ
أيها النهرُ الحزينُ القاعِ.. هل جرّبتَ بحري؟

الجواب

شيئاً فشيئاً تخرجين
من كونك امرأة إلى عطشٍ
تغطيه الحرائر والصياغات الحديثةُ
والدم المغلوبُ
يفلت من يديك زمام قلبك
تهبطين الأرض ذات السطحِ
تنسكين بين يديه
يكبح من جماحك
يُطلق العطش الذي استرخى على عينيك
كالعصفورتين طواهما برد المساءِ
شيئاً فشيئاً تكبرينُ
وتهزّ جسمك نشوة العشرينِ
تُطلق من وقوف الذهر فيك
ومن لفائفك المعقدة القديمةُ
ها أنت تسترخين كالشجر المحمّل بالفواكهِ
تفتحين خزائن التفاح
ها أنت اكتملتِ وصرت خطأً ينحني للأرضِ
بلوراً قديماً.. صرت رائحة الدماء الجاهليةِ
صرت عاطفة حديثة

يا روعة الكشمير رنحه اهتزاز العمق
كيف تساقطت تلك الحراشف
والجلودُ الزرق
فاضَ النهرُ حتى أغرق القرويَّ
كان يزيح عن مسراه أحجارَ الطريق
وعندما اجتمعت منابعه تدفَّق
أيها النهرُ الذي كانت غريزته تشمك
قبل أن تتغامزَ الألوانُ
قبل تمخضاتك
كان يعلم أنك استحدثت عشقًا
أو أتاكَ العشقُ
كان يريد أن يلقاك في الشوق المناسب
كنت أسرع منه
كان النهر فيك تجاوز الشيطان
كنت هوى يفتش عن هوى
كانت عيونك كالبحيرات البعيدة
كنت جاهزة كفاكهة الصباح
كخمرة الأعيادِ
ناعمة كالألوان المفارش
كنت خاتمة النساءِ

☆☆☆☆☆

ويظلُّ هذا الشوقُ يستوحي دماءك
يقرأ الشُّعرَ الذي ما قاله الشعراءِ

يكتبُ عن مصابيح الخفايا والدمِ المحجوز
كالعنبِ المعنَّق
يسمع فيك أصوات الغيومِ الحمر
تصعد من مخاضات العطاء
ويظلُّ هذا الشوق يستوحي دماءك السمر
وهي ترسم في النواحي السمر
في هذا الحراك الهادئِ النشوان
يسمع فيك أصوات المزامير الحديثة
يلمس الصور القديمة
حين تلتفينَ لاهتةً
كما ارتفعت مناقيرُ العصافيرِ الصغيرة
ينشقُّ الألوان
وهي تخرجُ من جوانبك المضيئة
مثلما ارتفع الغناء
عيناكِ سيدة العيون وأنت سيدة النساءِ

العودة

أعود إليك ثانيةً
مع الحرف الذي قد كان يشجيكِ
مع الحرف الذي يهفو
إليكِ إلى لياليكِ
لبسمتكِ العميقة
للهوى النشوان يهتف في عيونك
في معانيك
أعود إليكِ لا أني نسيتكِ
أو هجرتكِ بل أداريكِ
لأنكِ لا تطيقين الهوى العاصفَ
والشوق الذي ينمو
سريعاً في مطاويك
كأنكِ حين تهتززينَ من عشقِ
تفشى فيكِ.. خبط في مجاريكِ
كأنكِ صرتِ ساقيةً
يرتجها نسيمُ الفجرِ.. إني هائمٌ فيكِ
أُسوي شهقة الألوان في شفطكِ أغنيةً
قصيدةً بل أُسويكِ
زخارفِ أحرفِ فيها

رسوْمٌ من رسومك حين تنسكين لاهتةً
يسرّحك الحنين العذب يُرخيك
يُمهد للهوى الموغل في أقصى أقاصيك
أعود إليك يا شوقاً قديماً
أعود إليك لا أدري
لماذا عدتُ؟ كيف رجعتُ؟ لكنني
أحسُّ كأنما عيناكِ تهتف لي
تناديني
وصوتُ اللونِ
والصور التي تنبض في تفاح خديكِ
تناديني
وعنقودُ الحرير الرطب في شعرك - نشواناً -
يناديني
كأنك قد خلقتِ لكي أحبكِ
أنتهي فيكِ.

حَدَّثِينَا

حدثينا عن مروجِ البرتقالِ
ومياهِ الساقياتِ الخضرِ
والظلِّ الذي تفرشه الأشجار
عن جوقِ الصبايا
وأغاني العشقِ عند النبعِ
والنحلِ الذي يبني خلاياه
على صخرِ الجبالِ
والهوى الهابطِ فينا

حدثينا

عن مقاهي الساحلِ النشوانِ
والليلِ الذي يحرسه النجمُ
وأعناقُ النساءِ
تحت أفياءِ الدوالي
يتبارينَ صدورًا وعيونا

حدثينا

عن مصابيحِ الكرومِ الخضرِ
عن لطفِ روايبكِ
التي يرفعها العشبُ
كاثداءِ الصبايا



حدثينا عن مفاهي النهر
والليل الذي يمضي شهياً وسريعاً
بين ألوان ثياب السهرِ الراقصِ
والطير الذي يهزجُ حتى في الليالي
أه لو تدرين كم نحن نعاني
ما نعاني
نحن حملوا صخور القاع للسفح
وجوابوا الظهيرات الصّوالي



لهات الثوب الأزرق

كان الثوبُ الليلي الأزرق
ينزف من رِقِّه
وعيونك توغلُ في الزرقةِ
والصوتُ الخارج من صمتهِ أقوى
أقوى من كل الأشياءِ

☆☆☆☆

وتطيرتِ الشعلةُ الصفراءُ
من أكؤسهم
ضجتُ أضواءُ الأكؤس في أعينهم
واهترزتُ أصواتُ الموسيقى
تُسرع من نشوات سكارى الليل الواقفِ
ليل الحاناتِ المختفيةِ
واللونِ الأزرقِ يومئٍ
يخرجُ من داخله
يتنشرُ فوق المقعدِ أكوامًا من فيروز

مغامرة تحت الوهج

أحسُّ ما يجول في أبعادك الخضراء
أسمع ما تقوله عيونك الزرقاء
ألمس ما خبأه التوقدُ الشهي
في لفتتك العذراء
اقرأ ما لا تقدِر الحروفُ
بيانهُ في الشفةِ الليلية الحمراء
أعرفُ يا حبيبتي
أعرفُ ما يدورُ في وقوفك الحزين
في الشرفةِ المضاءة
ولحظة الإماءة
أعرف حيث تفتحين
ستارةً وتسدين
ستارةً في حين
تُغلق الأبوابُ
دونك والطريقُ
ونظرة البوابُ

تنبشني

تستنطق التفاتي المريب

للشرفة المطفأة التي وراء

جدرانها الطير الذي يبحث عن سماء

في هذه الناحية المطموسة الأنحاء

مخنوقة الأمام والوراء

محاظة كأنها بحرٌ بلا ميناء

ترسو به أشواقنا الحزينة

وهكذا يضربُ يا صديقي الحصار

على الهوى وتخنقُ الأشعار

يقنط طير الحبِّ في صدورنا .. يموت

وخلف هذي الجدرِ السوداء

تنمو طيورُ الحبِّ في أجوائها الخضراء

وتولد الأشياء

جديدةً عذراء

تستيقظُ الأرضُ التي نامت هنا

منهوكة الأعضاء

منزوفة الأتداء

منهوبةً مكشوفةً بلا غطاء

يمارسُ الإنسانُ

ميولهُ التي نمتُ



وانتصرتُ

ومهدت

مهابط الأرضِ إلى مشارف السماء

ونحن في سقوفنا القديمةُ

نمارسُ الهزيمةُ

والليلَ والجريمةُ

نعاكِسُ النزوعَ في نفوسنا اليتيمةُ

حبيبتي هنا الرحيلُ

يصعبُ والبقاءُ مستحيلُ





الديوان السادس

لبنان والنواحي الأخرى (*)

(*) نشر الديوان للمرة الأولى عام ١٩٨١م، وأعيد نشره ضمن ديوان الشاعر محمد الفايز
١٩٨٦م: ص ٣٨٩ ص ٤٢٩.





عندما يتقوس الجبل

ويسألونك عن «ماري» فقل رحلت
مع الصبايا وأسراب الفراشات
لم تبق في حارة الأزهار ساقية
ولا طيور على تلك الشجيرات
ويسألونك عن حان مقاعده
أخشاب لوز وندمان العشيات
فقل تقوؤص إلا سقف دالية
يرتاده قانص عند الضرورات
ويسألونك عن دير لراهبة
كان أحجاره بعض الرؤومات
به دنان نبيذ كان يعصرها
أب لها من دواليه العريقات
فقل تهدم ذاك الدير وانتهكت
دنانه بعدما كن المصونات
ويسألونك عن «بيروت» قل جبل
مقوس أو فقل ثاني المصبات
هنا نوافذ قرميد مهدمة
هنا حطام محاصيل وسلات

هنا النَّواحي التي يبغونها سببًا
إلى التي دخلوها بالخَفِيَّاتِ
جاؤوا حديدًا وكانوا قبله فِكْرًا
حَلَّتْ محلَّ العريقاتِ القديماتِ
كالجسمِ يخلعُ أثوابًا مُصَمَّمَةً
له ليلبسَ أزياءَ غريباتِ
والفِكْرُ كالنبتِ إن وُلَّتْ مواسمُهُ
فإنَّه بعضُ عيدانِ يَبِيساتِ
وقد يحلُّ نبتًا بعد يابسةٍ
فالأرضُ من مزجِ أحياءٍ وأمواتِ
كانوا هنا قبل أن يأتوا ولم ترهُمُ
عينٌ وما برحوا في كلِّ مأساةٍ
فهم على الأرضِ أشياءٌ نمارسها
وفي النفوسِ جحيمٌ من حزازاتِ
كنا نمارسها فينا ونعشقها
فكيف ننكرها في العالمِ الآتي
والشرُّ أقربُ من شرٍّ وإن حملتُ
بعضُ الشرورِ مفاهيمًا بعيداتِ
وقد يخرُّك ظفرٌ في مصافحةٍ
شوكُ الصَّحارى كأشواكِ الجُنَيْناتِ
إذا تمعنْتَ فيما نحن فيه ترى
شرورنا في شرورِ أجنبيَّاتِ

الدم المستعار

أَضَامِنُ أَنْتَ نَصْرًا حِينَ تَقْتَحِمُ
وهل يُماشِيكَ عَصْرٌ حِينَ تَنْسَجُمُ
وما انسجأكَ فِي عَصْرِ يَجِيءُ كَمَا
لا تَبْتَغِي أَنْتَ بَلْ مَا يَبْتَغُونَ هُمُ
فلا الوداعَةُ تُجَدِي الوادَعِينَ ولا
ذو الشرِّ من هفواتِ الشرِّ معتمِمْ
وهلْ عتادُكَ هذا غيرُ ما صنعوا
وهلْ علومُكَ هذي غيرُ ما علموا
وهلْ دماؤُكَ هذي غيرُ ما حقنوا
وهلْ طريقُكَ هذي غيرُ ما رسموا
وهلْ هُمُ كُلُّ مَنْ تخشى؟ وأحسبهم
أقلُّ ظلمًا إذا قيسوا بمن ظلموا
بمن تضجُّ شفاءً من محولتِهِمْ
وفي قِرابِهِمُ الأنهارُ والديمُ
يُعالِجُ الجسمُ من داءٍ يحلُّ بِهِ
فما العلاجُ لجسمٍ ليس فيه دم
دَمٌ مُعَارٌ وأفكارٌ مَهْرَبَةٌ
كأنهم أُمَّةٌ مضمونُها أمم

رحيل الأرز

سنكتبُ عنك ما بقيت حروفُ
تقمّمصها بنا هذا النّزيفُ
توارث خلفها صورٌ عليها
طيوفُ خالفها زمنٌ يطوف
كأننا نقرأ الآتي إذا ما
أزيحت عنك أو عنّا السُّجوف
لئن هربت طيورُك أو تناهى
ربيعُك أو أناخ بك الخريف
فإنك بين أونةٍ وأخرى
تُشدّب أو تهديمٌ أو تُخيف
كان الأرض تبحت عن فضاءٍ
أو إنّ الأرزَ أعياهُ الوقوف
يلوذُ خلاله ذئبٌ وتأوي
تماسيحٌ لشاطئها ألوف
فيا لبنان يا جبلاً حزيناً
على أحجاره جثمَ الكُسوف
ويا شجراً كما ارتفعت أيارٍ
مُشنّجةً أو انهارت أنوف
لئن سقطت جبالُك وهَي درُغ
فَمِن أنقاضها طُمّت كهوف

العودة إلى الريح والصحراء

سرى بك الوجدُ أمَ عَلَتْ بك الفِكرُ
أم أنت محتشدُ الأعماقِ منفجرُ
وأي وجدٍ بجدرانٍ مغلقةٍ
سوى انتظارٍ.. وماذا أنت تنتظر
وأي فكرٍ إذا ما الشمسُ حَرَفَها
مدارُها وانزوى في أفقهِ القمر
تُبدلُ الأرضُ أقوامًا بغيرهمُ
كما يُبدلُ من أوطانهِ البشر
قالوا سنغلقُ أبوابًا إذا دخلوا
وإنهم دخلوا منهم وما شعروا
وصار نهرهمُ أوشالَ ساقيةٍ
لا يُستساعُ شرايبًا ماؤها العَكر
عادوا إلى الريح والصحراء ثانيةً
كما يعودُ إلى نرأتِهِ الحَجر
تقرحتُ من مدى أشواطها قدمُ
وكاد يُقعدُها الارهاقُ والضُجر
وملٌّ من سفرٍ شوقٌ يكابدهُ
كأن أيامَهُ من هولها سَفَر



من أَمْسٍ أَمْسٍ وما زال الهوى عطشاً
مجازفًا حيث لا نهرٌ ولا مطر
كأنما الريحُ تقتاد السحابَ إلى
أرضٍ وتَرجِمُ أخرى فَهِيَ تندثر



رماد الفوانيس الخضراء

محاصرة «بيروت» كيف تراها
وكيف ترى أشجارها ورباها
ونافذة كانت على السّفح كلّما
دجى الليلُ شَعَّتْ نجمةٌ وسماها
إذا سكتت أطيّارُهُ عزفتُ به
سواقِي الهوى أو نسمةٌ وشذاها
ومقهى بواهِ هابطٍ تحت صخرةٍ
لها فجوةٌ لا تُهتدى بِسواها
فوانيسُها في كلِّ أنٍ مشعةٌ
وأوقائُها في ليلِها كخُحاهها
ملاذُ ندامي تقّتي بوجودهم
وتلمح فيهم فكرةٌ ومداها
ومجلسُ «سلمى» في العشّيّات عندما
تصبُّ «سليمي» كأسها وهواها
لديها دنانُ من نبيذٍ وغرفةٌ
مِن الصخرِ قد سوّاهما أبواها
وساحةٌ بيتٍ طرّرتها مفارشُ
من الوردِ ينمو في شقوقِ حصاها

الأرض تجدد أثوابها

وقبلَ أن تخرجوا من كهفكم خَرَجْتُ
لكم روائِحُ أمواتٍ بأحياءٍ
تعقَّنتُ فيكمُ الأفكارُ وانحرفتُ
شخوصكم فهي ظلُّ النجمِ في الماء
ها أنتمُ الصورُ الأولى مكررةٌ
وما تبدلَ فيكم غيرُ أزياء
مُكرَّرونَ كأنصابٍ يُهدمها
فأسٌ ويجمعها إزميلُ بِنَاء
يصوغُكم مثلما شاءت وقاحتُهُ
مثلَ المساحيقِ في تلفيقِ شمطاء
كأنما الشرُّ ميراتُ توارثُهُ
أهلُ الشرورِ لأحفادٍ وأبناء
لئن خرجتم على أطوارِ طينتكم
أو انحرفتُم فإنَّ النارَ من ماء
وإنه الزمنُ الأتبي يجدُّه
فكرٌ يجيء بأشياءٍ وأشياء
ما عادت الأرضُ ترضى أن يكونَ لكم
بها مسافةٌ شبرٍ دونَ أعداء



وَالْأَرْضُ تَلْبَسُ أَثْوَابًا وَتَخْلَعُهَا
كَمَا تَبْدُلُ أَفْيَاءَ بِأَفْيَاءَ
كَأَنَّمَا هِيَ مِثْلُ النَّاسِ يَرْفَعُهَا
فِكْرٌ وَيَخْبُطُ فِيهَا خِبْطَ عَشْوَاءَ



عندما تتغير الاشياء

به من دواعي الهجر ما برز الهجرا
وأكبر شأن الصبر فاستصغر الصبرا
وكان يعاني الصمت والجهر مرة
فلم تفهموا صمتاً ولم تسمعوا جهرا
إذا مال فيه الشوق مالت خدودكم
صدوداً وإن يهفو لكم زتم هجرا
وكنتم إذا ما الأرض شذ ربيعها
وصارت كباقي الضحل من خلتها نهرا
أويننا لظل أخضر من ظلالكم
فسيح وبلنا من مواسمكم يسرا
تغيرت الأشياء فيكم فغيرت
قلوباً تراءت في ملامحكم صخرا
سنرفضهم رفض الأظافر عندما
تطول وبئس الكف إن أصبحت ظفرا
إذا كانت الأشياء تأوي لبعضها
إذا اتفقت فالفكر ملتمس فكرا

هكذا خلقوا

البعضُ يأكل بعضًا.. هكذا خُلِقوا
ومطبقونَ على ضدِّ إذا اتفقوا
تهتَزُّ أعطافُهُمَ لِينًا إذا حَضَرُوا
وواقفونَ على شرِّ إذا افترقوا
كأنما الريحُ في أقدامهم سكنت
أو أنهم فوق ما تَسْتَوْعِبُ الطُّرُق
لا ينتهونَ إلى شيءٍ إذا ابتدأوا
وإن أقاموا على حالٍ لهم زهقوا
مالوا إلى السِّلْمِ لم يدروا كم اختبأتُ
تحت السلامِ جروحٌ وأنطوتُ حُرُق
والحربُ نوعانٍ.. أفكارٌ مجندةٌ
ساحاتُها الحبرُ والأقلامُ والورق
بلا دمَاءٍ.. وأخرى لا يمارسُها
إلا الذين إذا صمَّمُوا صدقوا
لا فيهِمُ حبٌّ أوطانٍ لينتفضوا
ولا بهم شوقٌ إنسانٍ لينطلقوا
قد أخرجوهمُ وفي أعراقهم سكنوا
وأدخلوهم بهم أو فيهم التصقوا



شَرُّ مِنَ الْعَالَمِ الْآنَ وَإِنْ قُبِلْتُ
به المقاييس ما قاسوا وما اعتنقوا
تموت أعمارهم في أفقها وعلى
قبورهم كادت الأفاق تختنق
فكم جنازة نجمٍ راح يُؤدُّه
قومٌ إذا ما استضاءوا تحته احترقوا
ما زالت الصبغة الأولى بهم فهم
وحشٌ إذا احترقوا جنٌ إذا نطقوا
عُمِّي إذا سلكوا غولٌ إذا امتلكوا
وصامدونٌ وفي أفكارهم قلق
تباعداً الزمن الماضي فقربه
بأنه ما كت فيهم ومُنْفَق



لبنان والزيتون والعنب

قد كنت أوسع من أرضٍ نضيّقُ بها
والآن تحمّلكَ (السّلاتُ والعُلبُ)
ذكَرَنِي لَيْلُ «مَارِي» حِينَ تَشَعُّهُ
عِيُونُهَا الزَّرْقُ وَأَقْدَاخُهَا الشُّهْبُ
كأَئِذَا الشَّجَرُ الرِّيَّانُ إِن يَبْسُتُ
بِهِ الجُذُورُ وَشَابِتُ أَوْرَقِ الخَشْبِ
يَكَادُ يَزْهَرُ حَتَّى الحَقْدِ والغَضْبِ
عَلَى سَفُوحِكَ والأَلَامِ والسَّغْبِ
كَانَتْ رَوَابِيكَ أَشْجَارًا يَلُودُ بِهَا
طَيْرٌ وَتَرْفُلُ فِي أَفَاقِهَا السُّحُبِ
وَنَافِذَاتِ كَأَكْمَامٍ مَفْتَحَةٍ
يَكَادُ (قَرْمِيدُهَا) مِنْ رَوْعَةٍ يَثْبُ
وَالآنَ أَنْتَ مَتَارِيْسُ مَعْبَأَةٍ
بِالمَوْتِ يُلْهَبُ وَدِيَانًا فَتَلْتَهَبُ
صَارَتْ خِيَامًا شَجِيرَاتُ الهَوَى وَغَدَتْ
طَيُورُهَا بَعْدَ ذَاكَ الشَّدْوِ تَنْتَحِبُ
وَلِلطَيُورِ دَمُوعٌ لَا تَسِيْلُ كَمَا
لِلوَرْدِ حَزْنٌ وَدَمْعٌ كَادَ يَنْسَكِبُ

الأيام القديمة

حَدَّثِينَا يَا خُدُودَ الْبَرْتَقَالِ
عَنْ شَذَا الْأَرْضِ وَأَوْفِيَاءِ الدَّوَالِي
وَعَنِ اللَّيْلِ وَأَقْمَارِ الْهَوَى
وَالنَّهَارَاتِ الْفَسِيحَاتِ وَالظُّلَالِ
وَالسَّوَاقِي حِينَ تَبْدُو فِي الدَّجَى
مَشْرِقَاتٍ فِي بَسَاتِينِ الْجِبَالِ
حَجْرٌ يَنْزِفُ أَلْوَانًا فَإِنْ
لَمْ يَكُنْ لَوْنًا فَأَلْوَاخُ خِيَالِ
وَسَفُوحٌ كَظَهْوَرٍ سَجَدَتْ
خَاشِعَاتٍ فِي مَحَارِيبِ الْجَمَالِ
يَنْبِتُ الزَّهْرُ بِالْوَاخِ بِوَالِ
وَالضُّحَى يَغْفُو وَيَصْحُو فِي اللَّيَالِي
كَيْفَ حَالُ الْجَبَلِ الزَّاخِرِ فِي
شَبَبِهِ سَوَاقِينِ خَلَايَا وَسَلَالِ
وَالشَّبَابِيكَ عَلَى تِلْكَ الرُّبَى
وَالعَصَافِيرُ وَالْوَانُ التَّلَالِ
يَتَبَارَى السُّورْدُ فِي أَشْكَالِهِ
وَتَخَطَّى كَوْنَهُ فَهُوَ لَأَلِي



كادت الأفاقُ شوقًا تنحني
لسفوحٍ حملت شوقَ الأعالي
فأجابت: ما رأينا ما ترى
ربما كان بأيامٍ خِوال



وماء البحر للحوت

جاءت وفي ثوبها ألوان بيروت
في الصيف بين ظلال التين والتوت
جاءت مهاجرة الأحزان تاركةً
رحاب بين من القرميد منحوت
وساحة الرقص في أطراف حارتها
والراقصين وأضواء الحوانيت
كأنها خرجت من موجة قذفت
بها الرياح بشيطان العفاريت
تطفو على وجهها الشرقي عاصمةً
منهوبة وصراخ شبه مكبوت
كأنها حملت الأم قريتها
لما استبيحت وطابور التوابيت
لو تستطيع لسوت من تشردها
كل انحراف على كل الطواغيت
جاءت وحالاتها توحى بفلسفة
قديمة وقضاء شبه موقوت:
الأفق للبان والأرضون أجمعها
ملك الذئاب وماء البحر للحوت

أهذانت

أهكذا أنت لا عهد ولا زمم
إذا امتحننت ولا فكر ولا قيم
مضالاً مثلما شئت طراوته
إذا استقام طريق زلت القدم
أو استجاش به فكر أكبله
ظهور وإن شاء قولاً لم يطعه فم
في جسمه أمم شتى قد اختبأت
بعض تموت وبعض هدها الهرم
شر من الفكر منهار وملتصق
دم يخالط فحواه دم ودم
وما دفاعك عن أرض نهبت بها
إنسانها أيهذا المتختم النهم
تعفن الطين فيها وهو من عبق
وسمم الماء وهو البارد الشبم
وكيف تدفع عن شر أتيت به
وكيف تثأر عمّن فيه مئتهم
كأن نفخك جدران قد انتفخت
وقد يطيح جدار حين يحتدم



إِن كَانَ يُرْضِيكَ مِنْ عَيْشٍ زَخَارْفُهُ
فَإِنْ بَعْضَهُمْ يُرْضِيهِمْ الْأَلَمُ
تَفْتَقَتْ فِيهِ أَفْكَارٌ وَأُخْيَالَةٌ
لَمْ تَسْتَطِعْهَا لِذَاتَاتٍ وَلَا نِعَمٍ
لَسَوْفَ تَعْلَمُ يَا هَذَا وَإِنْ رُفِعَتْ
مِنْكَ الشُّرُورُ بِأَنْ الشَّرَّ مُنْهَدِمٍ



المنتفخون

أَلَمْ تَرَهُمْ كَمَا انْهَارَتْ صَخُورٌ
وَكَانُوا مِثْلَمَا ارْتَفَعَتْ نَسُورٌ
أَلَمْ تَرَهُمْ كَمَا انْكَمَشَتْ سَمَاوٌ
تَفَرُّ بِلَا هُدًى مِنْهَا الْبَدُورُ
لَقَدْ شَاهَدْتُهُمْ أَنْقَاضَ لَيْلٍ
يَحَاوُلُ أَنْ يَنْيِرَ وَلَا يُنِيرُ
تَرَمَّذَتِ النُّجُومُ بِهِ وَدَبَّتْ
عَقَارِبُهُ وَأَوْقَفَتْهُ مَصِيرُ
رَأَيْتَهُمْ كَمَا انْتَصَبَتْ أَفْئَاعُ
إِلَى لَدِغٍ أَوْ انْقَضَتْ شُرُورُ
وَمَرْتَفَعِينَ مَا ارْتَفَعَتْ أَيَّارُ
إِلَى بَيْعٍ أَوْ انخَفَضَتْ ظُهُورُ
وَقَدْ سَقَطُوا قُبَيْلَ سَقُوطِ أَرْضِ
وَإِنَّ الْأَرْضَ مَا زَالَتْ تَدُورُ
وَقَدْ تَتَغَيَّرُ الْأَشْيَاءُ إِلَّا
قَوَاعِدَهَا وَكَيْفَ غَدًا تَصِيرُ
وَيَنْتَجِعُونَ مِنْ شَتَى السَّوَاقِي
وَتَظْمَأُ فِي هَوَاجِرِهَا الصَّقُورُ

كَأَن بِنَهْرِهِمْ عَطَشًا قَدِيمًا
سَيَشْرِبُهُمْ وَفِي دِمَاهِم سَعِير
رَأَيْتُهُمْ بِشِطَّانٍ وَلَكِنْ
يَكَادُ يَجْفُ مِنْ عَطَشٍ ضَمِير
فَلَا (سُعْدَى) يُصَانُ لَهَا عَفَافُ
وَلَا تَحْمِي صَوَاحِبَهَا الْقُصُور
رَأَيْتُ تَنَاقُضَ النَّزَعَاتِ فِيهِمْ
إِذَا اخْتَبَرُوا.. وَمَنْ أَيْنَ الْخَبِير؟
رَأَيْتُ حَقَائِقَ الْأَشْيَاءِ تَطْفُو
كَمَا تَطْفُو عَلَى الْوَجْهِ الْبُثُور
رَأَيْتُ تَمَخُّضَ الْأَفْكَارِ لَكِنْ
بِلا فِكْرٍ وَإِحْسَاسًا يَثُور
لَعَمْرُكَ لَيْسَ مَا صَنَعْتَ أَيَّارِ
وَلَكِنْ مَثَلَمَا صَنَعَ الشُّعُور
تَرَكْتُ الرَّمْلَ وَهُوَ فَرَّاشٌ وَرِدِ
وَبِحَرًّا لَا تَضَاهِيهِ الْبُحُور
تَرَكْتُ سَوَاحِلًا يَنْمُو هَوَاهَا
كَمَا تَنْمُو عَلَى الشَّجَرِ الزُّهُور
تَرَكْتُهُمْ لِأَسْكَنْ فِي أَنْاسِ
كَأَنَّهُمُ الْكَهَوفُ أَوْ الْقُبُور
ظَوَاهِرَهُمْ تُنَاقِضُهَا الْخَفَايَا
وَأَكْبَرَهُمْ كَمَا انْتَفَخَ الصَّغِيرِ



وأعظُمُهُمُ بِحَيْثُ تَبَاعُ أَرْضُ
وتَهْرَبُ مِنْ مَنَابِتِهَا الْجَذُورُ
وَمَنْ قَدِمَ يُبَاعُ النَّاسُ حَتَّى
كَأَنَّهْمُ لَهَا السُّوقُ الْكَبِيرُ



وخفضه إنه المثقل

بِهذي الحروف وما تحملُ
وهذي الرسومُ وما تنقلُ
جحيمكمُ أيها الواقفونَ
كأنهم شجرٌ يذبلُ
فلا عجبٌ أنكم غاضبونَ
ومنه بأفواهكم حنظلُ
ومنه بأكبادهم كالغليلِ
ومنه بأجسامكم دُمْلُ
وقد أذهبَ الهمَّ عن قلبه
وخفضَ فهُ أنه المثقلُ
أيًا بشرًا صيغَ من ظُلمةٍ
كأنكم الزمنَ الأوَّلُ
ويا عالمًا لم يزلْ ماكثًا
ويسلكه آخرُ مُنقلِ
لأنتم سلالات من حرقوا
وأنتم بقفيات من بدلوا
وأنتم جميعُ عصورِ الظلامِ
سيحرقها الزمنُ المقبلُ
كأنكم عطشٌ ماكثُ
إذا رحلَ الجَدْبُ لا يرحلُ

نزيف في كوكب

يسيحُ دمُ العصفورِ في جوفِ عقربِ
وينزفُ نهدُ فوقَ نابٍ ومخلبِ
دعيني أسامرُ من شُجوني كواكبًا
كأني من أشجانها نَزفُ كوكبِ
ألا إنني أنحاءُ صدرٍ تشعبتُ
نواحيه في أنحاءِ دربِ مُشعبِ
فلا عجبٌ مني إذا صرتُ جُذوةً
تلهبُ أو مارسَتْ عنفَ التلهبِ
بكيَتْ على الأشجارِ لما رأيتها
تعاني همومَ البائسِ المتعذبِ
كساها ذبيحُ الطيرِ ريشًا فبدلتُ
ملامحها من نثره المتخضبِ
ونحنتُ مع الأنهارِ لما توقفتُ
عن السيرِ أو ضاعتُ ببيداءِ سبَسبِ
لقد بدّلوا ما بدّلوا من جلودِكم
كلوح سفينِ عالقاتٍ بطحلبِ
عروقُهُمُ مثلُ الصّلالِ تفرّعتُ
بأجسامهم ذاتِ السدمِ المتقلبِ



هواياتهم دفنُ النجومِ وحشرُها
بمنعزلٍ أو يخبطون بِغَيْهَبِ
هواياتهم أن يسرقوا الأرضَ كُلَّها
وأن يحذفوا الإنسانَ في كلِّ مذهبِ



العطش وأنهار الملح

فَرِحُوا أَنْ صَيَّرُوهُ عَطِشًا
لَمْ يَجِدْ مَاءً وَعَلُّوا السُّحْبَا
هُوَ ذَا يَنْزِفُ فِي خَلْوَتِهِ
مِثْلَمَا يَنْزِفُ صِلَّ عَطْبَا
وَاسْتَجِدَّتْ أَحْرَفٌ لَاهِبَهَا
بِعَدَمَا كَانَتْ هَشِيمًا حَطْبَا
وَيَلَكُّكُمْ مِنْهُ إِذَا مَا احْتَرَكْتُ
سَاكِنَاتٌ فِيهِ فَخَضَتْ حُجْبَا
وَاسْتَدَارَتْ نَحْوَكُمْ أَضْلَعُهُ
مِثْقَلَاتٍ وَاجِدَاتٍ سَبَبَا
قَصَبٌ أَنْتُمْ يِلَاقِي ضَرْمًا
وَرِيَاءًا.. مَا أَدَلَّ الْقَصْبَا
إِنْ يَكُنْ أَفْرَاحَكُمْ أَنْتُمْ
تَشْرِبُونَ الْمَاءَ صَفْوًا عَزْبَا
وَلَكُمْ أَكْوَسُكُمْ فِي لَيْلِكُمْ
شَهْبٌ رَاحَ تَحْتُ الشُّهْبَا
وَالجِسْمُ الْأَجْنَبِيَّاتُ الَّتِي
حَرَفْتَكُمْ فَأَنْقَابْتُمْ أَدْوَبَا



فَلَقَدْ عَاقَرَهَا قَبْلَ الْكُفْرِ
وَرَأَى فِيهَا وَفِيكُمْ عَجَبًا
نَهَيْتُوَا جِنْسَهُمْ قَبْلَ الْكُفْرِ
وَأَحَالُوكُمْ لِنَارٍ لَهَا



دم على السفوح

بـك القـديـمُ يـلـوـحُ
صـلـيـبـهـ والمـسـيـحُ
وفـي روابـيـك أفـقُ
لـه مـداهُ الفـسـيـح
لئن تـهـاوت حـطامًا
نـوافـذُ وسـطـوح
وبألـ الـلـوردَ فـيـها
دُمٌ وضجَّت سفوح
وأتعـب النـجـمَ لـيـلُ
بـه تـخـيـءُ الجـروح
فـالأرـضُ تـخـلـعُ عـنـها
ثـيـابـها وتـزـيح
وهـل تـبـقـى شـمـوـخُ
وهـل تـبـقـى طـمـوح
وهـل تـبـقـى مـكـانُ
يـعـيـشـهـ مـسـتـريـح

قد كان ما كان

لم يبقَ إلا البقايا
منها وإلا الحَكَايا
قد كان ما كان.. وردُّ
وحانئةً وتَكَايا
وشاعرٌ يتلظى
عشقًا بإحدى الصُّبايا
عيونُها من شروقِ
وجسْمُها من مَرايا
سَقَتْ هَواهُ لحونًا
وأنبتت فيه نَايا

بيروت الشقراء المتلهبة

لأنّ ما بَرِحَتْ شقراءٌ لا عجا
«بيروتُ» تحترِفُ النيرانَ واللّهبا
كانت مهياًةً الوقتين مشرقةً
شقراءٌ نعصرُ من إشراقها الذهبا
كانت دهاليزَ عشاقٍ وأروقةً
تُومي لختبِطٍ يبغى له سببا
كانت مرابضَ بحارٍ إذا قذفتُ
به الرياحُ رأها ساحلاً عجا
كانت وكان الهوى فيها فائقاً
صدرٌ أناخ له ظهرًا لمن ركبا
صدرٌ إذا عانق العشاقَ خدشهُ
ظُفرٌ وطشّرَ نهديه لمن شربا
«بيروتُ» أنتِ «حذامانا» التي نهبوا
حُليَّها وأباحوها لمن نهبها
من قال عن شقرةٍ فيها: لقد ذهبَتْ
ولم تنزلْ لهبًا بل لم تنزلْ غضبا
قد لَقَّحَ الخدرَ الموروثَ في دمهم
وأشعلَ النارَ في ظلمائهم وخبا

أَكَادُ أَقْرَأُ فَيْكَ النَّارِ سِيدَتِي

وَاسْتَشْفَى بِهَا الْآتِي وَمَا احْتَجَبَا:

«بَيْرُوتُ» إِنَّ نُجَاهَهُمْ لَيْسَ يَكْشِفُهُ

نُورٌ وَلَا سُلْمٌ لِلْأَفْقِ قَدْ ذَهَبَا

سَوَى لَهَيْبِكَ يَا نَارًا مَقْدَسَةً

شَقْرَاءَ تَصْنَعُ مِنْ أَعْضَائِهَا حَطْبَا

لبنان الملوّح

قالتْ هَجْرُنَا التَّيْنَ والزيتونا
والزَّخْرَاتِ بِلَابِلًا وُغْصُونَا
والدَّالِيَّاتِ النَّاشِرَاتِ ظِلَالَهَا
والحَاضِنَاتِ السُّورَدَ وَالْحَسُونَا
كَانَتْ رَوَابِينَا تَضَجُّ خَمَائِلًا
مَأْنُوسَةً وَمَشَاتِلًا وَعَيُونَا
هَبَطَتْ بِهَا كُلُّ الطَّيُورِ وَحَلَّقَتْ
فِيهَا قُلُوبُ الْعَاشِقِينَ سَنِينَا
لِبْنَانُ قَيْسُ أَخْرُفِي شَرْقِنَا
تَرَكَ الْهَوَى وَالْعَشْقُ فِيهِ جَنُونَا
فَكَأَنَّهُ كَفَّ تَغْوِصُ بِهَا أَظْمَا
فَرُّهَا وَجَرْحُ يَزْرَعِ السَّكِينَا
جِبَلٌ حَزِينٌ إِنْ أَفْطَحَ صُورَةَ
جِبَلٌ تَرَاهُ مَهْدُمًا وَحَزِينَا
كُسِيَتْ بِهِ الْأَشْجَارُ رِيَشَ طَيُورِهِ
فَتَكَادُ تَسْمَعُ لِلصَّخُورِ أَنْيْنَا
قَالَتْ وَلَوْ سَكَنْتُ قَرَأْتُ بِوَجْهِهَا
صُورًا قَرَأْتُ وَرَاءَهَا الْمَكْنُونَا



كانت هوىً يبكي وما أقسى الهوى
لَمَّا يَكُونُ مَشْرَدًا مطعونا
شاهدتُ «بيروتًا» تنوحُ بجسمِها
وسمعتُ في أهاتها «حمدونا»
مدنُ بامرأةٍ تنوحُ وعالمُ
سكن الملامحَ فاستحالَ شجوننا



ذكري عشيات التلال

متى نلقاك يا عنب الدوالي
ونسْتَذري بهاتيك الظلالِ
ظلالٌ مثلما انسجمتُ جسومُ
تردّت بالحرييرِ وباللآلي
لئن كانت مهابطٌ للنّدامى
فقد كانت مجالاً للجمال
متى ألقاك سيدتي.. كأني
لقيتُك أو كذلك قد بدا لي
فما زالت رسومك مائلاتٍ
وما زالت غصون البرتقال
تكاد تُحيل هاجرتي ظلالاً
وتدحوظامئاتي بالزّلال
كأن الأمس يدحوني طيوراً
تُغرّد بي ويفسح من مجالي
كأن جبالك الخضراء كانت
تُعلمني الوثوب إلى الأعالي
فيا عنب التلال وما توارى
بها بل يا عشيات التلال
ويا زمن الهوى في بيت سلمى
كهودج عاشقٍ بل كالهلال



كأن الربوّة الخضراء حُضِنُ
تَحْضِنُهُ بِخُضْرَاءِ الْغَلَالِ
كأن صخورَهُ نَهَبٌ قَدِيمٌ
وقد نحتتُهُ عَاطِفَةُ اللَّيَالِيْسِ
وقد يُصْغِي لَهْمِسِ الصَّخْرِ حَسُّ
فَيَفْهَمُهُ.. وَيُسْمَعُ فِي الْخِيَالِ





الديوان السابع

حذاء الهودج (*)

(*) نشر الديوان للمرة الأولى عام ١٩٨٢م، وأعيد نشره ضمن ديوان الشاعر محمد الفايز
١٩٨٦م: ص ٤٣١ ص ٤٧٨.





ضجيج الأعكان

تَضجُّ بها الحليُّ كما تَضجُّ
ويجمَعُها انسجامٌ وهي مَرْجُ
يُرَنِّحُها الصِّبَا ويشبُّ فيها
هواها فهي في الحالين وهجُ
إذا احتركتُ تحرُّكَ ضوءٍ عقدٍ
له في صدرها موجٌ وموجُ
وتُفصِحُ عن هواها مقلتاها
إذا التَّبَسَّتْ وأعكانُ تَرْجُ
بها دفقٌ كما انهارت شطوطُ
له مَرْجُ إذا التَّفَتَّتْ وغنجُ
وإن هدأتُ فقد هدأتُ طيورُ
وأغفتُ كَرَمَةً وامتدَّ مَرْجُ
وما هدأتُ ولكن أثقلتُها
دواعي شوقها لما تَوَجُّ
ولما أقبلتُ سبقتُ خطاها
ملامحها تعجُّ بما تعجُّ
وعطرٌ من «فرنسا» عَرَبِيَّتُهُ
له من حولها دفقٌ وهزجُ

الصراع المختفي

أحسُّ بأن شيئاً سوف يأتي
رهيباً لا تطيقُ له دفاعاً
سيخبطُ فيك من شتى النواحي
ويُسقط من أحابيلِ قناعاً
ستنفُضُكَ الشواطئُ عن قريبٍ
كما نفضت صحارها الضُّباعاً
وكانت مثلاً تدري رمالاً
أبت إلا الرياح لها شِراعاً
كأنني ماسكٌ يوماً رهيباً
تكون خلاله نهباً مشاعاً
لئن صيَّرت أعوامي رحيلاً
بمجهولٍ وأيامي ضياعاً
فَعن أمرٍ تمدُّ لك الليالي
مَسافَتِهَا ونحياها صراعاً
تُحرِّضُ كلَّ مسرودٍ علينا
وتفتعلُ العداوة والنِّزاعاً
وتستعوي الذئب على سماءٍ
تُعاليك انتساباً وارتفاعاً
وكيف تريد من كفِّ دفاعاً؛
تَشُلُّ بها الاصابِعَ والذُّراعاً



وماذا ترتجي ممن تدانى
وماذا تبتغي ممن تداعى
وأصعبُ ما وجدنا أن تماشي
مُخالفك النَّوازِع والطُّبعا
وقد حاربت في زمنٍ قديمٍ
ونازلت الأفعاي والسُّبعا
خَسِئَت فلن تجفَّ عروقُ أثلٍ
ولا جَبَلٌ بِحَرِّ الشمسِ مَعا



الزيتون والحنظل

عندي من العلم الذي تجهلُ
أكثر هذا الناس لا يعقلُ
أجسامهم من بشرٍ إنما
أكثرهم من شجرٍ يذبلُ
وربما يحملُ أضدادهُ
من راحٍ في أعبائه يحملُ
إن كانت الأرض لكم طينةً
فإنها الزيتونُ والحنظلُ
ثيابها أوسعُ من جلدها
وظلُّها ينقلُ ما ينقلُ
يا عرشها المصنوعُ من هودجٍ
مازلت في مجهولةٍ ترحلُ
ينموبها السِّدرُ على حيّةٍ
وريحها الصِّرصرُ والشَّمألُ
ما رَوَّضَتْ أمطارها رملها
ولم يزلْ ضائعُها يسألُ
وأنزلت من قبلُ أفكارنا
وهكذا نصعدُ مذننزلُ

عودة النجمة

يمارسُ فيك أسبابَ الذهولِ
ويعجبُ من لقاءِ مستحيلِ
فكيف أتيتِ؟ لا سببُ قريبُ
إليكِ ولا إليه من سبيلِ
وكان اليأسُ أقربُ من لقاءِ
تلبَّثتُ في مدى أمدٍ طويلِ
يحدِّقُ في عيونكِ ليس يدري
هما عيناكِ أم زخْمُ الهديلِ
ويلمسُ ما تراءى منكِ لمسًا
بطيئًا في مدى شوقٍ عجولِ
إذا وقفتُ أصابعُه تمشِّي
بعينيكِ الهوى مشيَ الكسولِ
يُحرِّكُ كلَّ ساكنةٍ توارى
بها ما قد تراكم من ميولِ
وللصورِ المضيئةِ فيكِ دفقُ
تفيضُ به الرسومُ على الغليلِ
كأنكِ نجمةٌ رحلتُ وجاءت
كما تأتي النجومُ معَ الأصيلِ

النقيض المتجمّع

كُلُّ شَيْءٍ أَتَوْقَعُ
وابْعَثِ الْأَفْعَى لِتَسْعَى
ثُمَّ حَرِضْ كُلَّ رَخْوٍ
فيه منك الجانب المم
وبه منك انحراف الر
وبه منك التي ضا
وبه منك انهيارُ
واقف أنت ومن حو
ها هُمُ جَاءُوا حديدًا
وأحالهوه كأعضا
كُلُّ شَيْءٍ لَهُمْ أَنْقَا
فكان الأرض والناس
فكان الأرض والناس
لهم فيه امتدادا
وضلوعُ كضلوع النَّ
وهمُ فيكَ ولا تد
منك جاءوا وهمُ في
وتطبعَت كما الضَّفَّ

منك فاصنعَ حيث تصنعُ
حيث تسعى وهَيَّ تلسع
أنت فيه تتسكّع
نوع والفكر المضضع
رَأْيٍ والركن المزعزع
عت وقالت سوف ترجع
في وقوف يتقنّع
لِكَ كَوْنٌ يَتوسّع
لِقَنُوهِ كيف يركع
ء التي استرخت وأطوع
دَ كما انقباد المولّع
سُ وهذا الكون المولّع
وهذا الكوت أجمع
تُ وَعَيْنٌ تَتَطلّع
نَاسٍ لكن ليس تخشع
ري ولا خلتك تسمع
كُ وما هم منك أفضع
دع بالوحل تطبّع



وبهمَّ تُعْطِي الَّذِي تَع
فَكَأَنَّ النَّاسَ بِالنَّا
وَكأَنَّ الْعَالَمَ الْآ
طِي كَمَا شئْتِ وَتَمْنَع
سِ جَسُورٌ تَتَلَفَّع
تِي نَقِيضٌ يَتَجَمَّع



الدود

ثوبٌ تَهْرَأُ مِنْ أَعْلَاهُ مَقْدُودُ
تَبْقَى تُرْتَقُ فِيهِ وَهُوَ مَسْرُودُ
لَقَدْ تَكشَّفْتُ فِيكَ الْأَمْرَ وَانْحَسَرْتُ
كَثَافَةً فِيكَ وَانْهَارَتْ جَلَامِيدُ
لَقَدْ أَتَوُكَ فَبَعْضُ مَنْ تَزَجُّ بِهِ
مَجَاهِلُ الْأَرْضِ فِي عَيْنِيهِ تَهْدِيدُ
وَآخِرُ مَنْكَ يَا جِذْرًا يَقُومُ لَهُ
سَاقَانِ يَسْطُو عَلَيْهِ مِنْهُمَا الدودُ

النهر المنحرف

تَحَرَّفَ فِيكَ النَّهْرُ لَمَّا تَحَرَّفَتْ
عَيُونُ لَهُ أَمَسَتْ سَمُومًا وَعَلَقَمَا
رَأَيْتُكَ لَمْ تَفْقَهُ كَلَامًا نَقُولُهُ
وَلَا يَسْتَطِيعُ الصَّمْتُ مَنْ كَانَ مُفْجِمًا
وَأَسْرَفْتُمْ فِي ظَلَمِنَا فَكَأَنَّمَا
تَرُونُ لِرِزَامًا ظَلَمْنَا وَمُحْتَمًّا
أَلَمْ تَرْنِي جَاوِزْتُ حَدِّي كَأَنَّنِي
تَعُودْتُ رَغْمَ الرَّدْعِ أَنْ أَتَقَمَّمَا

صحوة الرمل

أغلقوا دونك الدُّرُوبَ وسدُّوا
كلَّ بابٍ وفِيكَ يمتدُّ بُعْدُ
يا كنوزَ الرمالِ بلِ يا سحابًا
يسكنُ الأرضَ يا مدى لا يُحدُّ
أمطرتَ أرضُكَ القديمةَ نارًا
وعجيبٌ أن يطفئَ الوُقُودَ وقُدُّ
وعجيبٌ تجاوزُ الحجرُ السابِ
كنُ معناهُ مثلُ من يستجدُّ
خلعت شكلاًها القديمَ صحارَ
اك القُدَامى وبَدَّلَ اللونَ جلدُ
إنها صحوةُ الرمالِ وفي الآ
فإقِ صحولِ عالمٍ يستعدُّ
لقُحَّتْها عظامٌ من دُفِنُوا فيهِ
ها فعادوا كما تدفَّقَ حُلدُ
فعلَى كلِّ رِبوةٍ فيكَ صدرُ
وعلى كلِّ صخرةٍ فيكَ نهدُ
بينما تهجرُ الطيورُ بساتِيهِ
نأَ وماءً ويُنكرُ الغصنَ وردُ

عصور العشق

سَلُوها هل تُعاني ما نُعاني
هَوَى يَنْهَى العَذُولَ إِذا نَهاني
وهل نَسَيْتُ لِيالي الصيفَ لَمَّا
دَعَاها وَجُدُها أو قد دعاني
يُمَاشِيها الهوى من حيثُ سارتُ
وَإِنْ خالفتُها يوماً عصاني
وقالت بعدما نُشِرتُ عليها
ضفائرُ كالحريير الأرجواني
أحَقًّا سوف تَلقانا «بمصر»
بهذا الصيفِ قلتُ بكلِّ أن
سنقرأ فيكَ من كتبِ التَّصابي
هناك وننتقي صورَ المعاني
هناك بحيثُ تنخفُضُ الشواطِي
رقيقاتٍ وتُرفَعُ المباني
بقايا من عصور العشق لَمَّا
تَزلُ نحنُ عليها عاشِقان
لئن رسموا هواهم فوق صخرٍ
فإنني قد رسمتُك في الزمان

الريح والدفوف

قمرُ الهوى مازالَ في أجوائِهِ
يختالُ بين بهائِها وبهائِهِ
فُتِحتْ نوافذُهُ لنا وتَلالأتْ
فكأنَّها تَنسأبُ من لآلئِهِ
مثلُ الإِطارِ تحفُّهُ ويحفُّها
بجمالها ويشببها بضيائِهِ
ندنو ويعلو ليته يدنونا
كيف الوصولُ إلى علوِّ سماءِهِ
تتجسَّدُ الآياتُ في إشراقِهِ
والحُسنُ كلُّ الحُسنِ ملءُ دماءِهِ
وعجبتُ من ثوبِ عليه تماسكتُ
أجزاؤُهُ لو كان من أجزاءهِ
يُبدي جِراكَ هواهُ حتى خلتُهُ
عضوًا ولكن ليس من أعضائِهِ
يا أيها القمرُ الذي تسمو به
شُرُفاتُ بيتِ مسرفِ بينائِهِ
لم يكفهِ سورٌ كأن حجارَهُ
أصدافُ قرشٍ جاثمٍ بطلائِهِ



فَتَشَابَكَتْ أَشْجَارُهُ وَكَأَنَّهَا
أَشْبَاحُ جِنِّ هَائِجٍ بِفَضَائِهِ
وَإِذَا الرِّيحُ تَنَاوَحَتْ بِغُصُونِهَا
خَلَّتِ الدَّفُوفَ تَرْنُ فِي أَرْجَائِهِ



الجدور

لَكَ الْأَمْرُ لَا أَمْرٌ لَدَيَّ وَلَا عَذْرُ
وَلَسْتُ الَّذِي مِنْ عِنْدِهِ يَخْرُجُ الْأَمْرُ
مَقِيمٌ عَلَى أَحْوَالِكَ الْغَبِيرِ لَا أَرَى
مَقَالًا لَسْمَعٍ أَوْ يَدًا خَلْفَهَا ظَهْرُ
وَهَا هُمْ أَتَوْا مِنْ كُلِّ صَوْبٍ كَانَهُمْ
قَطِيعُ ذُنَابٍ فِي مَلَامِحِهَا غَدْرُ
تَفَرَّيْ عَلَى أَظْفَارِهِمْ نَهْدُ خَوْلَةٍ
وَمَاتَ قَتِيلًا فِي حَبَائِلِهِمْ عَمْرُو
وَقَدْ دَخَلُوا (الْجَوْلَانَ) وَهُوَ مُحَصَّنٌ
وَضَجَّتْ عَذَابًا وَالْتَوَتْ مِنْهُمْ (مِصْرُ)
وَهَا أَنْتَ لَا السِّيفِ الَّذِي كَانَ مُسَلِّطًا
عَلَيْهِمْ سِوَى أَلْوَانِ رَايَاتِكُمْ حَمْرُ
وَكَانَتْ تَمِيلُ الْأَرْضُ تَحْتَ اخْتِدَامِكُمْ
وَهَا أَنْتُمْ كَالصَّفْرِ أَوْ دَهْرِنَا صَفْرُ
تَضَاءَلْ حَتَّى لَمْ يَعْذُ فِيهِ وَاضِحٌ
وَأُغْلِقَ حَتَّى لَا بَقَاءَ وَلَا فَرُّ
وَصَارَ سِوَاءَ مَنْ تَمَطَّأَهُ لَاهِبٌ
مَنْ الشَّمْسِ فِيهِ مِنْ مَلَامِحِهَا سِرُّ

يكاد سموُّ الصيفِ يسكنُ جلدَهُ
ويهربُ منه وجهُهُ الغاضِبُ المرُّ
تَرَقَّى مَناراتِ الحِجَازِ وَخَدَّشَتْ
نقوشًا على الجدرانِ أَظْفارُهُ السُّمَرُ
وَفَرَّ حَمَامٌ عن رِواشِنَ مَكَّةِ
وجفَّتْ على الزيتونِ أوراقُهُ الخضرُ
ومنحرفًا لا عن يقينٍ وإنما
تفرُّ طيورُ الحقلِ أو يمكرُ النَّسرُ
ومنهزمًا لا وجهُهُ وجهَ ثائرٍ
فيخشى ولا نفعٌ لديه ولا ضرُّ
يميلُ مع الأيامِ حيثَ ترهلتُ
زخارفُها واهتزَّتْ من رِقَّةِ صدرِ
أَلانَتْ ليوناتُ الارائكِ جِسمَهُ
وزحزحَهُ عنه وعن أرضِهِ العِصرُ
إذا الفِكرُ لم يأخذُ طريقًا لحلمه
فأجملُ منه الصبرُ لو أمكن الصبرُ
تضيءُ الامورُ المشكلاتِ بساحه
عيانا كما ينشقُّ أو يسقطُ القِشرُ
لئن سحَقوا وردَ الحقولِ فإنه
سيثأرُ عطرُ رِيبا بثأرِ العطرِ
لئن أدخلوا ما أدخلوا من حديدِهِمْ
ففيه لكم رملٌ وفيه لكم صخرُ



وعشْبُ فِلاَةٍ رُوِّضَتْ جِوَعِ نَاقَةٍ
وريشُ صَقُورٍ لا يَزَالُ لَهَا وَكُر
وقد قال لِي طَيْرُ العَصُورِ بِأَنكُم
عَرُوقٌ لَكُم فِي كَلِّ يابِسَةٍ جَذر
لئن فَرَشَ الاثْلُ الظلالَ بِقِفْرَةٍ
فَأنتُم على هَامَاتِ سالكها سِتر



رفوف القرنفل

ولمَّا تلاقَتْ أعْيُنٌ وتعلَّقَتْ
أيَادٍ تبتُّ الوجودَ في كلِّ مفصلِ
تراءى الهوى في وجهها وتسألَتْ
مكامنُ صدرٍ في شفاهِ وأنمُل
وفاح لها عطرٌ كأن جيوِبَها
مشاتلُ وردٍ أو رفوفُ قرنفل
وكان بها صحوُ التي قد توقعْت
مخاوفَ تثنِي سكرةَ المتعزَّل
تقول غداً في كلِّ يومٍ وشوقها
تَكاملُ منذ الأَمسِ لم يتبدَّل
تَلبَّثَ فيها مثلما قد تلبَّثَتْ
سواقٍ يُناغي شوقها شوقَ جدول
وقالت إذا جالسْتُنَا أو لاحتنا
فلا تُكثِرِ التَّحديقَ كالمبتل
وقالت إذا استعصى علينا لقائنا
وإن كنتَ ذا شوقٍ فلا تتعجَّل

رسوم المرمر

تتلقّت الألوانُ فيكِ جميعُها
فكأن شوقك في جميعك ينظرُ
وأكادُ أسمعُ ما تقولُ أصابعُ
ونقوشُها وكأن شغرك يشعر
ما باله لا يستقرُّ كأنه
يهفو وهل يهفو الحريرُ الأشقر
لغةُ الهوى صورٌ وأجمالُها التي
ما تستجيشُ بها العيونُ وتزخر
يتجاوزُ الإحساسُ فيكِ حدودهُ
ويضيءُ فيكِ الفكرُ حين أفكرُ
عينانِ زرقاوانِ شبَّهما الهوى
وفمٌ كما التهبَ العقيقُ الأحمر
وملامحٌ بملامحٍ مخبوءةُ
فكأنها من روعةٍ تتكررُ
تُبدي زهولاً وهَيَ واعيةُ الهوى
ويذيبُها إحساسُها المتفجرُ
حُشيتُ مفارشُها بنكهةِ جسمِها
وعجبتُ كيف يفوحُ مسكاً مرمر

عن بلغاريا

كرهتُ انقيادي نحوها وتبليدي
وحالاً على حالين غاوي ومقتدي
نُماشي الهوى في كلِّ دربٍ ولم يزلْ
يزجُّ بنا لو يهتدي حين نهتدي
إليكِ سلكنا الريحَ حتى حَسِبْتُها
نُماشي همومَ الهائم المتفقد
ولمَّا هبطناها سمعتُ بلايلاً
تغنِّي وماءً دَفْقُهُ كالغردِّ
له زخمٌ في كلِّ صدرٍ تفتتحتُ
مغاليقُهُ عن عالمٍ مُتجدد
أحسُّ مخاضاً آخرًا وملامحاً
من الأمس في يومٍ له صورةُ الغد
وصمتًا إذا استنطقتُهُ نَطَقَتْ لَهُ
طموحاتُ إنسانٍ عريقِ التَّمرد
كأن وميضَ الكَرزِ تحت ظلاله
عيونُ طيورٍ في شبابيك مَعْبَد
كأن مقاهي ذلك السفحِ في الضحى
ملاعبُ جنِّ في خيالٍ مُجَسَّد
وضوحُ بأشياءٍ تخاطبُ حُسناً
فَنفهمُها في لطفِها المتوقِّد

رَفِيفٌ

إذا مالتُ يميلُ بها شعاعُ
كداليةٍ يرنحُها التَّسِيمُ
دحتُ أنحاءَهَا النَّشَوَاتُ حتى
كانَ عروقَهَا عطشٌ قديم
إذا انصرفَ الهوى عنها استقادتُ
نوازعَهُ وَسَمَّـرَهُ وَجُوم
يضجُ بها الغموضُ إذا استدارتُ
عيونٌ حولها أبدأً تحوم
إذا جلستُ يُجالِسُها حريزُ
له عَبَقٌ إذا قامتُ يقوم
تغيَّبُ فتتركُ الرؤيا وضوحًا
وتأتني مثلما اكتملتُ رسوم
مُربَّبةً بأريافِ الدَّوالي
لهم طربٌ إذا نضجتُ كروم
كانَ دماءها تطفو عليها
ويدحو جسمها اللهبُ العظيم

ياسمين

ما تولّى به الهوى مُذْ تولّى
رونقُ من شبابيهِ واضمحلا
يعتق الكرم كي يكونَ نبيذًا
كان حلواً فصار أحلى وأحلى
يهرمُ الجسمُ عندما تهرمُ الرو
حُ ويُمسي الشبابُ همًّا وثقلاً
مثلَ حقلٍ يجيشُ بالشجرِ الظا
ميّ حتى استحال قشّاً ونملا
ولقد تُزهر الرمالُ وتبني
فوقها الوردُ ياسميناً وفُلا
ما تولّى به الهوى فتعالى
تَجِدِي الأربعينَ أكثرَ ميلا
للهمى والجمالِ والغزلِ الرّا
سيمِ فوق الوجوهِ للحبِّ ظلا
إنه يرفضُ الحياةَ بلا حبِّ
بِ ولا أكوسٍ بها يتسلى
ونديمٍ إذا دعاهُ يلبي
بصنوفِ المدامِ طعمًا وشكلا



وحبيبٍ كأنما ألبسْتُهُ
روعة الحبِّ رونقًا فتجأى
إنه يرفض الحياةً بلا حبِّ
سبِّ ومآزال رافضًا مستقلا
يتحدى رعونة الحجرِ الشا
مخِ والليل والجفافِ المملا
إنه لا يزالُ يستبقُ الوق
تَ لوعدِ العيون سودًا وشهلا



عيون

موانئُ في عينيكِ ترسو مراكبي
عليها وأفقُ زاخرٌ بالكواكبِ
إذا أوماتُ أهدابُها وتماوجتُ
سواحلُ مرجانٍ فسيحِ الجوانبِ
ولاحت طيورُ العشق فوق ضفافِها
لها رفرفاتٌ في رموشٍ وحاجبِ
هنالك يبدو آخرُ الشوطِ بعدما
ترأى الهوى في لاهتٍ منكِ واثبِ
وثغر له حالأته حين تغتلي
لألى صدرٍ أو حريزٍ نوائبِ
تناسقَ فيها الحسنُ وانسجمتْ به
وفأضَ عليها مثلَ فيضِ المواهبِ
تضيءُ العيونُ السودُ رغمَ سوادِها
إذا زخرتْ بالخافياتِ اللّواهبِ

الحليب والخلخال

وتفتعلُ الكأبَةَ وهَيَ نشوى
لها في كل ساكنةٍ وثوبُ
كأن بوجهها وجهًا خفيًا
توارى خالفه شوقٌ رهيب
تُحاصرُها العيونُ إذا استدارتُ
فَتهدأُ مثلما انكمش اللهب
سوى وجهٍ يضيءُ الوجدُ فيه
على حركاته وقف القطوب
وثوبٌ تهتفُ الأزارُ فيه
شفيفٌ مثلما انسكب الغروب
وخلخالٌ يغوصُ بخوءٍ ساقٍ
له دَفْقٌ كما يرغو الحليب
ويسمعُ في تنقلها كلامًا
غريبًا خالفه عطشٌ غريب
ولمَّ لم تجد سببًا إليه
أشارتُ أن موعدنا قريب
تترجمُ شوقها الأشياءَ حتى
تكاد تنوبُ عنها لوتنوب

سيناء والنيل

هم العطشُ البريُّ والحنظلُ المرُّ
فما فيهمُ زيدٌ ولا فيهمُ عمرو
قد اختلفوا حتى كأن دماءهم
يُناكرها عرقٌ ويرفضها ظهرُ
لقد كبرتُ أشياؤهم فتضاءلت
حجومٌ دحاها الحقدُ والقتلُ والشُّرُّ
فما عطشت سيناءٌ من بُخلِ نيلِها
ولكنها رملٌ وأكثرُها صخرُ
لئن نهبوا (الجولان) بالأمس فالهوى
يُقاربُ مصرًا.. ربما عَشِقتُ مصرَ
لئن شحبتُ أنحاؤها فهي لم تنزلُ
تمارسُ فكرًا، ربما يتعبُ الفكرُ
أحسُّ حراگًا تحت ماءٍ وقبأها
تَنبَّأتِ (الزرقاء) أن زحفَ السُّدرِ
إذا غضبتُ أرضٌ عليهم فزحزحتُ
مواقعهم فيها فقد يغضبُ البحرُ

النقوش

بُلِينَا بَمَنْ لَا وَجْهَهُ فِيهِ وَاضِحٌ
وَلَا فِيهِ أَبْعَادٌ وَلَا هُوَ يَشْعُرُ
هُوَ الضَّحْلُ لَوْلَا ثَوْبُهُ وَانْتِمَاؤُهُ
وَلَوْلَا نَقُوشُ خَلْفِهَا يَتَسَتَّرُ
تَظَلُّ إِذَا اسْتَنْطَقْتُهُ وَهُوَ صَامِتٌ
يُلَفِّقُ مِنْ حَالَاتِهِ وَهِيَ تُخْبِرُ
خَلِيطٌ أَنْاسٍ يِقْتَفِي خَطَوَاتِهِمْ
إِذَا عَثَرُوا أَلْفَيْتَهُ يَتَعَثَّرُ
وَقَدْ أَغْلَقُوا أَبْوَابَهُمْ فَتَسَاقَطَتْ
سُقُوفٌ عَلَى هَامَاتِهِمْ تَتْبَعَثَرُ
وَصَارَتْ فَتُوحَاتُ الَّذِينَ تَقَدَّمُوا
مَكَاسِبَ لِلْقَوْمِ الْأَلْيِ قَدْ تَأَخَّرُوا
وَصَارَ الْجَوَادُ الْفَحْلُ صِنْعَةً رَائِضٍ
فَلِإِنْ لَمْ يُرَوِّضْ صَعْبُهُ فَهُوَ مُنْكَرٌ

سقوط النسر

أمارسُ فيكَ الصَّبْرَ لو يَنْفَعُ الصَّبْرُ
وَأَتَّبِعُ سَهْلَ الأَمْرِ لو يَسْهَلُ الأَمْرُ
لَعَمْرُكَ إنَّ الدَّاخلِينَ تَدَاحَلُوا
بِمَنْ خَرَجُوا وَالشَّرُّ وَجْهَتُهُ الشَّرُّ
لَقَدْ خَرَجُوا حَتَّى كَأَنَّ قُلُوبَهُمْ
قُلُوبُ سِوَاهُمْ أَوْ تَقَمَّصُهُمْ كَفَرُ
وَلَوْ كُنْتُ أُدْرِي أَنَّ رَأْيَكَ صَائِبٌ
سَكَتُ وَلَكِنْ لَا صَوَابٌ وَلَا فِكْرُ
وَأُخْشَى وَقُوعَ النَّسْرِ فِي شَرِّكَ حَابِلٍ
وَأَفْظَعُ شَيْءٍ حَابِلٌ صَيْدُهُ النَّسْرُ
أَلَمْ تَرَ أَنَّ الأَرْضَ أَلْقَتْ ثِيَابَهَا
فَلَمْ يَبْقَ فِيهَا بَعْدَمَا انْقَلَبَتْ سِرُّ
مِوَاتِنُ أَفْكَارٍ تَجُوبُ كَأَنَّهَا
إِذَا ارْتَفَعَتْ وَكُورٌ وَإِنْ هَبَطَتْ قَبْرُ
(أرى كلُّنا يبغى الحياة لنفسه)
وَقَدْ تَخَدَّشُ العَيْنِينَ أَنْمُلُهَا العِشْرُ

لقاء في مصر

أَكَانَ لَزَامًا أَنْ تَعِيشَ مَعَذِبَا
تُفَارِقُ «سَلْمَى» أَوْ تَوَدِّعُ «زَيْنَبَا»
أَفِي كُلِّ يَوْمٍ أَنْتَ فِي شَوْقِ هَائِمٍ
تُهَابِطُ قَاعًا أَوْ تَعَانِقُ كَوَكْبَا
كَأَنَّكَ مِنْ شَكْلِ غَرِيبٍ أَعَارَهُ
شَحُوبٌ غَرُوبٍ لَوْنُهُ فَتَشْحَبَا
تَرَكْتَ وَرَاءَ الرَّمْلِ شَوْقَكَ زَاخِفًا
وَخَلَّفْتَ خَلْفَ الْبَحْرِ قَلْبَكَ مُتَعَبَا
سَلَامٌ عَلَى تِلْكَ الْعَيُونِ وَنَظْرَةُ
يَكَادُ بِالْإِشْرَاقِ أَنْ يَتَلَهَّبَا
تَوَلَّيْتُ فَوَلَّى خَلْفَهَا الْوَجْدُ صَاخِبًا
وَمَا زَالَ فِيهَا الْوَجْدُ وَالشَّوْقُ أَصْحَبَا
وَتَخَفَّقُ فِي أَضْلَاعِهِ خَافِقَاتِهَا
وَيَسْمَعُ فِيهَا صَوْتَهَا الْمُتَحَجِّبَا
لَقَدَدَ كَانَ فِي أَثْوَابِهَا بَعْضُ حَمْرَةٍ
وَكَانَ لَهَا عَقْدٌ وَكَانَ مُذْهَبَا
وَكَانَ لَهَا عُنُقٌ طَوِيلٌ وَخَاتَمٌ
وَكَانَ لَهَا مَا كَانَ أَحْلَى وَأَعْذَبَا



أَعَادَتْ لَهُ أَنْهَارُهُ وَكُرُومُهُ
وَكَانَ كَطَيْرِ الرَّمْلِ رَيْشًا وَمِخْلَبًا
وَقَالَتْ لَهُ: فِي «مِصْرَ» نَلْقَاكَ صَائِفًا
فَنَقَالَ عَسَى نَلْقَى الْهَوَى غَرَبًا



ضياء الحرير

- ١ -

ماذا يقول الوميضُ يا قمرُ
والأسودانِ العيونُ والشُّعرُ
والأبيضانِ اللذانِ ومضهما
كأنه من حرائرِ شرر
ماذا يقول الغرامُ في دمها
كأنما السمعُ في الهوى نَظر
تَلبَّد الوجودُ في ملامحها
وفي فنون الحراكِ ينتشر
في مشيها وانسكابِ جلستها
كأنه في جميعها صور
ينطلق الغمزُ من جوانبها
وتستقي من سكونها الفكر

- ٢ -

نَحُوا كؤوسكمُ عنه فقد ثَملا
منها رؤى وعيونًا تنزف الشعلا

- ٣٨٩ -



يكادُ يتركُّها الإشعاعُ زنبقَةً
لولا الثيابُ التي في عطرِها اغتسلا
يمتدُّ بالنهرِ بُعدُ عن منابعِه
إذا تماذى بها دفاقُها وعلا



البوابات

مَررنا على السور القديم كأنه
بقيّة نقشٍ في بقيّة معضدٍ
تولّى وأبقى هيبةً في حجاره
وأبوابه ذات الطريق المعبد
وكانت لها أقفالها فتفتحت
على روعةٍ في شكلها المتجدد
كأن الهوى فيها تجاوز حده
فصارت بها الأحجار لوحات معبد
تداخلها شوقٌ فبدل شكلها
وزحزحها عن موقف المتردد
ألا من رأى بحارةً قذفت بهم
رياح على أطراف جرفٍ مُعربد؟
كأن الرياح الهوج عاشقة لهم
تلاحقهم كالواله المتفقد
إذا أفلتوا منها على البحر حومت
وضجت على بحرٍ من الرمل مُزبد
كأن بقايا سورهم وقلاعهم
نجوم على أضوائها الفكر يهتدي
هي الأرض ما زالت صراعاً ولم تنزل
مواسمها للفتاك المتجرّد

الليل وخصون الدر

على أبوابهم وقف الغرام
وقام الحُسنُ حيث هُم أقاموا
لهم شرفاتُ أبنيةٍ تعالتُ
كأن مفارقَ الحجرِ ابتسام
إذا فُتحتْ فقد فُتحتْ صدورُ
وإيماءً إذا خيفَ الكلام
تحفُّ بهم ظلالُ وارفاتُ
يكاد بهنَّ يخضرُّ الرخام
كأن غصونَ ذاك السِّدرِ لَمَّا
تفرَّش مثلما ارتفعتْ خيام
وقد فاض الضياءُ عليه ليلاً
فأنقَه كما اغتسلَ الحَمَام
أيادٍ قد تمطَّى العشقُ فيها
ورفرفَ في أصابعِها السلام

الرجوع إلى الكهف

على قَدْرِ الهوى كانت خُطَاكََا
فَأَعْجَلَهَا.. فما أقسى هواكا
رجعت لكهفها من حيث يأوي
إليه الطيرُ لكن ما أواكا
وَحَلَّفتَ التي توهبه حبًّا
عظيمًا ليس توهبُه سِواكا
كأن دماءها عطشٌ ترؤى
ورؤى جسمها وسقى دماكا
إذا انكشفتُ تكشَّف عن هواها
شعورٌ لا تطيقُ له امتساكا
عيونٌ مثلما انفتحتُ سماءً
كأن رموشها حملتُ ملاكا
برائعةٍ التدفُّقِ وهي نشوى
بصمتٍ كدت تحسبه حراكا
وقالت حين أعجله رحيلُ
وكان يَـوَدُّ لو يبقَى هناك
ألا استرجعت رأيك؟ ليس سهلاً
رحيلُك وفوق قال لها كذاكا

قراءات في الغيب

أقلُّ مِنَ اللَّاشِيءِ أَنْتَ وَأصْغَرُ
حِوَاكَ حَرِيرٌ أَمْ تَمَطُّكَ جَوْهَرُ
لَقَدْ سَحَبُوا مِنْ تَحْتِكَ الْأَرْضَ بَعْدَمَا
دَحَوْكَ سَمُومًا .. أَنْتَ سَمٌّ مُصَوَّرُ
وَجَاؤُوكُمْ مِنْ حَيْثُ لَمْ تَشْعُرُوا بِهِمْ
وَمَا خِلْتَكُمْ مِمَّنْ يَحْسُ وَيَشْعُرُ
كَأَنَّهُمْ احْتَلُّوا عَرُوقَ جَدُودِكُمْ
فَجَاؤُوا لَنَا مِنْكُمْ فَعَاثُوا وَدَمَّروا
يُعَادُ لِنَهْجِ الدَّرْبِ فِكْرٌ مُحَرَّفُ
فَكَيْفَ رَجُوعُ الدَّمِ حِينَ يَزُورُ
فَلَيْسَ دَمًا هَذَا الَّذِي فِيكَ إِنَّمَا
صَنُوفُ دِمَاءٍ فِي صَمِيمِكَ تَزْخُرُ
أَخَالَ بِكَ الْأَعْضَاءَ تَرْفُضُ بَعْضُهَا
كَأَنَّكَ صَفْرٌ أَوْ ضِيَاغٌ مَكْرُرُ
وَكَانُوا أَنَاسًا فِي كَهُوفٍ تَهْدَمَتْ
فَكَيْفَ كَهُوفٌ فِي أَنَاسٍ تُفْسِرُ
كَأَنِّي أَجَسُّ الْغَيْبِ وَهُوَ مُحَجَّبُ
وَأَلْحَ كِنَهَ الْأَمْرِ وَهُوَ مُسْتَرُ
إِذَا انْدَثَرَتْ بَعْضُ الدِمَاءِ فَإِنَّكُمْ
بِقَايَا دِمَاءٍ خِلْتُمْهَا سَوْفَ تُدَثَّرُ

طراوة أجسامٍ لكم قد تَلَقَّحْتُ
بأخرى وُصِّلْتُ قُوسْتُ فيه أظهر
فما فيك من عدنانٍ شيءٍ ورهطه
ولا فيك من كسرى ولا فيك قيصر
وما أنتم إلا بقايا سلاله
تمارسُ قتلاً أو تخونُ وتغدر
تفشت بهذا الشرق فهو عواصم
مهدمة أو ناحيات تُدمر
بأظفاركم أثارُ كلِّ جريمةٍ
قديمةٍ عهدٍ أو حديثاً تُدبّر
عجبتُ لهذا الرملِ كيف تدفقت
ينابيعُه وهو الـلهيبُ المسعّر
وتحلو مياه البحرِ والبحرُ مالح
كأن سماء الله في الملح تمطر
بحيثُ تجفُّ الأرضُ تحت جداولٍ
وتنشفُ فيها ساقياتُ وأنهر
كأن سلالاتٍ إليك تخالطتُ
بذراتها.. بنس الخليط المعفّر
تعوق نماء الأرض في كلِّ موسمٍ
وتسري بما النبع فهو مُعكّر
كأن دماً في الأرض ثار عليكم
فَزَجَّتْ بكم والأرضُ كالنَّاسِ تثار



وها أنتمُّ نهبٌ كما نهبتُ لكم
أراضٍ بها الأشجارُ وردٌ وعنبر
وكنتمُّ وما زلتُم عليها غشاوةً
فزالتُ وزلتُم مثلما انهارَ «خيبر»
يعادُ زمانُ أمسٍ فيكم وتنتهي
ملامحُ أيامٍ بادت تتغيّر
تمعنُ قليلاً هل ترى منكم سوى
وضوحِ انحرافٍ أو دم يتنكر؟





الديوان الثامن

خلاخيل الفيروز^(*)

(*) نشر الديوان للمرة الأولى عام ١٩٨٤م، وأعيد نشره ضمن ديوان الشاعر محمد الفايز
١٩٨٦م: ص ٤٧٩ ص ٥٤٠.





من خلاخيل الفيروز

لم يزلُ شوقُها القديم عنيفا
وهو ما زال هائماً ملهوفاً
كيف لا يلتقي الهوى بهواهُ
ولقد جاء واضحاً مكشوفاً
رجعت روعة الليالي القدامى
في شفاه تكاد تمسي نزيفاً
وعيون تكاد تُبرق عشقاً
رفاً في جسمها الرقيق رفيفاً
نهبت كرمه وعادت رناناً
أترعت بالهوى وشفت شفيفاً

☆☆☆☆

من شأبها تكبت ما تكبت
فينطق الوجد ولا يسكت
في صُورٍ مضمونها أعيُن
كأنها ترسم أو تَنحت
وقد تعرّى شكلها واكتسى
كأنها من بعضها تفلت
عادتها التلميح في شعرها
يا شعرها الثرثار هل تَضمت

☆☆☆☆

عيناك لي في غُربتي وطنُ
وهواك يسكنني ولي سكنُ
وأكادُ حين أراك تُشعلني النُّ
نَظراتُ رنقِ صحوها الوسن
وحديثُ صمتك حين يهتفُ لي
ويقولُ لي فجوارحي أذن
ولنا حوارٌ في ملامحنا
وبصمتنا، وسكوننا اعلن
ما دمت لي فالنجمُ أشرعتي
والأرض كلُّ الأرض لي سفن
كُتبُ الهوى في مقلتيك وفي
حركاتِ جسمك يهدأ الزمن
وكانَ عطرِك من عذوبته
من سوسنٍ لكنه بدن
بدنٌ تجاوز كونه جسداً
من فتنه فجميعه فتن

☆☆☆☆

مُتَّقِدٌ وجُدُّها ومتَّحِلٌ
كأنه في جميعها غزلٌ
في صمتها الهامس الذي حملت
أعماقه الوجنتان والمقل
في مشيها الناعس الوئيد إذا
تَنَقَّلَ العطرُ حيث تنتقل

في شَعْرها الوامضِ الكثيفِ وفي

سُدولهِ السَّميحِ حينِ ينسدل

كأنه في شفاهِها قبسٌ

تطايرتُ من شعاعِهِ القُبَل

كأنها والحنينُ يُعجَلُها

مذهولةٌ أو أضاءها الخجل

يُبدلُ الوجدُ من ملامحها

كأنما في صميمِها بدل

يخرجُ من عمقِها إذا اختدمتُ

فتسقطُ الحاجزاتُ والسُدل

☆☆☆☆

سكنَ الهوى بسكونها وتَجسَّمُ

بحراكها فَتَضَرَّمَتْ وتَضَرَّمَا

وتلفتتُ فانسابَ في لفتاتها

متلفَّتُ فتكأمتُ وتكأمتُ

تتجسَّدُ الأعماقُ فوق ظواهرِ

فيها فتخسبها وجوداً مُبهما

تبدو سكوناً صامتاً ووراؤه

عشقٌ نَهى الأعماقُ أن تتكئتا

تهتزُّ قبيلَ لقائِها فكأنما

أمستُ مِنَ الاشراقِ جِسمًا مُلِهما

☆☆☆☆

هي ذي تدقُّ البابَ دقًّا
وتبثُّ في الألواحِ دفقا
يهتزُّ تحت سكونها
ما يجعلُ السَّكناتِ نُطقا
يا حلوها جسداً دحاً
هُ العشقُ إشراقاً ورزقا
تنحازُ للنظر الخفيِّ
سي فاستشف بها لأدقا
وتصيرُ تدفقاً أو تحي
ل ثيابها دفقا وخفقا
تتجاوزُ الإحساسَ رو
عتها فيرقى وهي ترقى
ويُصيّبُهُ مثلُ الدَّهو
ل إذا بَدَتْ ويفيضُ عشقا

☆☆☆☆

يا طعمها المصنوع من
جسدٍ ذي ضيٍّ ويعزفُ
قالوا غصونُ الببانِ قل
تُ بجسمها تتعطفُ
وكأنها عُجنت بما
ءِ السوردِ بل هي أطف
وكأنها بسكونها
وحرَّاكها تتطرفُ
يتهدلُ الياقوتُ فو
قي والعقيقُ المترف

وبستاناً على جُرفٍ تَرامى
على أنحاءِ أرضٍ من فُراتِ
وناعوراً تواری بين نخلِ
وأشجارِ شهياتِ النَّباتِ
وما أدنى هديل من كلامِ
وما أدنى رسوم من لغاتِ
تكاد طيورُها في الليل تشدو
إذا سمعت أغاني السَّاقياتِ
وسمَّاراً كأنهم بدورُ
تَساقى في مجالسِ عامراتِ
حديثُهم مواويلٌ وشِعْرُ
كأن صدورهم صُحفُ الرِّوَاةِ
وزادهمُ شرائحُ من حُبّارى
وغزلانٍ على أيدي الطَّهاةِ
إذا سكنوا مكاناً أنقُوهُ
وصار محطَ أنظارِ الرُّعاةِ
لهم علمٌ بأشجارِ الصَّحاري
وموسمها وأعشابِ الفلاةِ

☆☆☆☆

وكنتُ إذا حاولتُ منها التفاتةً
تحايلتُ أو كلَّمتُ جارتها عمدا
أحرَّفُ من طبعي نزولاً لطبعها
وأقتادها بالهزلِ إن حاولتُ جدًّا



ولولا الهوى ما خَفَضَتْ من علوِّها
 فجاءت لنا طوعاً وما أنجزت وعدا
 ولولاه ما حنَّت ضلوعُ لذكرِها
 ولا رفرفت شوقاً ولا أثقلت وجدا
 وتهداً لكنَّ الهوى في حراكه
 يجولُ بها وقداً ويملأها وقدا
 يقوم مقامَ الهمسِ عند سكوتِها
 ويُصيحُ رداً عندما لم تجد رداً
 له صورٌ في وجهها فكأنما
 نوازعها في وجهها حُشِدَتْ حَشداً
 وتَفَسَّحُ من إشراقها فكأنني
 أهيمُ بها روحاً وأُسْكِنها جلدا
 فيا حبِّذا تلك الإشاراتُ عندما
 تداعبُ شَعراً أو تهزُّ لها عقدا
 إذا مَشَّطَتْ شَعراً لها انتشرتْ له
 روائحُ وردٍ، ربما مَشَّطَتْ وردا
 ☆☆☆☆
 يضيءُ بها الإشراقُ من حيثُ تنظرُ
 ويبدو جلياً شوقهُ المتنكرُ
 إذا جلستُ قام الهوى في عيونها
 ويخطرُ في أعطافها حين تخطر
 حراكُ لها ينزو فتنزو دوافعُ
 وتدفُقُ ألوانٌ وينسابُ سُكَّرُ



بها زخْمٌ لا تستطيعُ اعتراضَهُ
تَجيشُ بها أقطارها حين يزخر
عليها ظلالٌ من شعاعاتِ قاعها
كما شَعَّ فوق النهرِ قاعُ مُنَوَّر
إذا سكنتُ صارتُ إطارًا لفتنةٍ
يلوحُ عليها السَّاكنُ المتفجِّر
وأحلى حديثٍ في الهوى صمتُ السنِّ
لِتنطقَ أحداقُ ووجههُ مُعَبَّر
بحيثُ العيونُ السودُ بُدِّلَ لونُها
ورفرفَ هذبٌ أو ترنَّحَ مِحْجَر
وفاضتُ أواني الوردِ حين تناثرتُ
ضفائرها وأنهارَ شمعُ ومَرمر

☆☆☆☆

أمسٍ دخلتُ حدائقَ الوردِ
ونشقتُ كلَّ توابلِ الهندِ
ودخلتُ كلَّ الأرضِ في جسدِ
وعجبتُ كيف دخلتُها وحدي
كانت مهياةً لأشكُنَها
وكأني بجنائنِ الخلدِ
وسمعتُ دفقَ الماءِ في شجرِ
أخشابُهُ بمقاعدِ مُلد
أمسٍ سمعتُ الطيرَ يعزفُ لي
ويقولُ لي وأقولُ ما عندي

هي ذي تجيء كأنها خرجت
من لؤلؤ أو جوهر فرد
هي ذي تجيء كأنها أتت
لتزيد من لهبي ومن وقدي
هي ذي تجيء وكادت أنكرها
لولا بوارق ذلك القد
وشعاع ضحكها إذا اقتربت
وكمن تقول: أتيت في الوعد
ونقوش ثوب خلتها خرجت
منها كنصف السيف في الغمد
ومواسم التفاح والعنب الرز
ريان والأزهار والقند
جاءت إذن.. وكأنني معها
قبل اللقاء وكنت ذا وجد
أخفي بوادره وأحسبني
أنني إذا أخفيته أؤدي
ماذا أقول لزرقه شهقت
بعيونها؟ لأبؤد من رد
وكأنها سمعت توغها
ودبيبها المنساب في جلدي

☆☆☆☆

قد كان في بيتها توت ورمان
ودالياً وتفاخ وريحان

ونافذاتُ كأن الطيرَ يعشقُها
ففي شبابيكها بيضٌ وأوكان
وكانَ في بيتها ركنٌ مفارشُهُ
صخرٌ قديمٌ وأعشابٌ وأغصان
كأنه والضحى النسوانُ يملاءُ
وللظلالِ مسافاتٌ وألوان
وللعصافيرِ أسرابٌ يؤلفُها
مأوى وينشرُها شكلٌ وألحان
زخارفٌ من رسوماتٍ وأخيلةٍ
يعيشها اثنانِ إحساسٌ ووجدان
به دنانٌ نبيذٍ من تقادِمِها
كأنها في حواشي الركنِ أوثنان
وكان في قلبها عشقٌ يجولُ بها
كأنما كلُّ عضوٍ منه نشوان
بيضاء تسكبُ أعضاءُ منسَّقَةً
يكاد يشرُّبُها في الوهمِ عطشان

☆☆☆☆

أشرقَ الوجدُ في الخدودِ الرِّقاقِ
والعيونِ الشهيةِ الإِشراقِ
أشرقَ الوجدُ في الخدودِ وغنى
غزلٌ يستحثُّنا للتلاقِ
أشرقَ الوجدُ في الخدودِ وللأغـ
ضاءِ سَكْبٌ كالجدولِ الرِّقراقِ



يا غصون التفاح حرّكك الوجْ
 دُفمالتُ غصونُه للعِناق
 يا غصون التفاح أثقلك الشو
 قُ ففاض التَّفاحُ حلوَ المذاق
 إنَّه موسمُ الحصارِ وللعشُ
 ريّن شوقُ يا موسمَ الأشواق
 صدرُها بيدرُ.. وأعينها نا
 رُ وفي شَعْرِها انسيابُ السَّواقِ
 وهي شقراءُ في مضامينها الشع
 رُ وفيها طلاقَةُ الآفاق
 من بناتِ القصور والنَّعم الكس
 لى ومن قمّةِ الجمالِ الرّاقِ

☆☆☆☆

تطايّر من أسافلِها بريقُ
 وفاض على ضفائرها شروقُ
 فلم يدرِ الهوى من حيثُ تبدو
 أيَعقلُ أم يَطيشُ به الفسوق
 إذا استقصى ملامحَها تراءتُ
 ملامحُ غيرِها ودمٌ عريق
 لها ألوانُ امرأةٍ ولكن
 تقمّمها لهيبٌ أو حريق
 تداخلها نُعاسٌ وهي صحوُ
 ورثَها شعورٌ لا يفيق



يُشَابَهُ شَعْرَهَا ثَوْبًا عَلَيْهَا
حَرِيرِيًّا تُطَرِّزُهُ الشَّقِيقُ
يُنَافِرُ بَعْضُهُ بَعْضًا إِذَا مَا
تَوَافَقَتِ الْمَلَامِحُ وَالْعُرُوقُ
لَهُ فَتَحَاتُّهُ وَلِهُ شِذَاؤُهُ
كَذَاكَ لَهُ تَدْفُقُهُ الرَّقِيقُ
إِذَا انْسَرَحَتْ ضِفَائِرُهَا عَلَيْهِ
تَدْفُقُ مِنْ أَعَالِيهَا الْعَقِيقُ
كَأَنَّ النَّيْلَ فِي دِمِهَا يَغْتَنِي
وَتَحْتَ سَكُونِهَا عَطَشٌ عَمِيقُ
ظِلَالُ النَّقَا هَلْ أَتْلَفْتُكَ الْمَتَالِفُ
وَهَلْ خَطَفَ الْجُورِيُّ فِي الْجُرْفِ خَاطِفُ
وَهَلْ بَدَّلَتْ أَوْطَانَهَا جَذْوَةُ الْهُوَى
وَهَلْ نَامَ سُمَّارٌ بِهَا وَعَوَازِفُ
سَتْمَنَا رَحِيلاً لَا يَكُؤُوبُ وَرَبَمَا
يَسَافِرُ شَوْقٌ وَهُوَ حَيْرَانٌ وَاقِفُ
وَلَمْ أَدْرِ مَا مَعْنَى انْصِيَاعٍ لِأُرْعِنِ
عَسُوفٍ تَحَاشَتَهُ النُّفُوسُ اللَّطَائِفُ
وَلَمْ أَدْرِ مَا هَذَا الَّذِي لَا تَجْرُهُ
حِبَالٌ وَلَا يَقْتَادُهُ الْمُتَعَاطِفُ
يَكُونُ لَوْ أَنَّ الْجِلْدَ فِيهِ حِرَاشِفُ
لِيَبْطِشَ وَالْكَفَيْنُ مِنْهُ مَغَارِفُ
ظِلَالُ النَّقَا لَا تَعْجِبِي مِنْ وَجُودِهِمْ
بِكُلِّ مَكَانٍ وَاحْتَوَتْهُمْ مَتَاحِفُ

هي الأرضُ تمتدُّ انصياًعاً لرغوةٍ
يفيضُ بها بحرٌ ويمخضُ عاصف
مخاضُ التي ما أرضعتُ من حليبها
سوى خابِطٍ في ليلها وهو راشف
إذا أومأتُ شيطانُ نهرٍ تلبّدتُ
عليها تماسيحٌ ودبّبتُ زواحف
ظلالَ النُّقا ما كنتُ أدري بأنني
سألَقاكِ أو في ساعةٍ نتعارف
ولم أدِرْ أنَّ العطرَ مثلي مهاجرٌ
ولم أدِرْ أن الورْدَ مثلي مُجازف

☆☆☆☆

لا تلمُّهُ إنّه يختنقُ
كلُّ شيءٍ ولهُ مُنطَلَقُ
تمكثُ الاشياءُ في داخلِها
ولها مخرَجُها المتَّفَق
يربط الكونَ نظامٌ وكذا
في نفوس الملهمين النُّسق
ودواعيها التي تأتي كما
يتجلى في الغروبِ الشَّفَق
إنّه يسكنُ في فعلتهِ
مثلما يحملُ نجمًا أفق
ويُروِّي عطشًا من عطشٍ
ولهُ من حاجزاتٍ طُرُق

ومطلٌ فوقهم ترفعه

قممٌ أن حاولوها أخفقوا

لا تلمه إنه لمّا يزل

يسكنُ النارَ ولا يحترق

☆☆☆☆

لكي يكونَ الصِّبَا حلواً ومكتملاً

لابدٌ أن تفهمي يا حلوتي الغزلا

لابدٌ أن تفهمي معني تَلْفُتِنَا

وفي التَلْفُتِ تلوِيحٌ لمن غفلا

ماذا عليكِ إذا حامت مواسمنا

على ربيعكِ عشقاً لم يجدُ بدلا

أفدي رواقَ الهوى من حيثُ تسلكهُ

خلاخلُ الشَّدِّ وهَاجًا ومفتعلا

وحيثُ نقرأ ميعادًا على شفةٍ

وأعينٍ ترسمُ الاقمارَ والظُّلَا

وقد يقومُ حوارٌ بين صامتةٍ

وصامتٍ يتهجَّى الصمتَ والعِلا

أفدي استراحاتها من حيثُ تحضنها

أرائكُ الوردِ أفدي التَّغْرَ والمقلا

وقد تزحزح ثوبٌ عن مواضعه

بلا اكتراثٍ وفكَّتْ شعرها الثملا

وللغرامِ حديثٌ طالما نطقَتْ

به الخدودُ التي قد عبيتْ شعلا

تكاد تخرجُ من شتّى حواجزها
كأنها من خلايا تدفُق العسلا
يظلُّ سكونها غرلاً شهياً
يفيضُ على جوانبها شجياً
فلم أسمعُ بجسم صار صوتاً
كأنَّ بجسمها صوتاً خفياً
كأنَّ سكونها يُضفي عليها
ثياباً تُنتخى شيئاً فشيئاً
إذا التبسَ الهوى فيها أضاءت
حراكاً يرسمُ الشوقَ القصياً

☆☆☆☆

إن كان يعنيك إنني ليس يعنيني
وما انتميتُ لشيءٍ غيرَ تكويني
الأربعونَ التي مرّت على مضضٍ
لا استسيغُ لها شكلاً بخمسيني
فأخضتُها بهبوبٍ لا يطاوعني
إذا عمدتُ إلى شيءٍ من اللين
وكنتُ أحوجُّ من أثلٍ إلى مطرٍ
أصدُّ عنه واستسقي براكيني
وما عميتُ ولكن ربما انحرفتُ
هذي الطريق التي قد خلتُ تهديني
قرأتُ ومضتُ كتاباتٍ يجيء بها
أتِ قريبٌ كأنني شبه مسكون

كأئما الأرضُ نحو الأرضِ زاحفةً
أو أنها خرجتُ من كفِّ تِنِّين
شبعْتُ من لدغِ ثعبانٍ يُحاصرني
حتى انتميتُ لأخلاقِ الثعابين
والناسُ توغلُ في شتى نقائضِها
واستُهلكتُ حالةَ التَّرويضِ والهنون

☆☆☆☆

أرى خرزَ القِلادةِ صار شدوا
وفيروزَ المعاضدِ صار شجوا
إذا اختركتُ تدفَّقَ نهرٌ مسكٍ
وغنَّي لؤلؤٌ فيها وضوا
كأنَّ حليَّها انسكبتُ عليها
تُشابه جسمها عضواً فعضوا
صمُوتٌ والبَواعثُ ذاتُ صوتٍ
كأن غرامها في الصمِّتِ أقوى
تصيرُ عيونها صحفاً إذا ما
تلوَّى في رموشٍ ما تلوَّى
وما هذي العيونُ سوى ضلوعٍ
يفيضُ بها الهوى فتصيرُ نجوى
فَيا شوقَ العيونِ إذا تجلَّى
ويا وردَ الخدودِ إذا ترؤَّى



ويا أغصانَ بانٍ من عظامٍ
يميل بها الهوى فتميلُ نشوى

☆☆☆☆

رأها ضحووةً ورأى هواها
وبتت لها الهوى حتى شجاها
رأها ضحووةً فكان ليلا
يفاجئُها بها لما رأها
بسوداءِ الملامح قد تعرّى
بها شكلُ الهوى حتى نضاها
كان سوادها أمسى بياضاً
أطاح بكل لونٍ ما خلاها
تُزخرِفُها نجومٌ من عقودِ
تَشبُّبُ بها وتُؤبُّ ما كساها
تَقاصرَ عن أسافلها وشدّت
مواقِعُه وغَطَّاهُ صباها
تكاد تمورُ من عشقٍ إذا ما
أتته فاحتوتُه واحتواها

☆☆☆☆

وألقت على الأعشابِ ثوباً كأنه
من العُشبِ إلا أنه ليس يذبلُ
وزقزقُ عصفورٌ جريٌّ فتمتمت
ألا يستحي العصفورُ منا ويخجلُ





كأن بها رغوًا من القطن أو غفتُ
 مفاصلُها أو لم يعد ثمَّ مفصل
 لها زخمٌ في جسمها يستحُّها
 وتهدأ حتى خلتها تتبَّتل
 إذا اجتمعت تحت اللهيب تطامنَّت
 وتنتفضُ الالوانُ فيها فتزهِل
 رعى الله مقهى في الضَّفافِ كأنه
 مع الليل تأوي الشمسُ فيه وتنزل
 تفرَّش عند الجُرفِ كالحوت هيبهً
 وباطنه وردُّ وطيْرٌ ومخْمَل
 تكاد به الجدرانُ ترفلُ رِقَّةً
 ولم أرَ جدرانًا كهاتيكَ ترفل
 عجبتُ لهذا الكونِ كيف تناسقتُ
 نقائضه وامتدَّ وهو مُكَبَّل

☆☆☆☆

تَمَرُّ علينا ولا تسألُ
 وتَغفلُ عنَّا ولا نغفلُ
 يسايرك القلبُ حيث اتجهتَ
 وترحلُ والحبُّ لا يرحلُ
 أيا قمرَ الحُسنِ إننا نراك
 بعيدَ المنالِ لمن يأملُ



وننزلُ طوعاً لما تبتغي

وَأَنْتَ تَضِيءُ وَلَا تَنْزِلُ

نَعْدُ اللَّيَالِي وَأَيَّامَهَا

وَيَكْمُلُ شَهْرٌ كَمَا تَكْمَلُ

وَأَنْتَ خِيَالِ بِأَفَاقِهِ

يَجْسُدُهُ حَسَنُكَ الْمُرْسَلُ

عَجِبْتُ لَكُونِكَ مِنْ طِينَةٍ

تَشَعُّ فَتَشَعُلُ مَا تَشَعُلُ

كَأَنَّكَ وَرْدٌ وَلَكِنَّهُ

تَمَرُّ الشَّهْوَرُ وَلَا يَذْبَلُ

كَأَنَّ اخْتِلَافَاتِ أَشْكَالِنَا

لَهَا عَامِلٌ خَلْفَهَا يَعْمَلُ

☆☆☆☆

يُنَادِيهَا بِأَصْوَاتِ الْعَقِيقِ

«بِمَسْبَحَةٍ» لَهَا صَوْتُ الشَّهِيْقِ

بِهَا خَرَزٌ يَمِيلُ إِلَى احْمَرَارِ

وَأَخْرَفِيهِ مِنْ قَطْعِ الْبُرُوقِ

أَنْيَقُ مِثْلَ أَعْضَاءِ تَلَخَّطَتْ

هُوَى فِي ذَلِكَ الْجَسَدِ الْأَنْيَقِ

إِذَا عَزَفَتْ أَصَابِعُهُ عَلَيْهَا

تَجَاوَزَتْ الْوَقَارَ إِلَى الْفَسُوقِ



يتابعُها حراك هوى عيونٍ
 لها سودٍ تميل إلى الشروق
 كأنَّ خيوطها ربطت هواها
 ففيها من تغلغلها العميق
 فيا خرز العقيق لقد سمعنا
 صدك يرنُّ في جسد العقيق
 وقد تتقارب الاضدادُ حتى
 كأن الماء من بعض الحريق

☆☆☆☆

تراءت لنا كالوردِ لو يملكُ الوردُ
 عيونًا لها من روعةٍ صور تشدو
 تراءت لنا في مجلسٍ كلُّ من بهِ
 معاقرُ كأسٍ أو مشوقٌ له وعدُ
 مصابيحُ عرسٍ فوقه قد توقدت
 تُضيءُ خدودًا أو عيونًا لها وقدُ
 تشعُّ عقودُ في أكفِّ كأنها
 إذا صفقت يهتزُّ من نشوةٍ عقد
 تراءت لنا حتى إذا ما توضحت
 ولاخ لها ثغرٌ وشع لها خدُ
 عرفنا الهوى فيها ومن مارس الهوى
 خبير به.. والوجدُ يعرفه الوجد
 وما لبثت إلا قليلاً فأومات
 على حذرٍ والشوقُ في وجهها يبدو



وقامت وما كادت ولكن شوقها
يقوم بها.. تشتد من حيث يشتد
لها معضدٌ في ساعدٍ وقلادةٌ
يكاد حُبَابُ الدرِّ في سلكها يعدو
يظلُّ سكونُها همساً خفياً
تفيضُ خلاله عطشاً شهياً
ويبقى صوتُها الأقصى حراكاً
قصياً يرسم الشوقَ القصياً
تميلُ بها الصبابةُ فهي نشوى
وتسقيننا ملامحها الحمياً
إذا ارتسمَ الهوى فيها وفاضتْ
شطوط عيونها نوراً نقياً
وأفرغت الملامحُ ما توارى
بها وبدا الهوى فيها جلياً
تصير كرمةٍ فاضت عصيراً
وكانت قبلها لوناً وفيياً
وقالت سوف تلقانا مساءً
كما تلقى الهوى فينا فتياً
فهلاً قد وجدت لنا مكاناً
بعيداً عن عيونهم قصياً
أدير إذا رأيتك عنك وجهي
لأحجبَ عنك ما في مقلتي

☆☆☆☆

قالت: سألقاك في أقصى تلهفها
غداً.. وكلُّ مرامي أن يجيء غداً
في ثغرها يتمطى ثغرها وعلى
عيونها زخمُ الأعماق يرتعد
كأنها أخذت من طبع مائدةٍ
وكزومة.. فلها من روعةٍ عدد
كأنها وأنا والليلُ يشملنا
بلا مكانٍ مواعيدٌ ولا أحد
نجول تحت مصابيحٍ نُحاذرها
ونعتلي طرقاً أنحاؤها نكد
أشتاقها فإذا لاحت بوادرها
أبعدت من ولهي لو كان يبتعد
سمراءٌ لا تُبرزي ثغراً معطرةً
أنحاؤه ولساناً كاد يتقيد
إن كان ثغركِ ذا لون فقد حفلتُ
بكِ التلاوين من أشكالها جسد
مُسرحٌ مثلما شاءت ضفائره
مُجمّع كسلالِ الوردِ مُحتشد
يا غربةَ العطشِ النَّشوانِ ما برحتُ
أشواقنا موغلاتٍ والهوى مدد
كأنني داخلٌ في غرفةٍ سنحت
لي المقاعد فيها حيثُ أقتعد

☆☆☆☆



يَطْوُلُ التَّفَاتِي نَحْوَهَا وَتَوَقُّفِي
 وَأَكْثَرُ مِنْ شَوْقِي لَهَا وَتَلْهَفِي
 إِذَا هَدَأَتْ ضَجَّتْ مَلَامِحُ وَجْهَهَا
 ضَجِيحٌ خَطُوطٍ فِي تَلَاوِينِ زَخْرَفِ
 بِهَا عَطَشٌ لَا يِرْتَوِي وَلَطَالَمَا
 تَرَوَى الْهَوَى مِنْ سَكْبِهَا الْمَتَكْشَفِ
 تَجَاوَزَ فِيهَا الْحُسْنَ حَدًّا أَحَالَهَا
 خِلَاصَةَ بَحْرِ أَوْ قِنَاعَةَ مُسْرِفِ
 إِذَا انْطَلَقَتْ فِي شَوْقِهَا وَقَفَ الْهَوَى
 عَلَيْهَا وَقَوَّفَ الْهَائِمَ الْمُتَصَوِّفِ
 تُضَاعَفُ مِنْ إِشْرَاقِهَا خَبْرَةً لَهَا
 بَعْطَرٍ مَثِيرٍ أَوْ قَمِيصٍ مُفَوِّفِ
 ظَوَاهِرَهَا إِنْ سَيِّئَةً قَدْ تَثَقَّفَتْ
 وَبَاطِنُهَا وَحْشِيَّةٌ لَمْ تُثَقِّفِ
 تَهْزُ سَكُونَ الشَّوْقِ عِنْدَ اهْتِرَازِهَا
 وَتَوَقِّفَهُ فِي حَالَةِ الْمُتَطَرِّفِ

☆☆☆☆

دَوَاعِي الْهَوَى فِي مَقْلَتِيهَا لَهَا وَثْبُ
 وَفِي مَحْتَوَاهَا الشَّوْقُ أَوْ أَنَّهُ الْحُبُّ
 لَهَا حَرَكَاتٌ مِثْلُ إِيمَاءِ زَنْبِقِ
 وَفِيهَا سَكُونٌ مِثْلَمَا هَدَأَ اللَّعْبِ
 بِهَا مَرِحَ بَادٍ وَأَخْرَ مُخْتَفِ
 وَفِيهَا شِعَاعٌ لَا يَذُوبُ وَلَا يَخْبُو





تحاول كتمان الهوى واحتباسه
وينشرها من عمقها الغزل العذب
وللغزل الملعوز شبه تطلع
بأعطافها والماء في عودها عذب
إذا حدثت أو متت ببعض حديثها
كلاماً له مغزى تكشفت صعب
تمطى بها وقد الصبا فتوقدت
وغنى حريز في ذوائبها رطب
تدير كؤوساً من عيون كأنها
خلاصة جمر أو دخان هو الهدب
ورب عيون محتواها سماوة
ورب شفاه في مضامينها شرب
سلام عليها هل سيجمعنا درب
وهل تحتويها الكف إن رفرق القلب
لقد كان فيها ما يحب مدله
وقد كان فيها ما يتوق له الصب
سلام على ألوانها الزرق إنها
خلاصة لون البحر أو دفة السكب
تفتى على سيمائها الوجد مثلما
تنشرد أو تمطى بها لهب
سلام على ليل أضاء به الهوى
عيوناً على أهدابها أفق رحب
وأقسى الهوى أن ينتهي بإشارة
طواها زحام مثلما هفتت شهب





تولّى بها من ليس يفهم طعمها
وكيف يكون القربُ لو يسمع القرب

☆☆☆☆

وكانت إذا ما أبصرته توسّعت
عيونٌ وأومت بالبنانِ المذهبِ
وهبَّ لها عطرٌ اذا اقتربت، له
شهيقةٌ كهمسِ الواله المتقرب
وكانت إذا ما قال شعراً تنبّهت
لإلهبه في شعره المتلهّب
تُباعدُ من أنحائها وتضمّمها
إليها وترخي من جُمانِ مُطيّب
تمارسُ من حالاتٍ وجِدٍ تدرّبت
عليه فلم يفهمه غيرُ المدرّب
وغير الذي عانى الهوى أن للهوى
تجاربُ لا ينتاشها كالمجرب
لقد بلغتُ حدًّا من العشقِ أنها
تمارسهُ جهراً ولم تهيب

☆☆☆☆

ماذا يقول لعينيها إذا شهقتُ
وللشفاهِ التي قد عُبيئتُ ضرمًا
ماذا يقول لها والوجدُ يخنقها
وقد توغّل في أعطافها ونما
تحاول الصّمتَ ما اسطاعتُ وتُنطقُها
ملامحُ صرّن صوتًا ما وجدن فما

☆☆☆☆



لم يبقَ في تلك الغصون بلابلُ
لم يبقَ في تلك الضفافِ خمائلُ
ولربما وهبتك قبل جفافِها
وسقتك فيها أنهرٌ وجداول
يا دارَ ليلي في الضَّفافِ وغرفةُ
كسقيفةِ الريحانِ وهي «سناشل»
شحبَت بها أخشابُها فكأنها
بيضُ يواشكُ أو حَمَامِ راحل
كانت تضيء على الطريق ولم تكنُ
مأوى لنا بل للجمال منازل
أيامَ كنتَ تُحِبُّها ولو أنَّها
عرفتُك ما رفضتُك حين تُحاولُ
عرفتُ مسالكك التي لا تنتهي
أشواطُها ولكلِّ بحرٍ ساحل
أوأه يا زمنَ الهوى ولو أنه
زمنٌ يجفُّ وعالمٌ يتضاءل
أيامَ كانت جنةً مقفولةً
أبوابُها.. أو ليس منها طائل
لكنها ممَّن يعانيه الهوى
عينٌ بها عشقٌ وقلبٌ زاهل
تنقادُ للرغباتِ حين تقودُها
سهوًا ويمسكُها الجمالُ العاقل
لم أدِر كيف ذكرتها ولعلها
مثلي لها ذكرى وحسبُ فاشل

ولنا علومٌ في الهوى وأشْفَهَا
عشقٌ على اللاشيءِ وهُوَ مُوَأصل
ولقد عشقْنَا غيرَهَا لكنها
عشقٌ قديمٌ عهدُهُ وتكاسل
تعتاد منطرحًا على حالاته
يغلي وفيه مسافَةٌ ومَجَاهل
والعمرُ يسألُ آخرُ عن أوَّل
فيه وأيامُ الشبابِ قلائل
والأرضُ مازالتُ زخارفُ سندسٍ
تنمو وينمو شكلُهَا المتكامل
والأرضُ إنسانٌ يقيمُ وآخرُ
في كلِّ أونةٍ مقيمٌ راحل
وكأنه مما يعاني رغبةً
لا تنتهي وتقمصتُهُ زلازل
أسفي على الجناتِ وهي ذوابلُ
أسفي على الحاراتِ وهي ثواكل
أسفي على التَّفاحِ في أغصانه
مثلُ الخواصرِ أو دحتهُ حواصل
يتثاءبُ العصفورُ تحت ظلالِهَا
ويسيحُ فيها النحلُ وهو قوافل
وكوؤوسُ سُمَّارٍ كأنهم على
عطشٍ فتشربُ ليلاً وتغازل
أسفي على تلك التي أقنعتها
أبهى الحلبيِّ قلائدُ وخَلاخل

فَتَحَّتْ صِنَادِيقَ الْهَوَى فَأَسَاوِرُ
وَحِوَاتِمُ وَحِرَائِرُ وَمَكَا حِل
وَخَزَائِنُ لِلْعَشَقِ فِي حَرَكَاتِهَا
وَبِهَا جَمَالٌ حِينَ تَنْظُرُ هَائِل
لَمْ أَدْرِ عَنْهَا غَيْرَ أَنَّ حَقْوَلَهَا
جَفَّتْ وَسَاحَاتُ الْبَيْوتِ عَوَاطِل
وَتَهَدَّمَتْ تِلْكَ الْحَوَانِيتُ الَّتِي
كَانَتْ لَهَا عِبْرَ الطَّرِيقِ مِدَاخِل
وَكَأَنَّ هَذِي الْأَرْضُ رَغَمَ رِصَانَةٍ
وَحِصَانَةٍ تَهْتَرُ أَوْ هِيَ حَامِل
وَالْأَرْضُ كَالْأُنْثَى يَهْزُ مَخَاضُهَا
أَحْشَاءَهَا وَلَهَا مَخَاضٌ بَاطِل
وَلَقَدْ سَهَرْتُ اللَّيْلَ وَهُوَ عَوَاصِفُ
شَتَى عَلَيْهِ مِنَ الرَّمَالِ جِدَائِل
تَبْزِيحُ تَحْتَ ظِلَامِهِ فَكَأَنَّهَا
شَيْبٌ يَسِيحُ بِوَجْهِهِ وَدَمَامِل
بِمِدَائِنِ حَارَاتِهَا مَهْجُورَةٌ
وَبَيْوتُهَا بِالْمَوْنَسَاتِ أَوَاهِل
كَمْ ثَرْتَرَتْ تِلْكَ الْمِرَاشُ فَخَاطَبَتْ
وَمِنَ الْعَبِيرِ وَسَائِلُ وَرَسَائِل
كَانَتْ عَلَى عِلْمٍ بِنَا فَحَدِيثُنَا
صَمْتُ لَنَا فِيهِ حَوَارُ شَامِل
يَا ثَوْبَهَا الْمَزْرُوعُ فِي أَعْضَائِهَا
يَا رُوعَةً فِي رُوعَةٍ تَتَدَاخِل

وكأنها عينٌ وراء نقوشه
ترنو لنا أو فيه وهُمٌّ مائل
حاولتُ لُقيها هناك وربما
حالت على صفو فكيف حوائل

☆☆☆☆

لا تلمسي لهبي لا تقربي جممي
إن كنتِ عاجزةً أن تُطفئي ضرمي
إن كنتِ عاجزةً أن تُنعشي عطشي
أو كنتِ عاجزةً أن تُشبعي نهمي
في كلِّ يومٍ أرى الألوانَ زاهيةً
تحفُّ جسمك من رأسٍ إلى قدم
في كلِّ يومٍ أشمُّ العطرَ منسكباً
من لونك البضُّ أو من شعرك العتم
في كلِّ يومٍ أراني منك صاريةً
بلا شرعٍ وصقراً قاحل القمم
أنا سفينتُ عشاقٍ مهيئةً
على ضفافك لم تهدأ ولم تنم
هل تُقلعين معي؟ هل أنتِ قادرةٌ
على بحاري على تيارها العرم
على رياحي التي لآن ما برحتُ
تُسائل الليلَ والافئاقَ عن حُلُم
أفرُّ منك ولكني أعودُ كما
يعودُ للوكرِ طيرٌ أو دم لدم

لا استطيعُ مفرّاً منكِ يا قدرِي

ويا غرامي ويا حبيّي ويا صنمي

ويا قوافلَ ألوانٍ تُفاجئني

ويا ظهيرةَ عشقٍ يا ضحى نغم

يكادُ يلصقني الإحساسُ في صورِ

على زخارفِ شعرٍ أو رتوشِ فم

أعيشُها ملءَ حسي ملءَ ذاكرتي

وكنتُ أرفضُ إحساسي من السّام

☆☆☆☆

فَدَتِكَ اللياليِ الحمرُّ والخضرُّ والزرقُ

وللكأسِ أنهارٌ شحيحٌ بها الدفقُ

فَدَتَ ليلةٌ كانت خلاصةَ ليلةٍ

أعالجُ فيها الشوقَ لو يهدأ الشوقُ

تَشَفُّ خدودٌ عن وميضٍ وتغتلي

عيونٌ لها في عمقِها مُوغلٌ عمق

وشعَّتْ على أعضائها خافياتُها

كفجرٍ تعرّى أو كما انفتَحَ الأفقُ

تراختُ بها أردافُها فكأنها

حنايا حَمَامٍ راحَ يرعشهُ الرِّق

إذا ما انتشتُ صارت عصارَةَ نشوةٍ

وتصدّقُ في حالاتِها والهوى صدق

كأن هواها والكؤوسُ تَشَبُّهُ

ويأخذُ منها الهمسُ واللفظُ والرفق

تمطى بها في طولها ثم رفرفتُ
متونٌ لها همسٌ وصدرٌ له خفق
تراكمَ فيها بعضُها فوق بعضِها
وسرَّحَ من أنحائها شوقُها الطُّلق
يجولُ بها حتى إذا التَّمعتُ له
شعاعاتُها الأخرى تمادى به العشق

☆☆☆☆

كأنك لم تفهم شعوري وموقفي
وماذا بهذا الصِّمتِ والحزنِ يختفي
كأنك لم تقرأ كتاباتِ أعينِ
ولا لمسْت كفاك أضلاعَ مُدْنِفِ
أحاول كبحاً من جماحِ كأنه
جماحُ لجوجٍ واقفٍ عند مخلفِ
نسايرُ ما فينا من العشق لا نرى
مَفرّاً لنا منه ولم يتلطفِ
وقلتُ التَّمس عنها طريقاً ولم أجدُ
طريقاً وما لي حيلةُ المتزلِّقِ
ألم ترها لا تفهمُ القولَ عندما
نقول ولم تعطفُ على المتعطفِ
ونقرعُ أبواباً قُبيلَ دخولنا
إلى بيتها النشوانِ من كلِّ زخرفِ
وعطراً إذا اشتنشقتُ فكانني
ترشفتُ في نشقةِ المترشِّفِ

ويا ليتَ أشياءً حوتها رقيقةً
تُروّضُ ما في قلبها من تصلّف
تشدُّ شذوذاً عن تناسقِ حالةٍ
تعيش بها في حالة المتعجرف
إذا ما رأت فينا حنينَ كآبةٍ
تصدُّ بوجهٍ مُترفٍ ومشنّف
سلامٌ عليها ربما انتبهت لنا
ولكنها في نشوة المتعسّف
وليس الذي عانى الهوى عن طبيعةٍ
كذلك الذي عانى الهوى عن تكلفٍ

☆☆☆☆

يلومنا في العشق من جهلٍ
يا ليته يحمل ما نحملُ
وليتهُ عانى الحريقَ الذي
ترسمُه العيونُ والأناملُ
يا ليلة «المرقاب» إنَّ الهوى
ما زال في أوطانه ينزل
ما برح العشقُ هنا عامراً
ولم يزلْ عالمه الأولُ
هنا مكانُ البئرِ مُذْ أرسلتْ
دلائها، وثوبها المخملُ
هنا السطوحُ لم تزلْ كلُّها
نوافذُ تُفتَحُ أو تُقفلُ



تَطَوَّرَ العَشْقُ هُنَا وَابْتَنَى
 لَهُ بِيوتًا مِثْلَمَا نَفَعَلُ
 وَالحَبُّ كَالِإنْسَانِ يَأْوِي إِذَا
 شَاءَ وَقَدْ يَقِيمُ أَوْ يَرْحَلُ
 لَنْ تَقْفَلَ الدُنْيَا وَإِنْ حَاصَرُوا
 أَفَاقَهَا وَالنَّجْمُ لَا يَذْبَلُ
 يَا حَارَّةً فِي حَارَّةٍ أُدْرِجَتْ
 كَأَنَّهَا فِي حُأَلٍ تَرْفُلُ
 لَوْ يَعْقِلُ المَنْزِلُ مَا تَحْتَهُ
 لَكِنَّهُ هِيَهَاتَ لَا يَعْقِلُ

☆☆☆☆

تَحَاوَلُ أَنْ تَقُولَ وَلَا تَقُولُ
 سَوَى مَا يَرَسِمُ العَطَشُ الخَجُولُ
 يَفِيضُ عَلَى مَلَامِحِهَا فَتَدْنُو
 مِشَارِفُهَا وَيَتَّخِذُ السَّبِيلُ
 كَانَ بِجَسْمِهَا شَيْئًا مُشَعًّا
 وَإِلَّا فَهِيَ مِنْ قَبْسٍ بِدِيلُ
 يُؤْنِقُهَا الهَوَى وَتَظَلُّ نَشْوَى
 مُهَيَّأَةً كَمَا نَضَجَتْ حَقُولُ
 تَكَادُ تَزْغَرُدُ الحَرَكَاتُ فِيهَا
 وَيَحْشُوهَا إِذَا سَكَتَتْ هَدِيلُ
 لَيْسَ مِنْ عَادَةِ المحَبِّ الرَجْوُعُ
 عَنِ هَوَاهُ فَإِنَّهُ مَدْفُوعُ



فاغذريه إذا أتاك وأبدي
شوقه فاحتباس شوقٍ فظيغ
حجبوا مقلتيك عنه فشعت
برؤى مقلتيك منه الخُلع
خفَضَ الحبُّ صوتَهُ فهو همسٌ
وقنوطٌ وصبوَةٌ وولوع
وهو نشوان في مفاتنك الأخر
رى يريد الوصول لو يستطيع
فجرتُهُ ابتسامَةٌ منك شبَّت
في سخاءٍ كما تشبُّ الشموع
عندما كنتِ تجلسين بصمتٍ
وحرَّاكُ الهوى عليك سريع
فوق ما يستطيع قلبٌ غرامٍ
فوق ما يستطيع جسمٌ خشوع
مهَّدَ الوجدُ جانبيك وأبدتِ
اعينٌ صبوَةً لها اسبوعٌ
في يديه شذا يديك ومازا
لَ يجاريك دائماً ويطيع

☆☆☆☆

في صوتها هاجسٌ وفي فمها
زخارفٌ والجمالُ في دمها
كأنها والهيامُ يُقعدُها
مشدودةٌ في هوى تخزُّمها



كأنما شعُرُها به فرحٌ
 أو أنه من شعاع مَبْسَمِها
 منشورةً الجانِبينِ قائِمةً
 يا روعةَ الحُسنِ في مَقومِها
 تهترُ في زخيمِ قلائدِها
 تُلاصِقُ الصِّدرَ دونَ مَحزَمِها
 يسمعُ في صمِتِها غوامِضُها
 ويُلمسُ العمقُ في تكَلِّمِها
 كم خبَّطتُ في ثيابِها يدهُ
 وشَدَّتُ من خناقِ مَحزَمِها
 يسألُها وصالَها وتساءلُها
 ويسبقُ الوعدَ قبلَ مقدمِها
 مُولِئُها في بهاءِ طلعتِها
 معالقُها في ثمارِ موسمِها

☆☆☆☆

أزاحتُ عن محاسنِها القناعا
 فصارتُ بعدما التَّبستُ شُعا
 تخطى وجُدُها ما قد تراءى
 وصيَّرها انسكابًا وأنصِيا
 لقد حَمَلتُ سنينَ العشقِ فيها
 كما حملَ الهوى فيها الصُّراعا
 يفكُّ لفائفًا من ليلِ شعر
 ويدخلُ كهفَها قاعًا فقاعا





كأن الأمس صيَّرها نبيذاً
 تعتَّق في مفاصلِها وماعا
 فلم يدِرَ أيُنشِقُ نفحَ مسكٍ
 تَنَشَّرَ في جوانبِها وشاعا
 أم العطشُ القديمُ له نشورُ
 إذا احتدمتُ وقد مَدَّتْ ذراعاً
 كأن دمالجَ الفيروزِ فيه
 تشابهها شروقاً والتِّباعا
 وقد قالت وداعاً حين ولَّتْ
 على عجلٍ وما قالت وداعاً
 سوى شَعَلٍ تَزجُّ بها الخفايا
 بعينيها فتتسعُ اتساعاً

☆☆☆☆

سلامٌ على ألوانِها حين تشرقُ
 تكادُ على أعضائها البيضِ تنطقُ
 سلامٌ على صمتِ تراكمِ تحتهُ
 حديثٌ له عمقٌ لمن يتعمَّقُ
 سلامٌ عليها كلَّها حين أقبلتُ
 كنجمِ صيفٍ ضوؤها يترقرقُ
 يغني بها مسكٌ ويهتفُ فوقها
 قميصٌ له إطراقها حين تُطرقُ
 يلاصقُها حتى إذا اعترضتُ له
 أسافلُها الأولى احتواهُ التَّألقُ



كأن الحليّ الوامضاتِ بصدْرِها
وفي معصمِها مثلُها تتعشّق
فهنّ رقيقاتُ الملامحِ حلوةٌ
وهنّ رشيقاتُ وفيهنّ رونق
كأنّ العيونَ الزرقَ أحواضَ نشوةٍ
وأهدابها الشقراءَ طيرٌ محلّق
ولما ترامتُ فوقَ مقعدِها ارتمى
بأحضانِها عقدٌ وشعرٌ منمّق
له زخمٌ من حولِها فكأنه
مخاضاتُ عشقٍ فوقها تتدفّق

☆☆☆☆

كانت وإيَّاهُ كما انسَجَمَا
لوانٍ وأنسكبتُ به سَكَبَا
ويزيدُها حبًّا توهُجُه
ولهيَّبُه فتزيدُه حبًّا

☆☆☆☆

جاءت تهاديَ بالحريرِ الأسودِ
سمراءُ ترفلُ بالشَّذا والعسجدِ
صبغتُ عباةَها الحليّ وأمضتُ
من تحتها فكأنها لم ترتدِ
جاءت عبيزَ حرائرٍ وضمفائرٍ
وشعاعَ ألوانٍ ورنةَ مُعضدِ

ورسوم حناءٍ تضيء نقوشه
أطرافها بسواده المتلبّد
وقلادة كالعشّ زقزقَ تحتها
طيرانٌ شعّت في الأديم الأملد
جاءت وليل الشّرق في أحداقها
وشموسه في جسمها المتوقّد
كانت خلاصة عالمٍ قد جدّدت
أشكاله في شوقها المتجدّد
خرجت ملامحه بها فكأنها
رَجُعُ الصدى أو لفتة المتفكّد
كانت سطورًا من كتابٍ لم تنل
صفحاته، أو جُذوةً لم تخمد
كانت كخيمة عاشقٍ منصوبة
تحت الرياحِ وصورةً من معبد

المحتوى

المجلد الأول

- ٣ تصدير، أ . عبدالعزيز سعود البابطين
- ٧ مقدمة، د . عبدالله أحمد المهنا

الديوان الأول

النور من الداخل

- ١٣ مذكرات بحار: المذكرة الأولى
- ١٧ المذكرة الثانية
- ٢١ المذكرة الثالثة
- ٢٤ المذكرة الرابعة
- ٢٧ المذكرة الخامسة
- ٣٠ المذكرة السادسة
- ٣٣ المذكرة السابعة
- ٣٦ المذكرة الثامنة
- ٤٠ المذكرة التاسعة

- ٤٣ المذكرة العاشرة -
- ٤٥ المذكرة الحادية عشرة (اللؤلؤة) -
- ٤٨ المذكرة الثانية عشرة -
- ٥٠ المذكرة الثالثة عشرة -
- ٥٤ المذكرة الرابعة عشرة -
- ٥٧ المذكرة الخامسة عشرة -
- ٥٩ المذكرة السادسة عشرة -
- ٦٢ المذكرة السابعة عشرة -
- ٦٥ المذكرة الثامنة عشرة -
- ٦٧ المذكرة التاسعة عشرة -
- ٧٠ المذكرة العشرون (العودة إلى الأرض) -
- ٧٥ من بلاد الهولو -
- ٨٢ العامرية -
- ٨٤ الفجر ومدينة البحار -
- ٨٧ أربع أغنيات لجارية القصر -
- ٨٩ الذي احترق ولم يموت -
- ٩١ أغنيتان (للحروف المحترقة) -

- ٩٤ (إلى فهد العسكر) المسافر مع الأغنيات -
- ٩٨ يا نار عينيك -
- ٩٩ المتبّي -
- ١٠١ عذارى النيل -
- ١٠٣ ما لم يقله المعري -
- ١٠٦ موت الشاعر -
- ١٠٨ التنور الكبير -
- ١١٠ لكم كرّمكم -
- ١١٢ حملتك دهرًا -
- ١١٤ الليل والكلمات -

الديوان الثاني الطين والشمس

- ١١٩ نداء -
- ١٢٠ هي جذوة -
- ١٢١ قصة التاريخ -
- ١٢٣ خليجية -
- ١٢٤ عيناك -

- ١٢٥ يا بيتها -
- ١٢٦ كفاني طموحاً -
- ١٢٨ شهران -
- ١٢٩ شرقية -
- ١٣٢ (٥) أبيات لها -
- ١٣٣ وحشية -
- ١٣٥ الخيال الراءف -
- ١٣٧ نواسية -
- ١٣٩ ابنة السندباد .. صمود -
- ١٤٠ لن ينطفئ الضوء -
- ١٤١ القيثارة -
- ١٤٢ في البحرين -
- ١٤٤ إلى لبنان -
- ١٤٥ في بيتها -
- ١٤٨ وقفة على السور -

الديوان الثالث
رسوم للنغم المفكر

- ١٥٣ النغم الأول -
- ١٥٣ النغم الثاني -
- ١٥٤ النغم الثالث -
- ١٥٤ النغم الرابع -
- ١٥٤ النغم الخامس -
- ١٥٥ النغم السادس -
- ١٥٥ النغم السابع -
- ١٥٦ النغم الثامن -
- ١٥٦ النغم التاسع -
- ١٥٦ النغم العاشر -
- ١٥٧ النغم الحادي عشر -
- ١٥٧ النغم الثاني عشر -
- ١٥٨ النغم الثالث عشر -
- ١٥٨ النغم الرابع عشر -

- ١٥٩..... النغم الخامس عشر -
- ١٥٩..... النغم السادس عشر -
- ١٦٠..... النغم السابع عشر -
- ١٦٠..... النغم الثامن عشر -
- ١٦١..... النغم التاسع عشر -
- ١٦١..... النغم العشرون -
- ١٦١..... النغم الحادي والعشرون -
- ١٦٢..... النغم الثاني والعشرون -
- ١٦٢..... النغم الثالث والعشرون -
- ١٦٣..... النغم الرابع والعشرون -
- ١٦٥..... النغم الخامس والعشرون -
- ١٦٥..... النغم السادس والعشرون -
- ١٦٦..... النغم السابع والعشرون -
- ١٦٦..... النغم الثامن والعشرون -
- ١٦٧..... النغم التاسع والعشرون -
- ١٦٧..... النغم الثلاثون -

- ١٦٧..... النغم الحادي والثلاثون -
- ١٦٨..... النغم الثاني والثلاثون -
- ١٦٩..... النغم الثالث والثلاثون -
- ١٧٠..... النغم الرابع والثلاثون -
- ١٧١..... النغم الخامس والثلاثون -
- ١٧٢..... النغم السادس والثلاثون -
- ١٧٤..... النغم السابع والثلاثون -
- ١٧٥..... النغم الثامن والثلاثون -
- ١٧٧..... النغم التاسع والثلاثون -
- ١٧٨..... النغم الأربعون -
- ١٧٩..... النغم الحادي والأربعون -
- ١٨٠..... النغم الثاني والأربعون -
- ١٨١..... النغم الثالث والأربعون -
- ١٨١..... النغم الرابع والأربعون -
- ١٨٢..... النغم الخامس والأربعون -
- ١٨٣..... النغم السادس والأربعون -

- ١٨٣..... النغم السابع والأربعون -
- ١٨٤..... النغم الثامن والأربعون -
- ١٨٥..... النغم التاسع والأربعون -
- ١٨٦..... النغم الخمسون -
- ١٨٦..... النغم الحادي والخمسون -
- ١٨٧..... النغم الثاني والخمسون -
- ١٨٨..... النغم الثالث والخمسون -
- ١٨٨..... النغم الرابع والخمسون -
- ١٨٩..... النغم الخامس والخمسون -
- ١٩٠..... النغم السادس والخمسون -
- ١٩١..... النغم السابع والخمسون -
- ١٩٢..... النغم الثامن والخمسون -
- ١٩٣..... النغم التاسع والخمسون -
- ١٩٣..... النغم الستون -
- ١٩٥..... النغم الحادي والستون -
- ١٩٨..... النغم الثاني والستون -

- ١٩٨ النغم الثالث والستون -
- ١٩٩ النغم الرابع والستون -
- ١٩٩ النغم الخامس والستون -
- ٢٠٠ النغم السادس والستون -
- ٢٠١ النغم السابع والستون -
- ٢٠٢ النغم الثامن والستون -
- ٢٠٣ النغم التاسع والستون -
- ٢٠٤ النغم السبعون -
- ٢٠٤ النغم الحادس والسبعون -
- ٢٠٤ النغم الثاني والسبعون -
- ٢٠٥ النغم الثالث والسبعون -
- ٢٠٧ النغم الرابع والسبعون -
- ٢٠٨ النغم الخامس والسبعون -
- ٢٠٩ النغم السادس والسبعون -
- ٢١٠ النغم السابع والسبعون -
- ٢١٣ النغم الثامن والسبعون -

الديوان الرابع بقايا الألواح

- ٢١٧..... الإهداء -
- ٢١٨..... وتمزق الإكليل يا لبنان -
- ٢٢١..... الآخرون -
- ٢٢٢..... قدر -
- ٢٢٢..... شمس -
- ٢٢٣..... جروح في فم القمر -
- ٢٢٣..... القنديل القديم -
- ٢٢٤..... عن بغداد -
- ٢٢٥..... قلبان -
- ٢٢٧..... النفق المختفي -
- ٢٢٨..... الجدران المنتفخة -
- ٢٣٠..... المروج العائمة في الدم -
- ٢٣١..... أبواب السرايب -
- ٢٣٢..... شعر -

- ٢٣٢.....مغامرة -
- ٢٣٢.....الأنهار والطين -
- ٢٣٣.....المزامير -
- ٢٣٤.....النواحي الأخرى -
- ٢٣٥.....عندما تتغير الثياب -
- ٢٣٥.....الخشب الوردي -
- ٢٣٦.....المتنرد -
- ٢٣٦.....الاهتداء باللمس -
- ٢٣٧.....عندما يتهياً الصمت -
- ٢٣٧.....الرغو والوقود -
- ٢٣٨.....عندما يكتب النهر -
- ٢٣٨.....الحانة القديمة -
- ٢٣٨.....الشجر الحزين -
- ٢٣٩.....الدوافع -
- ٢٣٩.....التوهج -
- ٢٤١.....الليل والفسق

- ٢٤٣ آه عليك يا لبنان -
- ٢٤٤ الحارة القديمة -
- ٢٤٥ الحديث بالأصابع -
- ٢٤٦ لقاء في خيمة -
- ٢٤٧ غزل -
- ٢٤٨ المفارش الملونة -
- ٢٤٩ لبنان والأشباح -
- ٢٥٠ الأرض والشذى -
- ٢٥١ الملح والجمر -
- ٢٥٣ أيها القمر -
- ٢٥٤ العطش النشوان -
- ٢٥٥ الدم القديم -
- ٢٥٥ خطوات النهر -
- ٢٥٦ المحار -
- ٢٥٦ النيل والصندوق -
- ٢٥٧ المهابط الخضر -

- ٢٥٨ دعوة -
- ٢٥٩ زمن السقوط -
- ٢٦١ عروق البر -
- ٢٦٢ الأشجار -
- ٢٦٣ المسبية (١) -
- ٢٦٥ المسبية (٢) -
- ٢٦٦ مناورات قبل اللقاء -
- ٢٦٧ لقاء في بيوت الشعر -
- ٢٦٨ النهر والقلعة -
- ٢٦٩ وقوف الاشجار -
- ٢٧٠ الشوق المتلفت -
- ٢٧١ الدماء المختلفة -
- ٢٧٢ شروق -
- ٢٧٢ الصفر -
- ٢٧٣ الحديث من خلال الملاح -
- ٢٧٤ الليل والشباب الزرق -
- ٢٧٥ كأنني رأيتك -

الديوان الخامس ذاكرة الآفاق

- ٢٧٩ قصائد عن بغداد: القصيدة الأولى -
- ٢٨١ القصيدة الثانية -
- ٢٨٣ القصيدة الثالثة -
- ٢٨٥ القصيدة الرابعة -
- ٢٨٦ القصيدة الخامسة -
- ٢٨٩ القصيدة السادسة -
- ٢٩٠ النزيف الجديد -
- ٢٩١ الكلمات الأولى -
- ٢٩٢ العائد مع الريح -
- ٢٩٣ قراءات الأشياء المخفية -
- ٢٩٥ دموع المهرجان -
- ٢٩٧ الحب الأعزل -
- ٢٩٨ إلى ليبيا -
- ٣٠٠ أخطبوط -

- ٣٠١ لقاء بلا مكان -
- ٣٠٣ صراخ تحت الثلج -
- ٣٠٤ لقاء عند النهر -
- ٣٠٦ قبل الموعد -
- ٣٠٧ لقاء في العيد -
- ٣٠٨ شعور تحت العاصفة -
- ٣١١ سؤال -
- ٣١٢ الجواب -
- ٣١٥ العودة -
- ٣١٧ حدّثنا -
- ٣١٩ لهاث الثوب الأزرق -
- ٣٢٠ مغامرة تحت الوهج -

الديوان السادس لبنان والنواحي الأخرى

- ٣٢٥ عندما يتقوس الجبل -
- ٣٢٧ الدم المستعار -

- ٣٢٨ رحيل الأرز -
- ٣٢٩ العودة إلى الريح والصحراء -
- ٣٣١ رماد الفوانيس الخضراء -
- ٣٣٢ الأرض تجدد أثوابها -
- ٣٣٤ عندما تتغير الأشياء -
- ٣٣٥ هكذا خلقوا -
- ٣٣٧ لبنان والزيتون والعنب -
- ٣٣٨ الأيام القديمة -
- ٣٤٠ وماء البحر للحوت -
- ٣٤١ أهذا أنت -
- ٣٤٣ المنتفخون -
- ٣٤٦ وخففه إنه المثقل -
- ٣٤٧ نزيه في كوكب -
- ٣٤٩ العطش وأنهار الملح -
- ٣٥١ دم على السفوح -
- ٣٥٢ قد كان ما كان -
- ٣٥٣ بيروت الشقراء المتهبة -
- ٣٥٥ لبنان الملوّح -
- ٣٥٧ ذكرى عشيات التلال -

الديوان السابع

حذاء الهودج

- ٣٦١ ضجيج الأعكان -
- ٣٦٢ الصراع المختفي -
- ٣٦٤ الزيتون والحنظل -
- ٣٦٥ عودة النجمة -
- ٣٦٦ النقيض المتجمع -
- ٣٦٨ الدود -
- ٣٦٨ النهر المنحرف -
- ٣٦٩ صحوة الرمل -
- ٣٧٠ عصور العشق -
- ٣٧١ الريح والدفوف -
- ٣٧٣ الجذور -
- ٣٧٦ رفوف القرنفل -
- ٣٧٧ رسوم المرمر -
- ٣٧٨ عن بلغاريا -
- ٣٧٩ رفيف -
- ٣٨٠ ياسمين -

٢٨٢	عيون	-
٢٨٣	الحليب والخلخال	-
٢٨٤	سيناء والنيل	-
٢٨٥	النقوش	-
٢٨٦	سقوط النسر	-
٢٨٧	لقاء في مصر	-
٢٨٩	ضياء الحرير	-
٢٩١	البوابات	-
٢٩٢	الليل وغصون الدر	-
٢٩٣	الرجوع إلى الكهف	-
٢٩٤	قراءات في الغيب	-

الديوان الثامن

خلاخيل الفيروز

(٤٣٦ - ٣٩٧)	من خلاخيل الفيروز	-
-------------	-------------------	---



